محسن دزه يي

أحداث عاصرتها

الجزء الثاني

١٩٦١ - ١٩٧٥

دار ئاراس للطباعة والنشر
السلسلة الثقافية
***

صاحب الامتياز: **شوكت شيخ يزدين**

رئيس التحرير: **بدران احمد حبيب**

*

الكتاب: احداث عاصرتُها – الجزء الثاني
ذكريات محسن دزةيي
من منشورات دار ئاراس– رقم: ١٤٤
التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي
الغلاف: شكار شيخ عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
الطبعة الأولى – اربيل ٢٠٠٢
رقم الإيداع في المديرية العامة لثقافة والفنون في اربيل ٢٠٠٢/٢٩٧
مطبعة وزارة التربية– اربيل

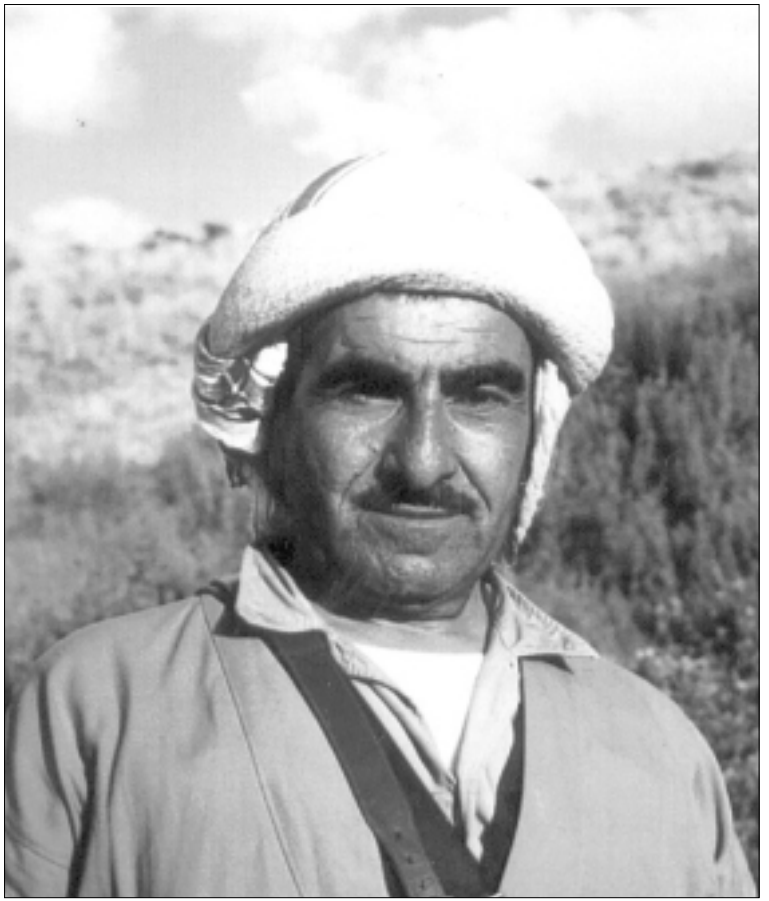

الزعيم الكردي الراحل مصطفى البارزاني
(١٩٠٣ ـ ١٩٧٩)

المحتويات

تقديم 9
شكر وأمتنان 10
مقدمة الجزء الأول 11
مقدمة الجزء الثاني 16
شكر وتقدير 18
الاوضاع في كوردستان قبل اندلاع ثورة ايلول ١٩٦١ 19
انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ 22
مغادرتي أربيل والتحاقي بالثورة الكُردية 27
أيامي في كويسنجق 32
نشوب القتال 36
احتلال كويسنجق 40
معارك جبل هيبت سلطان 41
السفر الى بيتواتة 44
نحو المجهول 48
انسحاب الجيش من رانية وسفرنا الى قلعة دزه 52
اسناد أول عمل رسمي لي في الثورة الكُردية 55
الانتقال الى ماوه ت 57
في ماوه ت 59
بوادر الانشقاقات 64
مصير ابراهيم الطائي المؤلم 66
كيفية الاطلاع على خبر وفاة والدتي 70
بدء المفاوضات واجراء الهدنة 71

فترة الهدنة 76
سفري الى بغداد 82
المؤتمر السادس للحزب 84
قسم العدل 86
مجلس قيادة الثورة الكُردية 87
بدء المشاكل في منطقة أربيل 93
حملة جمع التبرعات 95
الذكرى الاولى للهدنة وحادثة العريف علي مولود 98
بدء جولة جديدة من القتال 102
مركز شرطة قلعة دزه 104
احتلال قلعة دزه 107
مضيق بدران 110
مصرع الرئيس عبدالسلام عارف 114
معركة هندرين الشهيرة 116
السفر الى طهران 122
بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٦ أو مشروع البزاز 126
عارف عبدالرزاق ومحاولتيه الانقلابيتين الفاشلتين 133
اللجنة العليا للسلام 136
زيارة الرئيس عبدالرحمن عارف للبارزاني 138
اللقاء مع السفير التركي في بغداد 142
المؤتمر السابع للحزب 144
زيارة ادريس البارزاني لبغداد 145
زيارة مسعود البارزاني لبغداد 147
نكسة حزيران ١٩٦٧ 150
اجتماع القصر الجمهوري 155

انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ وقصة استيزاري 158
انقــلاب ٣٠ تموز ١٩٦٨ 168
زيارة ممثل الرئيس ديغول لكُردستان 175
عملية أنقاذ السيد مهدي الحكيم 181
اشتداد المعارك 186
زيارات المعارضين لكُردستان 187
اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ 190
تعييني سفيراً للعراق في براغ 204
المؤتمر الثامن للحزب 205
سفري الى براغ كسفير جديد للعراق 207
سفيراً في براغ 210
التآمر على حياة البارزاني 220
خلاصة المؤامرة 223
مقابلة صدام حسين 226
عملي في براغ 229
مؤتمر الطلبة الاكراد 231
تأميم شركات النفط 233
السفر الى بغداد 236
صفقة الاسلحة بين العراق وجيكوسلوفاكيا 239
في بغداد قبل الالتحاق بعملي في كندا 241
في كندا 247
رحلة الى القطب الشمالي 253
لقاء الحديثي في نيويورك 255
حرب أكتوبر ١٩٧٣ 258
في الوزارة في بغداد 261

الارتفاع الهائل في أسعار النفط 262
بداية العد التنازلي في العلاقات مع صدام حسين 263
العودة الى كُردستان 268
الوفد الكُردي الى الأمم المتحدة 271
العودة الى كُردستان مرة أخرى 277
السفر الى السعودية 281
الجولة الثانية في مخيمات اللاجئين 284
الســفــر الى الاردن 287
اتفاقية الجزائر ونكسة ١٩٧٥ 290
اللقاء مع شاه ايران 297
الايام الاخيرة في كُردستان 300
الهوامش 305
الملاحق 309
نص بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٦ 309
بنود اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ 313
وثيقة 317
المصادر 318
ملحق الصور التذكارية 319

تقديم

تكمن أهمية هذا الكتاب فيما يفتحه من النوافذ المغلقة أمام أنظار القراء، فهو عبارة عن سيرة حياة شخصية وطنية وقومية من كوردستان العراق، تعتز به الحركة القومية الكُردية، وأنا شخصياً أعتز به كأخ وصديق.

يغطي هذا الجزء أيام طفولته ومراحل دراسته ثم الاحداث التي وقعت في تلك المراحل وكذلك مرحلة مزاولته المحاماة والتجارة والأحداث السياسية التي جرت خلال تلك الفترة من حياته ولحين التحاقه بالثورة الكُردية عام ١٩٦٣، حيث وجد نفسه وهو في الحادية والثلاثين من عمره في خضم السياسة التي أصبحت قدره، وتولى مسؤوليات قيادية هامة في الثورة.

آمل من الأخوان الذين لهم علاقة أو إطلاع على الأحداث المدرجة في هذا الجزء من كتاب الاستاذ محسن دزه يي المبادرة لتصحيح أو إضافة ما يكمن في صدورهم من معلومات ليصبح الكتاب بجزئيه مادة دسمة ضمن الأبحاث والأحداث التي يتناولها تأريخ الكورد عن هذه الفترة الزمنية، لاسيما الجزء الثاني منه بأعتبار أن صاحب الحوار سيتناول من خلاله حقبة فريدة من حياة كفاح هذا الشعب في سبيل حريته.

مسعود بارزاني

٢٠٠١/٤/٢٩

شكر وامتنان

لايسعني وأنا أضع الجزء الثاني من كتابي (احداث عاصرتها) بين يدي القاريء الكريم، الا ان أعّبر عن جزيل شكري وعظيم امتناني الى الأخ العزيز **مسعود البارزاني** رئيس حزبنا الديمقراطي الكُردستاني على تفضله بتقديم الكتاب وتثمينه ايّاه بكلمة قيمة، واشارته الى هذا الجزء بصورة خاصة وكذلك اشارته الى شخصي المتواضع.

أرجو الله عزوجل أن يوفقه ويمّد من عمره لخدمة شعبنا المظلوم، كما وأتمنى أن ابقى دائماً موضع ثقته الغالية وحسن ظنه، والله الموفق.

محسن دزه يي

صلاح الدين-كردستان العراق

٢٠٠٢/٨/١

مقدمة الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يدر بخلدي في يوم من الايام أن أقوم بتدوين مذكراتي أو مايرد في خاطري واصدارها على شكل كتاب رغم المراحل العديدة من حياتي والاحداث التي مرت بها، ورغم محاولة الكثيرين من اصدقائي ومعارفي وكذلك المهتمين بمثل هذه الامور.. وهنالك الكثير من الاحداث التي وقعت في فترات مختلفة من حياتي والتي يهم الكثيرين معرفتها حيث كنت مراقباً لبعضها ثم شاءت الظروف أن أكون مباشرةً وبصورة شخصية في صميم بعض الاحداث وخاصةً التي وقعت بعد اندلاع الثورة الكُردية في ايلول العام ١٩٦١ سواء أكانت لي علاقة ببعضها أو مشاركتي فيها مباشرةً بعد التحاقي بتلك الثورة في العام ١٩٦٣ حيث كنت قريباً جداً من قيادة الثورة بل اشتركت احياناً في الهيئة القيادية لها وتقلدت مناصب عديدة داخل الثورة وخارجها بتفويض من قيادتها وانيطت بي مهام كثيرة، وقد رافقتُ قائد الثورة الراحل مصطفى البارزاني في سفره الى الولايات المتحدة للعلاج العام ١٩٧٦ وحتى رحيله يوم ١/آذار/١٩٧٩، لذا كانت تلك الحقب الزمنية حافلة بالأحداث والتطورات السياسية.

وقد حاول الكثيرون من الكتّاب والصحفيين الاجانب مع البارزاني الراحل تدوين مذكراته فكان جوابه انه لم ينجز مهمته بصورة كاملة ولم يحقق الا جزءاً من هدفه في خدمة شعبه الكُردي لذا لايجد مبرراً لتدوين مذكراته، وكان البارزاني رجلاً متواضعاً جداً ليس لديه حب الظهور والتباهي والتفاخر بعمله بالرغم من كل ما قام به من أعمال جليلة خدمةً لشعبه وكان يرى ان ما يقوم به هو واجب عليه تجاه شعبه ووطنه وأن الاعمال التي قام بها ليست من مهمته هو ان يدونها ويقيمها بنفسه، بل يترك ذلك للمؤرخين والكتاب ليدونوا وليقيّموا تلك الاعمال والمنجزات ويصدروا حكمهم عليها، وكان زاهداً في كل التسميات والالقاب والمدائح.

قلت بأن الكثيرين قد حاولوا مع البارزاني الراحل لكن دون جدوى للأسباب التي ذكرتها وعندما يئسوا منه بدأوا ببذل جهودهم عن طريقي لكي أدون خواطره وأعماله فرفضت ذلك لأنني كنت لا أخالفه الرأي وكان من المستحيل أن أقوم بذلك العمل دون علمه أو أطلاعه.

وبعد رحيل البارزاني في ١/آذار/١٩٧٩ استمرت تلك المحاولات معي، وفي الحقيقة لم تكن لي الرغبة للقيام بهذا العمل وازدادت المحاولات بعد الانتفاضة الكبرى لشعبنا في آذار العام ١٩٩١، ووجدت الطريقة المثلى لذلك في كتابة بعض المقالات خلال بعض المناسبات، حيث نشرتها في الصحف المحلية الصادرة في كُردستان أو خارجها.

وأخيراً وقبل حوالي العام، فاتحني السيد طارق ابراهيم شريف وهو كاتب وصحفي من أربيل لأجراء حوار موسع معي فطلبت منه أعطائي الاسئلة التي كان قد أعدها وايداعها لديّ للأجابة عليها تدريجياً بقدر ما يسمح لي الوقت، وبعد الاجابة على عدد من تلك الاسئلة وتدوينها وجدتها عبارة عن صفحات وصفحات فأستقر رأيي مع المحاور على جمع هذه الصفحات في كتاب، ثم عزمنا على نشره في جزئين يصدران تباعاً، وبودي أن أوضح للقاريء الكريم بأن مادونته لايشمل جميع الاحداث والوقائع بل ما علق منها بذاكرتي، حيث لم أحتفظ بأية وثيقة أو مستند أو حتى رسالة أو ملاحظات وكل مايفيد هذا الغرض، بل حتى الصور التي كنت أحتفظ بها عن بعض المناسبات قد ضاعت نتيجة تنقلاتي وتعرض داري للنهب والمصادرة، ومن حسن الحظ أنني تمكنت من الحصول على نسخ من بعضها لدى الاصدقاء فزودوني بها مشكورين.

ويتضمن الجزء الأول من هذا الكتاب ذكريات أيام طفولتي ومراحل دراستي ثم الاحداث التي وقعت في تلك المراحل وكذلك مرحلة مزاولتي المحاماة والتجارة والاحداث السياسية التي جرت خلال تلك الفترة لحين التحاقي بالثورة الكُردية العام ١٩٦٣، وبالرغم من كون بعض تلك الاحداث بسيطة وشخصية لكنني رأيت من المفيد تدوينها لأنها قد علقت بذاكرتي وهي تمثل مراحل من حياتي.

ويلاحظ القاريء الكريم بأنني قد أشرت في الكثير من الأحيان وخاصةً في

الجزء الأول من الكتاب الى دور شقيقي الراحل أحمد محمدأمين دزه يي وتأثيره، وذلك لكونه هو صاحب الفضل فيما وصلت اليه مع اشقائي الآخرين في حياتنا ولأنه هو الذي علمني الف باء (الكوردايه تي) وغرس في قلبي جذور حب القومية الكُردية، وعن طريقه هو عرفت البارزاني الراحل الذي عملت خلال أعوام عديدة تحت قيادته وأحببته حباً صادقاً.

اما الجزء الثاني فسوف يتضمن أحداث الثورة الكُردية التي التحقت بها في العام ١٩٦٣ وعايشت أحداثها وكذلك أحداث الفترة التي انتكست فيها تلك الثورة لغاية الاعوام الاخيرة، فمع التحاقي بالثورة الكُردية بدأت مرحلة جديدة من حياتي تختلف كثيراً عن المراحل السابقة وعن نمط حياتي، وقد بدأت بالأنسجام والتكيف مع هذه الحياة الجديدة المليئة بالمشاق والمخاطر فأصبحت جزءاً لايتجزأ من كياني وانسجمت مع هذه الاوضاع والحياة الجديدة بحيث أصبح من المستحيل عليَّ مفارقتها والعودة الى الحياة السابقة، وأصبحت معتزاً وفخوراً بهذا الوضع الجديد وغير مبال بالمخاطر والنتائج المترتبة عليه، وبعكس ذلك حصّلت لديَّ قناعة تامة وأيمان كامل بمستقبل القضية الكُردية وعدالتها، وثقة كبيرة في بلوغ أهدافها، لذا لم أبال بكل ماعانيت من جوع وفاقة وحرمان ومخاطر بل أعتبرت كلها مدعاة للفخر والاعتزاز، وزادت ثقتي بالنفس وشعرت بأن صحتي أصبحت أفضل بكثير مما كنت عليه قبل التحاقي بالثورة، وكنت يومها في الحادية والثلاثين من عمري أي في مقتبل العمر، وكنت سابقاً أعيش حياة مرفهة وباذخة فتحولت فجأة وبكل يّسر الى حياة ملؤها الجدية والصعاب، فعادت اليَّ نضارة الشباب وأصبح جسمي أكثر ملائماً بعد أن كانت البدانة والكسالة تلازماني فأنسجمت وبكل سهولة مع هذه الحياة الجديدة بصعابها ومشاقها بحيث كان ذلك موضع استغراب الكثيرين ممن عرفوني سابقاً، وأمتزجت مع هذه الحياة الجديدة بحيث لم أتمكن من الانفصال عنها رغم كل الظروف وحتى الآن، ورغم تقدمي في العمر ومضي ما يقارب من أربعة عقود من الزمن بقيت ملازماً لتلك الثورة واعتبرتها قضيتي الشخصية الخاصة الوحيدة دون الاهتمام بالجوانب الاخرى من الحياة، أفنيت في خدمة هذه الثورة والحركة التحررية الكُردية زهرة شبابي وأعز أيام حياتي وبكل استقامة واخلاص وولاء دون الأهتمام بالمصالح الشخصية وحتى العائلية، وضحيت في سبيل ذلك بكل ما أملك، ولم تبق

عندي للثروة والجاه والعشيرة والاقارب والعائلة أية قيمة مقابل مصلحة الشعب العليا.

وسرت في هذا الطريق على خط مستقيم دون أن أحيد عنه يميناً أو يساراً قيد أنملة، وآمنت ايماناً كاملاً بقيادة الحركة وبشخص قائدها العظيم الزعيم الراحل مصطفى البارزاني، وعملت بأمرته بكل أخلاص وتفانٍ لأيماني المطلق بوفائه وأخلاصه لشعبه، ولم أنتظر مقابل ذلك جزاءً ولاشكوراً بل أعتبرت ذلك واجباً مقدساً ملقى على عاتقي، وأستمريت بعد رحيل هذا القائد العظيم على عين النهج وعين الموقف من الحزب ورئيسه مسعود البارزاني الذي ارى فيه الشخص الذي يكمل هذه الرسالة.

وقد بقيت مع قيادة الحركة في مدها وجزرها، وكلما كانت الحركة في ازدهار وقوة وفي ظروفها الحسنة حاولت ان لا أكون في الواجهة بل أبديت منتهى التواضع بعكس بعض الانتهازيين والوصوليين والمتملقين. وفي اوقات الضيق كنت ازداد تقرباً من القيادة وأكثر فاعلية من قبل، في الوقت الذي كان يبدأ فيه أمثال هؤلاء بالأنفضاض من حول الحزب وقيادته والاختفاء من الميدان أو حتى اتخاذ موقف المعاداة من الحزب وقيادته احياناً!.

وبعد أن وصلت بيَّ الحياة هذه المرحلة من العمر وبعد أن أصبحت على مشارف السبعين استطيع أن أعيش ما تبقى من أيام حياتي مطمئن البال ومرتاح الضمير، وأنني واثق من أنني قد أديت الواجبات الملقاة على عاتقي بكل أمانة ونزاهة وأخلاص، وأديت كل عملٍ أنيط بيَّ القيام به بكل جدية وتفان وبقدر الامكان وتحملت مسؤولياتي كاملةً حتى ولو كانت متواضعة دون أن أتهرب منها أو أحاول التنصل منها في يوم من الايام.

وبالرغم من كل ماعانيت خلال هذه المدة الطويلة وما أعانيه الآن نتيجة هذا النهج وهذه السياسة المستقيمة فأني غير نادم على ذلك بل أعتبره موضع فخري واعتزازي والله شاهد على ما أقول، وليس لي أن أندم على شيء أو أسف على أي عمل قمت به خلال مدة عملي في صفوف الثورة وليس لي سوى الاعتذار من ابنائي وافراد عائلتي بسبب أهمالي لهم، فقد صرفت كل وقتي وجهدي في خدمة الثورة دون التفكير في مستقبلهم وضحيت بكل ما أملك في سبيلها دون الأهتمام بهم، لكنني على ثقة كبيرة بأنهم سوف يسامحونني

ويكونون الآن وفي المستقبل فخورين بما قمت به.

وأريد أن أوضح هنا للقاريء الكريم بأنني لست مؤرخاً ولا اديباً أو كاتباً، لذا سردت الاحداث على حقيقتها وحسبما أسعفتني الذاكرة وبأسلوب مبسط ولغة عربية واضحة وجلية دون أي تعقيد بحيث يكون يسيراً للقاريء عند قراءته آملاً ان يمتاز بالسلاسة والبساطة والوضوح والاسلوب المبسط دون أن يشعر القاريء بأي ملل عند قراءته، وقد طلبت من المحاور أن لايجري أي تغيير في الجمل والعبارات قدر المستطاع لكي تنشر الذكريات كما هي وكما دونتها، لذا اعتذر من القاريء الكريم فيما اذا وجد بين دفتي الكتاب أية أخطاء أو هفوات، وقد حاولت أن أذكر اسماء الاشخاص الواردة في هذا الكتاب مع القابها ومع ذلك فقد ورد بعضها وفي بعض الحالات مجرداً عن أي لقب أو صفة لذا أعتذر من اصحابها.. وهكذا باشرت بعون من الله تعالى بسرد ذكرياتي عن الاحداث التي عاصرتها.

محسن دزه يي

صلاح الدين-كُردستان العراق

٢٠٠١/٤/٣

مقدمة الجزء الثاني

بعد مرور مايقارب السنة على صدور الجزء الاول من كتابي (احداث عاصرتها)، ها أنا أضع بين يدي القاريء الكريم الجزء الثاني من تلك الاحداث، ويختلف هذا الجزء عن الاول في كونه لم يجر على شكل حوار أو توجيه اسئلة عن أحداث معينة، بل أنه سرد للوقائع منذ سنة ١٩٦١، حيث اندلعت الثورة الكُردية والتي التحقت بها سنة ١٩٦٣ ولحين النكسة التي اصابتها بعد اتفاقية الجزائر بين شاه ايران وصدام حسين في السادس من شهر آذار سنة ١٩٧٥، وقد ورد فيه جميع الاحداث المهمة التي رافقت الثورة أو التي لها علاقة بها، وهذه الاحداث اشتركت فيها اما بصورة مباشرة وساهمت فيها أو بصورة غير مباشرة، وذكرت بعضها حسب معلوماتي عنها أو اطلاعي عليها.

وكنت قد سردت في الجزء الاول ما آلت اليه الاوضاع والظروف الصعبة التي كان يعيشها المواطنون، وأوضحت في هذا الجزء كيفية تردي تلك الاوضاع والتي ادت في النتيجة الى التحاقي بالثورة الكُردية التي اصبحت جزءاً مهماً من حياتي التي كرستها في سبيلها وفي سبيل خدمة شعبي وقضيته العادلة، وجاء ذكر الاحداث حسب تسلسل وقوعها وأزمانها وعلى شكل مواضيع مختلفة أو على شكل مذكرات شخصية خاصة بتلك الفترة الزمنية رغم التطرق احياناً الى أحداث أخرى وقعت في أزمان أخرى وذلك لعلاقة المواضيع ببعضها.

وأعتمدت في ذكر تفاصيل معظم الاحداث على ذاكرتي وذلك لكوني قد فقدت الوثائق الخاصة ببعضها والتي كنت احتفظ بها وكذلك فقدان بعض الملاحظات التي سبق أن دونتها، وربما لايخلو الكتاب وتواريخ الاحداث والاسماء من بعض السهو والألتباس والنسيان، لذا أرجو المعذرة من القاريء الكريم.

ويتضمن هذا الجزء بعض الاحداث المهمة وبعض الأمور التي كانت خافية

على القاريء، وقد أوضحت قدر الأمكان اسباب النكسة التي لحقت بالثورة الكُردية وتفاصيل المؤامرة الدولية الكبرى ضدها وضد قيادتها وكذلك أوضحت مدى بعد نظر البارزاني وحكمته وصموده رغم الظروف الصعبة التي مرت بها الثورة ومر بها البارزاني نفسه.

وأود أن أبين للقراء الاعزاء بأنني بصدد تهيئة الجزء الثالث من هذا الكتاب الذي يتضمن احداثاً مهمة منذ النكسة وذهابنا الى ايران كلاجئين واقامتي فيها مدة سنة وأشرافي على شؤون اللاجئين ثم سفري الى الولايات المتحدة في حزيران سنة ١٩٧٦ برفقة الزعيم الراحل مصطفى البارزاني لغرض علاجه لحين رحيله في ١٩٧٩/٣/١.

ويتضمن الجزء الثالث كذلك مختلف العلاقات الخارجية والاحداث المهمة الاخرى التي كانت لي علاقة بها أو اطلاع عليها لغاية السنوات الاخيرة، وأرجو من الله أن يوفقني في انجاز هذا العمل وهو ولي التوفيق.

محسن دزه يي

صلاح الدين-كردستان العراق

٢٠٠٢/٨/١

شكر وتقدير

أقدم جزيل الشكر للسيد **بدران أحمد حبيب** رئيس التحرير في دار ئاراس بأربيل للطباعة والنشر لجهوده في طبع ونشر الجزء الثاني من الكتاب في الدار المذكورة وتحمله أعباء النشر.

كما أقدم الشكر للكاتب والصحفي **طارق ابراهيم شريف** لقيامه بمراجعة مسودة هذا الجزء من الكتاب، ومتابعته لصدوره في جميع المراحل، وفقهما الله لما فيه الخير.

محسن دزه يي

صلاح الدين-كردستان العراق

٢٠٠٢/٨/١

الاوضاع في كوردستان قبل اندلاع ثورة ايلول ١٩٦١

ذكرت في الجزء الأول من هذا الكتاب بأن الاوضاع قد أخذت بالتدهور شيئاً فشيئاً وتفاقمت الحالة وأصبح الامن والاستقرار شبه معدومين وخاصةً منذ نهاية سنة ١٩٦٠ وعمت الفوضى، وأخذ رأس النظام يرتكب خطأً ويعالجه بخطأ آخر ويدعم اليمين ضد اليسار ويؤلب اليسار ضد اليمين تارةً أخرى. وأصبحت هذه السياسة الهوجاء تمارس حتى بحق أقرب حلفاء وأصدقاء عبدالكريم قاسم، وبحق الشعب الكُردي وقيادته في آخر المطاف. وأستغل هذه الظروف الشاذة ذوو النفوس الحاقدة وأعداء الشعب الكُردي من العنصريين والحاقدين والمتربصين بالنظام ودفعوا بالحالة الى الأسوأ، وأخذت السجون والمعتقلات تعج بالمواطنين وبحلفاء وأصدقاء الأمس، وأصبحت القيادة الكُردية أما قابعة في السجون والمعتقلات والمواقف أو مبعدة الى المنافي وأما مطاردة وملاحقة من قبل السلطات، فأصبح الشعب العراقي بصورة عامة والشعب الكردي بصورة خاصة يعاني من نتائج هذه السياسة التي كانت تدفع بالنظام نفسه تدريجاً نحو الهاوية.

ورغم جهود الزعيم الكُردي الراحل مصطفى البارزاني ومحاولاته مع رأس النظام الزعيم عبدالكريم قاسم ورغم جهود جميع الاصدقاء والحريصين على مصلحة النظام، فقد ذهب كلها أدراج الرياح، ولم يلتفت قاسم وللأسف الشديد الى نصائح أصدقائه وحلفائه الحقيقيين من أمثال البارزاني الذي كان خير حليف ومؤيد له وحريص على مصلحته.

وفي خريف ١٩٦٠ سافر البارزاني مع وفد عراقي الى موسكو لتقديم التهاني الى مسؤولي الاتحاد السوفيتي بمناسبة ذكرى ثورة اكتوبر، وبعد أكثر من شهرين عاد ليجد الاوضاع أسوأ من السابق فأضطر الى ترك بغداد في ربيع ١٩٦١، وخلال سنة ١٩٦١ بدأ الشعب الكُردي وقيادته يعاني من نتائج هذه السياسة أشد المعاناة، وقام النظام أخيراً بشن حملة عسكرية شعواء ضد هذا الشعب الآمن والمسالم والحليف الحقيقي له وضد قيادته التي اضطرت للدفاع عن نفسها وعن وجود الشعب الكُردي فقامت ثورة ايلول سنة ١٩٦١.

أعود فأقول بأن الأوضاع استمرت على هذا المنوال وازداد يوماً بعد يوم اضطهاد الشعب العراقي بجميع فئاته السياسية والاجتماعية، ووصل التذمر الى حد رغبة الخلاص من هذا الوضع المأساوي وأنتظار الخروج من هذا المأزق الذي وقع فيه، وأصبحت أكثرية الشعب العراقي تتمنى تغيير النظام مهما كانت النتائج. وظل قسم قليل رغم كل ذلك يعتقد بأمكانية عدول النظام عن هذه السياسة الهوجاء وبأنه لايزال هنالك شحنة من الديمقراطية فيه رغم وجود المئات من الوطنيين بأختلاف آرائهم ومبادئهم في السجون والمعتقلات ورغم صدور احكام للأعدام بحق العشرات منهم.

وقد يكون في وجهة النظر هذه شيء من الصحة والصواب لأن الأنظمة التي جاءت الى الحكم على التوالي بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ كانت أسوأ من التي سبقتها ولحد كتابة هذه السطور.

وبسبب الحرب التي شنها النظام في كُردستان والهجوم الوحشي للجيش، فقد ازداد الوضع سوءً، وفي نفس الوقت ازداد حقد الشعب العراقي والكُرد بصورة خاصة ضد النظام ورأسه، وكان العسكريون الحاقدون والعنصريون يستغلون هذه الاوضاع فكانت فرصة مناسبة لأصطياد عصفورين بحجرة واحدة، فكان حقدهم وعدائهم للشعب الكُردي يدفعهم الى استعمال أقسى الوسائل في التعامل معه، وكذلك حقدهم على نظام الحكم القائم ورغبتهم في خلق الاجواء المناسبة لمعارضيه دفعهم لأيجاد روح التذمر والكراهية بل خلق الظروف التي تناسبهم للأنقضاض عليه وتحقيق مآربهم.

لذا فأن الثورة الكُردية عند اندلاعها حظيت بتعاطف كبير من لدن فئات الشعب الكردي بصورة عامة، وأكثرية الشعب العراقي.

أما فيما يتعلق الأمر بيَّ شخصياً، فقد مسني الضَّر حتى قبل اندلاع الثورة الكُردية، فرغم الفوضى التي عّمت البلاد وخاصةً في سنة ١٩٥٩ وبعدها، وفقدان سلطة القانون وبالرغم من عدم رضاي على كثير من هذه الأمور التي جرت في تلك الظروف الصعبة فقد أثرت مسايرة الوضع ومحاولة التكيف معه والقبول بالأمر الواقع والاستفادة من بعض ايجابياته، وقررت الأنصراف الى ادارة أعمالنا وأمورنا الخاصة قدر الأمكان لعلَّ الوضع يتحسن في المستقبل، الا ان تغيير الاوضاع والظروف في أواخر سنة ١٩٦٠ كما ذكرت وتعّرض الشعب الكُردي الآمن الحليف للنظام للظلم والاضطهاد وثم تعّرض شقيقي

كاك أحمد الى الأعتقال والنفي مرات عديدة ودون سبب وكذلك تعرضي شخصياً لنفس الأجراءات، كل ذلك دفعني الى التّذمر الشديد وخلق روح الحقد والكراهية في نفسي أنا شخصياً كما في نفوس المواطنين، وأخذت أكتوي بنار هذه السياسة الظالمة بعد أن بدأت هذه الاجراءات اللاقانونية تّمس عائلتنا مباشرةً وتمسني أنا شخصياً واصدقائنا القريبين أمثال كاكه زياد (محمد زياد غفوري) وزيد أحمد عثمان (ابن خالتي) وغيرهما، ووصل الحال الى درجة يتمنى الكل فيه زوال هذا العهد وكأن لسان حال الجميع هو قول الشاعر:

آمنت بالله ان الحق منتصر

والظلم مندحر والكفر منهار

آمنت بالله ايماناً عرفت به

ان الزمان على الباغين دّوارُ

ورغم أن هذه الأبيات قد قيلت من قبل أحد القوميين وذُكر في عهد قاسم الا انها تنطبق على ذلك العهد وجميع العهود التي تلته، فرغم زوال ذلك العهد فأن العراق بات يسير من سيء الى أسوأ.

وذكرت سابقاً خلال حديثي عن بدرالدين علي متصرف (محافظ) لواء أربيل آنذاك، كيف أنه بعد بدء القتال في كردستان قد تغير كلياً وأصبح من الّد أعداء الثورة الكُردية، وكيف أن المؤامرات أخذت تحاك حولي شخصياً رغم أن أعتقال شقيقي كاك أحمد كان يتكرر دائماً، فيقبض عليه ويقضي فترة في الاعتقال أو المنفى ثم يصدر قرار عفو من عبدالكريم قاسم بالنسبة للمتعاونين مع الثورة الكُردية، حتى تطاله حملة اعتقالات جديدة وهكذا، وفي بداية الحملات العسكرية على كُردستان أخذت هذه الأجراءات اللاقانونية تتخذ بحقي شخصياً وتعرضت لفترة نفي الى كركوك، وحتى بعد عودتي من المنفى أصبحت موضع شك وريبة من قبل المتصرف بدرالدين علي وأعوانه من الانتهازيين والوصوليين من ضباط الشرطة والأمن بحيث كانت أصابع الاتهام توجه الينا في كل مناسبة أو دون مناسبة وأصبحت تحركاتي محدودة ومريبة في نظرهم وأصبحت جميعها حتى الاعتيادية منها معرضة الى مراقبة الشرطة والأمن.

انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣

وصل الوضع الى حد لايطاق، وحدث أخيراً انقلاب الثامن من شباط سنة ١٩٦٣، فظننا باديء الأمر أنه انفراج للأزمة ونهاية للأوضاع الشاذة وبداية مرحلة جديدة للأمن والاستقرار وأيجاد حل سلمي عادل للقضية الكُردية. ولكن سرعان ما خاب ظنّنا، فرغم الوعود (الكاذبة) التي قطعها النظام الجديد لحل القضية الكُردية حلاً سلمياً وتلبية مطاليب الشعب الكُردي الا انه كان يتهيأ ويستعد لشن حملة عسكرية جديدة أشد قسوةً من سابقتها، وأن الأجراءات التي تتخذها السلطة الجديدة بحق المواطنين كانت بعكس ماتظهره وتعلنه من نوايا تماماً.

بعد مضي أيام قليلة على حدوث الانقلاب علمنا بأنه قد القي القبض على شقيقي أنور الذي كان يسكن بغداد ويزاول مهنة الطبابة لا لسبب الا لكونه شخصاً وطنياً ذو روح قومية وطنية، وكان يتردد على عيادته المرضى الأكراد وخاصةً المقيمين في بغداد ومنهم الاكراد الفيليون وكان يقدم الخدمات الطبية مجاناً لأكثر المراجعين وخاصةً من ذوي الدخل المحدود.

قلت بأنه قد القي القبض على شقيقي المذكور وأنه قد تعرض لأنواع التعذيب والأهانة وكذلك القي القبض على ابن عمي وصديقي محمد حسين الملا دزه يي الذي كان يعمل كموظف في وزارة الزراعة في بغداد، وكان ذا ميول يسارية في باديء الأمر الا انه قد غيّر موقفه بعد اندلاع الثورة الكُردية وأصبح قومياً كُردياً.

ذهب شقيقي كاك أحمد الى بغداد لمتابعة أخبار أخي أنور وعن طريق المحامي زيد أحمد عثمان الذي كانت تربطه صداقة مع الصحفي قاسم حمودي صاحب جريدة (الحرية) البغدادية والذي كان ولداه سعد وجعفر عضوين بارزين في حزب البعث العربي الاشتراكي، وعن طريق هؤلاء تم العثور عليه وخففت عنه أعمال التعذيب.

وكذلك ذهب أقاربي الآخرون من أمثال اولاد عمومتي آغا كاك خضر

وجوهر حسين ملا الذي كان حاكماً آنذاك الى تكريت حيث كانت هناك علاقة صداقة قديمة مع بعض العوائل التكريتية المتنفذة وعن طريق هؤلاء تم العثور على محمد ايضاً في أحد المعتقلات وكان قد تعرض ايضاً لتعذيب شديد ومعاملة قاسية جداً.

عاد أخي كاك أحمد الى أربيل بعد أن اطمأن على أنور وبعد أن حصل على وعود بأطلاق سراحه قريباً وبعد أن ضمت اسمه قائمة باسماء المعتقلين من أعضاء ومؤيدي الحزب الديمقراطي الكُردستاني المعتقلين.

وبعد مرور فترة وجيزة على ذلك صدر قرار بالقاء القبض على شقيقي أحمد وأعتبر من الناشطين لتأييد الثورة الكُردية، الا ان أخي كاك أحمد لم يستسلم للسلطات هذه المرة بل ظل متجولاً في منطقتنا التي كانت تتجول فيها مفارز الانصار (الپيشمه رگه) ولم تتمكن أجهزة السلطة من الوصول اليه.

وقبل صدور أمر القبض ببضعة أيام عقد أجتماع لرؤساء العشائر في مصيف صلاح الدين أشرف على عقده بدرالدين علي والمسؤولين العسكريين وذلك لكسب ولاء هؤلاء لتأييد الانقلاب، وقد ذهبنا مع شقيقي كاك أحمد بناءً على التعليمات التي وردت من البارزاني وذلك للأتصال برؤساء العشائر هؤلاء ومحاولة كسب تأييدهم للثورة الكُردية وقد أشرت الى تفاصيل ذلك في الجزء الأول من كتابي هذا، وقد تمكننا من اقناع بعضهم بالألتحاق بالثورة الكُردية وكسب صداقة آخرين، أما الأكثرية فقد عادوا الى الأرتزاق وهو عادتهم القديمة التي دأبوا عليها.

ورغم صدور بيان من ماسمي بـ(المجلس الوطني لقيادة الثورة) حول حل القضية الكُردية على أساس من اللامركزية، الا ان الاجراءات التعسفية قد أستمرت ضد المواطنين الكُرد خارج وداخل المناطق الكُردية. كما وأستمرت هذه الأجراءات ضد المواطنين العراقيين في جميع أنحاء البلاد.

وصادف في هذه الأثناء وقوع انقلاب عسكري آخر في سوريا يقودها ايضاً حزب البعث العربي الاشتراكي في ٨ آذار ١٩٦٣ مما جعل ذلك من النظام الجديد في العراق أكثر غروراً وثقةً بالنفس وأقسى وأشد أجراءً ومعاملةً مع جميع الفئات السياسية الأخرى، ولم يكن بيان اللامركزية بشأن حلّ القضية الكُردية على أساسها الا ذراً للرماد في العيون وكسباً للوقت استعداداً لجولة

جديدة من الحملات العسكرية.

بعد صدور أمر القاء القبض على شقيقي كاك أحمد، سافرت أنا الى بغداد لتقصي أخبار أنور ومتابعة الوعود التي حصل عليها كاك أحمد بأطلاق سراحه، وبواسطة الأشخاص الذين ذكرتهم سابقاً تمكنت زوجته فائزة من مقابلته، وكذلك بجهود المسؤولين في الحزب الديمقراطي الكُردستاني فقد قطعت السلطات وعداً بأطلاق سراحه وكان قد قابله سابقاً شقيقي كاك أحمد وأطمأن عليه، وبعد وصولي بغداد أهتديت الى عنوان الموقف الذي أعتقل فيه أنور من خلال زوجته فائزة وكان في أحدى الدور الواقعة في شارع السعدون فذهبت الى هناك ورغم محاولاتي لم يسمح لي بمقابلته، وبقيت انتظر في الباب الخارجي الى أن دخل في تلك الأثناء طلال ناجي شوكت الذي كان من الأعضاء البارزين والنشطين في حزب البعث، وكانت تربطني بطلال معرفة بسيطة بواسطة نسيبه المرحوم الدكتور موفق الزهاوي والذي جاء ذكره في الجزء الأول من هذا الكتاب، وبعد أن حيّاني سألني بأستغراب عن سبب وجودي هناك ولما أفهمته موضوع شقيقي أنور ادخلني الصالة المخصصة للأنتظار وصعد هو الطابق العلوي وبعد مضي بضعة دقائق حضر أنور دون أي مرافق الى الطابق الأرضي حيث قابلته في صالة الأنتظار. وكانت آثار الأعتقال وسوء المعاملة بادية عليه ولما لم يكن هناك من يراقبنا فقد أراني آثار التعذيب على ساقيه وقدميه وظهره. وأخبرته بأني آمل في اطلاق سراحه قريباً فأجاب بأنهم قد اخبروه بذلك ووصلتهم التعليمات اللازمة لذا فقد تغير اسلوب معاملتهم معه.

وفعلاً فقد تم اطلاق سراحه بعد بضعة أيام، اما ابن عمي محمد حسين ملا فقد أُطلقَ سراحه بعد عدة أشهر بعد ان لاقى صنوف التعذيب والفصل من الوظيفة.

وقبل الأحتفال بعيد نوروز ١٩٦٣ بيومين أو ثلاثة، وفي تلك الاثناء قمت بزيارة الوفد الكُردي الذي جاء الى بغداد للتفاوض مع النظام الجديد حول صيغة اللامركزية المزعومة، كان الوفد مقيماً في فندق سميراميس فذهبنا سوية مع أخي أنور بعد اطلاق سراحه وهناك التقيت بكل من جلال الطالباني رئيس الوفد وصالح اليوسفي وتبادلنا الأحاديث والآراء حول الوضع الجديد،

وقد أبديا تفاؤلهما آملين في أيجاد حل مناسب للقضية الكُردية قريباً، وكان الفندق آنذاك مكتضاً بمختلف الزوار الأكراد وكان النشاط يجري في أروقته على قدم وساق وكأنه خلية نحل.

وحضرت الحفل الذي أقيم فيما بعد بمناسبة عيد نوروز وكان يختلف كثيراً عن الحفل السابق الذي حضرته في العام ١٩٥٩ كما ذكرت ذلك في الجزء الأول، وكانت الروح القومية الكُردية مسيطرة على قاعة الاحتفال وعلامات تأييد الثورة الكُردية وقائدها البارزاني ظاهرة للعيان وقد عبر عن ذلك الجمهور الحاشد الذي كان حاضراً في القاعة، وعند حضور اعضاء الوفد لقوا استقبالاً حاراً من لدن الجمهور، وكان هنالك عدد كبير من ممثلي الهيئات الدبلوماسية حاضرين كضيوف.

وخلال الأيام المتبقية من شهر آذار راجعنا أنا وأخي أنور الدوائر المختصة وتمكننا من الحصول على جواز سفر له وفي أوائل شهر نيسان من تلك السنة سافر أنور الى خارج العراق وأستقر في المانيا الأتحادية، ثم لحقته عائلته بعد أنتهاء السنة الدراسية.

ومن الجدير بالذكر بأنه لم يعد الى العراق خلال تلك المدة الطويلة الا في شهر مايس عام ٢٠٠١، وكان موضع ترحيب وتقدير من قبل جميع معارفيه وأقاربه، وأستقبله في مكتبه السيد مسعود البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكُردستاني وكذلك السيد نيچيروان البارزاني رئيس حكومة الأقليم وجميع المسؤولين الآخرين في الحزب والحكومة وكان موضع ترحيب بالغ لمواقفه القومية والوطنية المخلصة.

أعود الى عام ١٩٦٣، فبعد سفر أخي أنور الى خارج العراق وأطمئناني عليه عدت الى أربيل، وفي شهر مايس من العام نفسه سافرت الى بغداد ومعي المرحومة والدتي وكانت تشكو من بعض الآلام في أطرافها وعرضتها على الأطباء، ولم يجر أي تشخيص ظاهر لمرضها وأعطيت بعض الأدوية اللازمة، وفي تلك الأثناء ذهبت ثانيةً الى فندق سميراميس لزيارة الوفد الكُردي فألتقيت بالمرحوم صالح اليوسفي ومنه علمت بأن الطالباني قد سافر الى القاهرة مع الوفد الحكومي ولم يعد، ووجدت الفندق خالياً من الزوار الكُرد بعكس المرة السابقة حيث كان يغص بالزائرين ومليئاً بالحركة والنشاط

كما ذكرت.

ووجدت الأجواء متوترة جداً وأيقنت بأن الوفد لايلقى الا المماطلة والتسويف وأن الاكراد يتجنبون زيارة الفندق أو لقاء أعضاء الوفد بسبب مراقبة رجال الأمن الواقفين في مدخله، ومع هذا فقد وجدت بأن اليوسفي لايزال متفائلاً ويأمل في أيجاد الصيغة المناسبة، وعلمت بأن حبيب محمد كريم أحد أعضاء الوفد قد تمكن من الهرب من الفندق عن طريق خداع رجال الأمن.

وفي أواخر شهر مايس ١٩٦٣، عدت الى أربيل مع والدتي، وبعد يوم واحد أصيبت المرحومة والدتي بمرض كليوي فأدخلتها المستشفى الجمهوري حيث ابقاها صديقنا الدكتور عبدالرزاق الدباغ تحت العلاج وأشرف شخصياً على معالجتها والأهتمام بها.

مغادرتي أربيل والتحاقي بالثورة الكُردية

كانت الأجواء شديدة التوتر بصورة عامة وأفراد الحرس القومي يجوبون الشوارع والأزقة للأعتداء على المواطنين وتهديدهم، ونتيجة هذه التصرفات والاعتداءات فقد أضطر الى مغادرة أربيل كل من كان له نشاط ما أو كان عضواً معروفاً في الحزب الديمقراطي الكُردستاني والتجأ الى مناطق الثورة أو الى المناطق التي لاتطالها أيدي السلطة، وكان الوضع كذلك في المدن الكُردية الأخرى، ولكنني أوردت ما كان يدور في أربيل بسبب اقامتي في هذه المدينة ولأن هذه التصرفات كانت تجري أمام عيني، هذا اضافةً الى ماكان يدور في جميع أنحاء العراق.

ورغم حراجة موقفي ودقته ورغم هذه الظروف الصعبة، فقد ارتأيت البقاء في أربيل وتحمل المشاق بسبب وجود شقيقي كاك أحمد خارج أربيل وكان مطلوباً من السلطات ولعدم وجود فرد آخر من أفراد عائلتنا لتمشية أمورنا والاشراف عليها ولوجود التزامات تجارية وأقتصادية كبيرة لنا ولأن الموسم الزراعي وجني المحاصيل كان على الأبواب أو قد باشر فعلاً ولم يكن هناك من يشرف أو يهتم بجمعه، وكان أكثر اعتمادنا على حلول ذلك الموسم لتمشية أمورنا، وكنت قد أتصلت ببعض الأصدقاء الذين يعملون في الأجهزة الأمنية والحكومية وكانوا من الذين يتعاطفون مع القضية الكُردية وممن لهم مواقف مشرفة، فوعودوني أن يحيطوني علماً بأي طاريء، وكنت الاحظ – وبعكس الأيام الماضية– بأن أحد رجال الشرطة السريين وأحد عملاء المخابرات كانا يتناوبان مراقبة مكتبنا التجاري ويجلسان طيلة النهار في المقهى المقابل لمكتبنا وكانا يدخلان أحياناً مكتب المرحوم جلال عبدوك المختار المجاور للمقهى والمقابل لمكتبنا ايضاً، وكان جلال يعرفهما شخصياً فيمزح معهما ويؤشر لمكتبنا ويضحك وثم ينقل لي أخبارهما وسبب وجودهما.

ذهبت الى مكتبي في عصر اليوم الرابع من حزيران ١٩٦٣ ولاحظت بأن الأوضاع متوترة أكثر من السابق ولاحظت نشاطاً غير عادي لرجال الأمن

ولوحدات القوات المسلحة، فقضيت فترة قصيرة في المكتب وقفلت راجعاً الى داري وأنا قلقٌ ومهموم، ومكثت تلك الليلة في الدار وأنا أضرب أخماساً بأسداس، وفي الصباح الباكر أي في الخامس من شهر حزيران سنة ١٩٦٣ تركت الدار متجهاً نحو مكتبي ومئات الأفكار والخواطر كانت تتوارد في ذهني، ولم يدر في خلدي انها ستكون المرة الأخيرة التي أرى فيها تلك الدار.

وبينما أنا في طريقي الى المكتب صادفت رتلاً طويلاً من العربات العسكرية محملة بالجنود المدججين بالسلاح وبكامل بدلاتهم القتالية وكافة اللوازم، وكذلك قطعات أخرى من العربات المدرعة وعربات أخرى تسحب وراءها مدافع ميدان ثقيلة، وقّدرت تلك القوة بجحفل لواء ورأيتها متجهة نحو طريق اربيل–مخمور.

وفي جبل قره چوغ الذي يفصل سهل قراج وقصبة مخمور عن سهل ومنطقة كنديناوه، كان يوجد مقر مؤقت للأنصار، وكان يتواجد في ذلك المقرّ أفراد الپيشمه ركه الذين هم من أهالي سهل أربيل والمناطق المحيطة بالمدينة. وكان ذلك المقر الوقتي قد أسس بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ وأثناء فترة الهدنة بين قيادة الثورة الكُردية وسلطات الانقلاب، وكان شقيقي كاك أحمد قد أنضم الى المقر المذكور قبل ذلك التأريخ بأيام قليلة، وجبل قره چوغ هذا يمتد بين الزابين ولاتتواصل نهايته مع أية سلسلة أخرى من الجبال بل هو شامخ لوحده في هذه المنطقة السهلة المعطاء ويفصل بين سهلي قراج وكنديناوه الخصبتين والغنيتين بالثروات النفطية، وقد سبق ان ذكرت في الجزء الأول من هذا الكتاب قصة غزو سهل قراج من قبل العشائر العربية في العهد العثماني وكيفية دحر ذلك الغزو من قبل عمي المرحوم ابراهيم بايز (ابراهيم آغا)، ولازالت سياسة التعريب هذه قائمة بالنسبة لهذه المناطق، وتنفذ الآن بأبشع صورها من قبل السلطة المركزية، أن منطقة كُردستان تعتبر واحدة من أغنى المناطق في العالم بالنسبة للثروة النفطية وخصوبة أراضيها، وأن ثلاثة من أكبر آبار النفط في العالم تقع في كُردستان، وأن أكبر وأوسع بئر نفط في العالم يقع في منطقة كنديناوه وهو بئر ساره لو (دربند ساره لو) قرب الشاطيء الغربي للزاب الصغير ويبلغ انتاجه اليومي (مائة ألف برميل) من

النفط الخام!!، فلا غرابة في أن تكون المنطقة دائماً معرضة للأطماع، لذا كانت تلك القوة التي ذكرتها متوجهة الى المنطقة المذكورة كبداية لخطة التعريب المعدة تنفيذها في أجزاء عديدة من كُردستان.

أعود الى وضعي الشخصي، فبعد أن قضيت فترة قصيرة في المكتب جاءني أحد الأقارب مبعوثاً من قبل المرحوم عبدالستار شكر أحد ضباط الشرطة والذي كان يعمل في دائرة الأمن. وكان هذا الضابط تربطه بنا علاقات صداقة قديمة وكان من ذوي المواقف المتعاطفة مع الثورة الكُردية ولايخفي عنا أي أجراء كانت السلطة تنوي أتخاذه ضدنا، فأخبرني قريبي ذاك عن لسان الضابط المذكور بنية السلطات القاء القبض عليَّ في الصباح الباكر من اليوم السادس من حزيران سنة ١٩٦٣ وأن قوائماً قد أوردت بأسماء الذين سيلقى القبض عليهم، ويتم التنفيذ بالنسبة لهؤلاء في اليوم التاسع من الشهر نفسه، وعلى أثر ذلك تركت مكتبي وذهبت الى دار أحد أبناء عمومتي وهو حسن كانبي دزه يي، وكانت داره تقع في محلة طيراوه، وكان موعد مغادرة والدتي للمستشفى هو بعد ظهر ذلك اليوم، فلم أتمكن من الذهاب الى المستشفى شخصياً بل أرسلت أحد أقاربي المتواجدين في تلك الدار وهو عثمان شقيق حسن كانبي، الذي ذهبت الى داره وطلبت من عثمان مرافقة والدتي الى دار شقيقي كاك أحمد في محلة آزادي وأخبارها بأنني لن أتمكن من المجيء الى المستشفى لأنشغالي بأمور هامة، كما أوصيت الشخص نفسه بأقتناء بدلة ملابس كُردية وأحضارها لي سريعاً، وبعد أن ارتديت تلك الملابس ارسلت في طلب عّمتي أم كاكه –وهي والدة زوجتي– بأن تحضر الى تلك الدار وتجلب معها ولدي (شيروان) الذي كان يبلغ الثامنة من عمره و(بارزان) الذي كان عمره أقل من خمس سنوات وكذلك أحضار قطعة السلاح العائدة لي والموجودة في الدار.

وحضرت أم كاكه ومعها الأولاد وقطعة السلاح وبعد أن أفهمتها بنيتي في الألتحاق بالثورة الكُردية أيدتني وشجعتني دون أن يفهم الأولاد أي شيء، وكانت المرحومة عمتي هذه من المؤيدات للثورة الكُردية وكان وضعها المالي لابأس به يومذاك، فكانت دوماً تبعث بالمساعدات والملابس الجاهزة للثوار،

وعندما تذهب صيفاً الى قريتها (پيرداود) القريبة من مدينة أربيل تستضيف دوماً في دارها وبطرق سرية الكوادر الحزبية وأفراد الپيشمه رگه، ريثما يكملون مهماتهم لذا اصبحت معروفة في أوساط الثورة في المنطقة وبين الكوادر الحزبية. وثم ناولت الاطفال بعض النقود وأفهمتهم بأنني مسافر لبضعة أيام فعادوا جميعاً الى الدار.

وبينما كنت أنتظر غروب الشمس لمغادرة مدينة أربيل اذا بأحد أقاربي الآخرين وهو المرحوم يوسف عزيز يدخل فجأة، ولما كان على علاقة ببدرالدين علي متصرف أربيل وببعض الضباط الآخرين فقد راودتنا المخاوف بعد أن شاهدني وأنا أرتدي الزي الكُردي، قال لي فجأة:«انك ملتحق بالمتمردين»!، فأنكرت ذلك وأخبرته بأنني ذاهب الى قريتنا للأشراف على الحصاد، فترك الدار وأيقننا بأنه ذاهب للوشاية بي، فتركت الدار المذكورة وذهبت الى دار أخرى تعود لقريبنا الآخر وهو الدكتور محمد أحمد دزه يي المشهور بـ(الدكتور سه رسوور) نظراً لشعره الأحمر.

وكنت قد أرسلت خبراً لأبن عمي ابراهيم رحمان آغا الذي وصل بعد صلاة العشاء ومعه سيارة جيب خصوصية يقودها المدعو خسرو نورالدين وهو من الفرسان المرتزقة ومن عائلة الميران في شقلاوه ويمت الينا بصلة قرابة وصداقة عائلية قديمة؛ كان خسرو شاباً في مقتبل العمر ومعه خمسة أو ستة رجال مسلحين، وكنت على عجل أريد المغادرة بأسرع وقت حتى أنني لم أتناول طعام العشاء وذلك خوفاً من قيام يوسف عزيز الذي ذكرته سابقاً بالوشاية بي، وعلمت فيما بعد بأن يوسف قد عاد في اليوم الثاني وأخبر أهل الدار بأنه كان واثقاً من التحاقي بالمتمردين!! (ولكن كيف يخطر ببالهم بأنني سوف أشي به؟ هذا محال أن أقوم به).

استقليت السيارة المذكورة وجلست في المقعد الخلفي بين الرجال المسلحين كان يقودها خسرو بنفسه، وقد كان مقرراً أن يوصلني الى ضواحي المدينة وخارج الطرق العامة لتنقلني سيارة أخرى تنتظرني هناك، وقد جرى ترتيب كل ذلك من قبل سائق سيارة الأجرة المدعو (الحاج سليمان الحاج صادق) بعد أن أخبره أبن عمي ابراهيم رحمان آغا بالموضوع، كان المرحوم الحاج سليمان

عضواً نشيطاً في الحزب الديمقراطي الكُردستاني وكان يعيش في قرية (سوربه ش) القريبة من قريتنا اضافةً الى انه كان قد اقتنى سيارته تلك من مكتبنا منذ سنة ١٩٥٥ وكان على معرفة جيدة بنا وصديقاً لنا.

أعود فأقول، ذهبت مع خسرو بسيارته وعند وصولنا الى الشارع الفاصل بين محلة سيداوه وبقية مناطق أربيل اذا بسيارة عسكرية مدرعة (من ناقلات الجنود) تسبقنا وتشير لنا بالوقوف، ففعلنا ونزل عدد من الجنود وأفراد الحرس القومي من العربة المذكورة وعرفت من بينهم المدعو (ياسين القصاب) ذلك الشرطي السيء الذي أشرت اليه في الجزء الأول من هذا الكتاب والذي كان يلاحقني بعد اشتراكي في أحدى المظاهرات في كانون الثاني من العام ١٩٤٩، الا انه ومن حسن حظي لم يتقدم نحو سيارتنا بل ظل واقفاً جنب العربة المدرعة، متأبطاً سلاحه الآلي، وتوجه شخص آخر نحونا والقى نظرة سريعة داخل السيارة وتعرّف على صاحبها ولم يجل النظر كثيراً في داخلها وأمر بالأنصراف متبادلاً كلمات التحية والمحبة مع خسرو، فتنفسنا جميعاً الصعداء وتركنا المكان مسرعين، وفي أول فرصة خرج خسرو من الشارع سالكاً طريقاً ترابياً شرقي المدينة، وبعد دقائق شاهدنا سيارة واقفة في أحد المنخفضات تعرفت عليها فوراً فكانت سيارة صديقنا الحاج سليمان، وبعد أن رحبّ بيَّ واستقبلني ضاحكاً، ودعت خسرو ورجاله وشكرتهم على تعبهم وصعدت سيارة الحاج سليمان وتوجهنا نحو طريق كويسنجق، وتبادلنا مختلف الأحاديث، ونظراً لوعورة الطريق آنذاك حيث لم يكن مبلطاً بعد وكان من الصعب أن تجتازه السيارات الصالون لذا فأن الحاج سليمان أوصى سيارة أخرى من نوع الجيب لأنتظاري في قرية حصاروك التي كانت تعود ملكيتها لنا، فنزلنا في دار المرحوم الحاج قادر وسمان وكيلنا في القرية المذكورة لأدارة أعمالنا.

وبعد استراحة قصيرة في دار الحاج قادر غادرتها بالسيارة الأخرى وكانت تعود لأحد الحزبيين ايضاً، وودعت الحاج سليمان الذي رفض استلام أجور السيارة، كما ودعت الحاج قادر وأوصيته بأن يذهب الى دارنا ولتطمينهم بسلامة مغادرتي الى كويسنجق، والذي ذهب في الصباح الباكر الى دارنا ووجدها محاطة بقوات الجيش والأمن لألقاء القبض عليَّ وبصعوبة تمكن الحاج قادر من النجاة بنفسه.

أيامي في كويسنجق

وصلت كويسنجق في ساعة متأخرة من الليل وتوجهت الى دار المرحوم كاكه زياد (محمد زياد آغا الغفوري) وهو صديقنا وقريبنا في نفس الوقت ومن الشخصيات الوطنية والقومية البارزة وأشغل منصب النائب الثاني لرئيس الحزب الديمقراطي الكُردستاني عند تشكيله في السادس عشر من آب سنة ١٩٤٦ بناءً على توصية مؤسس الحزب ورئيسه الزعيم الراحل مصطفى البارزاني. وفي دار كاكه زياد التقيت بكل من علي عبدالله وعمر مصطفى الملقب بـ(عمر دبابه) وكانا عضوين في المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكُردستاني ومن أصدقائي القدماء وكذلك التقيت بأصدقاء آخرين ورحبوا بيَّ جميعاً وقضينا بعض الوقت معاً واستغربوا لحضوري فرويت لهم تفاصيل الوضع وقضيت تلك الليلة هناك، وفي اليوم التالي غادر علي عبدالله كويسنجق عائداً الى منطقة عمله في ماوه ت بمحافظة السليمانية حيث مقر المكتب السياسي في تلك المنطقة.

قضيت نهار السادس من حزيران في دار كاكه زياد حيث جاء الكثيرون للسلام عليَّ والترحيب بيَّ، وفي ساعة متأخرة من مساء ذلك اليوم، وصلت الدار سيارة جيب أخرى عائدة لسائقها محمد عزيز الملقب (محمد به ربه يار) وهو من أعضاء الحزب ومن معارفي القدماء وكان يعمل قبل التحاقه بالثورة في گراج السيارات الواقع مقابل مكتبي والعائد للمرحوم جلال عبدالله المختار (جلال عبدوك) الذي أشرت اليه سابقاً وكان يلتقي بنا كثيراً ويتردد على مكتبي، وكان يرافقه شخص آخر هو محمد مولود من قريتنا ومن اتباعنا ومعتمدينا الشخصيين ومن المقربين الينا منذ القدم، وكان والده مولود هدايت من أقرب مرافقي والدي ومن أشجعهم وشقيقه المرحوم سليمان كان من ضباط الجيش القدماء ومن اصدقاء شقيقي كاك أحمد المقربين وتوفي في لبنان سنة ١٩٤٦ حيث كان يعالج من مرضه وهو لايزال في ريعان شبابه. ولما سألتهم عن سبب قدومهم أخبروني بأن قوة عسكرية كبيرة قد وصلت المنطقة وباشرت بالهجوم على مقر الأنصار في أحدى القرى الواقعة في سفح جبل قره چوغ

الذي اشرت اليه سابقاً، ووقعت معركة كبيرة دامت النهار كله وتكبد الجيش والمرتزقة خسائر فادحة واضطرت قوات الجيش للأنسحاب بعد أن تركت جثث القتلى في ميدان المعركة، فصدق حدسي عندما شاهدت تلك القوة في اليوم السابق وهي متوجهة الى طريق مخمور.

وقد ذكر القادمون المذكورون بأن الأنصار ايضاً باشروا بسحب مقرهم الى جبل (ديده وان) وذلك لنية الجيش في تعزيز قواته ومحاصرة الجبل في اليوم التالي، وأنهم قد جاءوا طلباً للعتاد واللوازم الأخرى، وقد اندهشوا هم أكثر لمشاهدتي، وبعد فترة وجيزة وبعد أن حصلوا على العتاد المتوفر عادوا الى مقرهم الجديد، وأغتنمت هذه الفرصة فحررت رسالة الى شقيقي كاك أحمد المتواجد في ذلك المقر كما أخبروني والذي شارك الأنصار في تلك المعركة، وشرحت له في الرسالة تفاصيل الوضع وأسباب التحاقي بالثورة.

بعث عمر دبابه الذي كان منسباً من قبل قائد الثورة مصطفى البارزاني للأتصال بالسلطات، ببرقية الى قيادة الفرقة الثانية والجهات المختصة الأخرى محتجاً على اعتداء الجيش على مقرات منتسبينا في جبل قره چوغ، وقد ورد الجواب بأنه لا علم لهم بوجود مقرات لقواتنا من الپيشمه رگه في تلك المنطقة، وكان واضحاً من البرقية الجوابية ان السلطات تريد التماطل وتحاول كسب الوقت لحين حلول ساعة الصفر وشنّ هجومهم العام.

كان من الممكن بالنسبة لي البقاء في مدينة أربيل وتحمل الوضع فكنت أتعرض للتوقيف لبضعة أشهر ثم يطلق سراحي أسوة بالآخرين، أو كان من الممكن أن يكون الموقف أسوأ بكثير من ذلك بالنسبة لي وقد تكون حياتي معرضة للخطر، ولكن في جميع الأحوال لم يكن بوسعي تحمل هذه الأوضاع والأعتداءات والاهانات من العدو والمرتزقة. وكان من غير الممكن القبول بهذا الظلم والاضطهاد الذي يجري أمام عينيَّ، والمرتزقة والحاقدون يصولون ويجولون ويعتدون على الناس الآمنين، وكان من غير الممكن تحمل الشماتة والسخرية والاهانات من الحشالات، لذا قرّ رأي بعد تفكير طويل على الألتحاق بالثورة الكُردية مهما كانت النتائج.

وعلمت فيما بعد وعند عدم العثور عليَّ في داري اثناء التحري عني بأنه قد القي القبض على عائلتي بجميع افرادها وحتى الأطفال الرضع وكذلك على

عمتي أم كاكه. وتعرضت بقية أفراد الأسرة -عائلة شقيقي كاك احمد ووالدتي- للمطاردة والملاحقة. كما وعلمت ايضاً بأن شقيقي الأصغر عمر الذي كان يدرس خارج العراق وكان متواجداً في أربيل لقضاء أجازته وكذلك وريا ابن شقيقي كاك احمد قد التحقا بصفوف الثورة نتيجة الضغوط والملاحقة التي لقياها، وكذلك بعد أن هاجمت قوات الجيش والمرتزقة دورنا الريفية في قرية دوگردكان واضرموا النار فيها ونهبوا ممتلكاتنا ومحاصلينا الزراعية.

وخلال الأيام القليلة من وجودي في كويسنجق كان الوضع العام سيئاً للغاية وعلى وشك الانفجار، وكان من الواضح ان النظام الجديد سوف يشن الهجوم بين ساعة وأخرى وأنه بانتظار ساعة الصفر فقط، وان قوات الپيشمه رگه أخذت تستعد وتتهيأ تحسباً لكل طارىء.

كان من غريب الصدف أن يكون ضابط الشرطة ابراهيم الطائي الذي أشرت اليه سابقاً في الجزء الأول من هذا الكتاب، معاوناً لمدير الشرطة في كويسنجق، ومسؤولاً عن الشرطة وأفرادها في ذلك القضاء، جاء في أحد الأيام على استحياء للسلام عليَّ وعيونه تطلب الغفران والمساعدة وانقاذه من المأزق الذي هو فيه، فرحبت به وجاملته كثيراً وطيبت من خاطره لئلا يّحس بأي شعور غير ودي تجاهه، كان مركز الشرطة تحت رحمة الپيشمه رگه ولم يكن فيه الا فصيل واحد من الشرطة وجميع أفراده من الكُرد بحيث يمكن السيطرة عليه خلال دقائق ودون مقاومة.

أخذ الموقف في التأزم كثيراً وأصبح القتال وشيكاً والهجوم العسكري للنظام بات أمراً محتوماً وفي أية لحظة، وبدأ أهالي كويسنجق بمغادرتها تدريجياً والتوجه الى رانية وقلعه دزه أو الى القرى الواقعة خارج المدينة ويصعب وصول الجيش اليها.

كنت أتنقل خلال هذه الفترة أي منذ وصولي كويسنجق ولحين نشوب القتال بين دار كاكه زياد ودار نجله محمود آغا وكذلك كنت اتبادل الزيارات مع بعض الاصدقاء والاقارب ممن لم يغادروا المدينة بعد، ولما كانت لعائلتنا اصدقاء وأقارب كثيرون في كويسنجق وكما كانت والدتي ترتبط بصلة قربى بعوائل كثيرة هناك، لذا لم أكن غريباً عنها بل كأنني من أحد ابنائها، فكنت

موضع تقدير وأحترام كبيرين عند الجميع وكانت لي مكانة خاصة عند الكثيرين بسبب وضعنا العائلي ومركزنا الاجتماعي وخاصةً لتمتع شقيقي كاك احمد بأحترام كبير في مجتمع تلك المدينة، وكذلك بسبب هذه الظروف الصعبة التي اوقعنا فيها الدهر وهم يعرفون سابقاً نمط حياتنا المرفهة، كما وكنت أيضاً موضع ترحيب خاص من قبل الوطنيين والحزبيين وكل من له علاقة بالثورة، لأختياري هذا الطريق والتضحية بمصالحنا وأوضاعنا.

وهكذا اقتربت ساعة الصفر لحظة بعد الأخرى والكل ينتظر ذلك بالقلق، ويكشف النظام الجديد عن وجهه الحقيقي ونياته السيئة تجاه الشعب الكُردي.

نشوب القتال

في مساء التاسع من شهر حزيران من العام ١٩٦٣ وفي الساعة العشرين (أي الثامنة مساءً)، أذيع من راديو بغداد البيان المشؤوم لما كان يسمى بـ(المجلس الوطني لقيادة الثورة) وكان عبارة عن لهجة الاستخفاف بالثورة وقيادتها وفيها الغرور والعجرفة والادعاء الكاذب، وينذر البيان الشعب الكُردي وقيادة الثورة التي سماها بـ(المتمردين) بالقاء السلاح والاستسلام وان الجيش سوف يذهب في (نزهة) الى كُردستان ويقضي على هذا التمرد حسب قول البيان، ودلت صيغة البيان على الحقد الدفين ضد الشعب الكُردي وعلى عنصرية النظام الجديد.

باشر النظام بالعمليات العسكرية في فجر العاشر من شهر حزيران أي بعد بضع ساعات فقط من أعلانه البيان المشؤوم، وهكذا بدأ القتال في جميع أنحاء كُردستان وأضطرت قيادة الثورة الكُردية الى الدفاع عن وجود الشعب الكُردي في القتال الذي فرض عليه وضد أشرس حملة منذ قيام الثورة الكُردية، وهكذا بدأت مرحلة جديدة من حياتي بأنضمامي اليها وبقائي في صفوفها وصفوف الحزب وقيادتهما ولحد الآن.

ذكرت سابقاً بأنه بعد أن اذاع راديو بغداد وأجهزة الاعلام الحكومية الاخرى البيان المشؤوم والشهير الصادر عما كان يسمى بـ(المجلس الوطني لقيادة الثورة) في مساء اليوم التاسع من حزيران سنة ١٩٦٣ أصبح من الواضح أن ذلك كان بمثابة اعلان حرب جديدة على الشعب الكُردي، وكان غرض النظام الجديد الذي استولى على الحكم في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ من الاعلان عن رغبته في حل القضية الكُردية بالطرق السلمية التسويف والمماطلة وكسب الوقت لأستعداده وتنظيم صفوفه والتهيؤ لشن هذه الحملة الشعواء التي كانت مخططة لها اساساً وحتى قبل الانقلاب، وباء بالفشل جميع المحاولات والجهود التي بذلها قيادة الثورة الكُردية لأيجاد حل سلمي عادل، ولم يكن الأشهر القليلة من الهدنة الا لذّر الرماد في العيون ولحاجة النظام لذلك.

ومع انني لم أكن مطلعاً على الأمور آنذاك، ولكن من المؤكد بأن قيادة

الثورة الكُردية وخاصةً شخص البارزاني لم يكن يثق بوعود النظام والسلطة الجديدة وكان يعلم حق العلم بأن ذلك النظام ليس ممن يؤمن بالحقوق القومية للشعب الكُردي، ولكن توجهات البارزاني السلمية ورغبته في مسايرة العروض السلمية والترحيب بها مهما كان مصدرها جعلت قيادة الحزب والثورة الكُردية تستقبل هذه العروض بالترحاب.

بعد صدور هذا البيان وردت برقية من البارزاني كقائد عام للثورة الكُردية يأمر فيها جميع قوات الانصار بالدفاع عن مواقعها ومواجهة هذه الحملة الشرسة. فبالنسبة لتواجدي في منطقة كويسنجق وجدت بأنه قد تم توزيع القوات المدافعة وخاصةً في الطريق القادم من أربيل الى المدينة.

ففي فجر العاشر من شر حزيران سنة ١٩٦٣ نهضنا مبكرين جداً -وكان بالنسبة لي هي المرة الأولى منذ سنوات- وتجمعت قوات الأنصار الموجودة في كويسنجق وكذلك الكوادر الحزبية في مقر اللجنة المحلية للحزب وحضر عمر دبابه عضو المكتب السياسي والمسؤول عن تلك المنطقة ومعه بضعة پيشمه ركه مسلحين، فأنضممت الى هذه القوات مع مضيفي محمود كاكه زياد وخرجنا من المدينة سيراً على الاقدام متجهين نحو منطقة جبلية في ضواحي المدينة وتقع في الجانب الغربي منها تجنباً للغارات الجوية عندما أخذت الطائرات تحوم فوق المدينة وتقصف مع بزوغ النهار ضواحيها وخاصةً طريق اربيل-كويسنجق، اما بالنسبة للپيشمه ركه الآخرين فقد وصلتهم الأوامر في الليلة السابقة وأخذوا الأستعدادات اللازمة في مواقعهم على ذلك الطريق، وباشرت قوات الجيش بالتحرك من أربيل متجهة نحو كويسنجق في الصباح الباكر من ذلك اليوم، ودارت معارك حامية على طول الطريق غير المبلط والذي يبلغ طوله سبعون كيلومتراً، وبعد يومين أو ثلاثة كانت معارك طاحنة تدور رحاها في (دربند گومه سپان) وثم في (ديگه له) العاصيتين نسبياً، وأستمر القتال لمدة أثنا عشر يوماً تكبد الجيش خلالها خسائر فادحة على الرغم من عدم تكافؤ قوات الطرفين بل كان هنالك فرقاً كبيراً جداً بين الطرفين المتحاربين من ناحية العدد والعدة.

وكنت على درجة كبيرة من الحماس والاندفاع وعلى استعداد كامل للمشاركة في هذه المعارك وكان يعزّ عليَّ أن نبقى بعيدين عن ساحة القتال

وعن الجبهة ونتفرج من بعيد، وكانت لي رغبة شديدة في أن أكون في ميدان المعارك، وبعد تداول الأمر مع المسؤولين والقادة الموجودين من أمثال عمر دبابه والضابط الكُردي المخضرم بكر عبدالكريم الملقب بـ(الرئيس بكر) والذي كان من أوائل الضباط الملتحقين بثورة أيلول، وكذلك من الذين شاركوا في ثورة بارزان سنة ١٩٤٥ ومن الذين رافقوا البارزاني الى جمهورية كُردستان في مهاباد ودافعوا عنها، بعد المداولة مع هؤلاء تقرر الذهاب جميعاً الى منطقة قريبة جداً من ساحة المعركة ومشرفة عليها بحيث يمكن منها مشاهدة القتال بالعين المجردة وكان من السهل في تلك المنطقة الاتصال بقواتنا وأصدار التعليمات لها وتزويدها بحاجتها من العتاد والذخيرة واحتياجاتها الاخرى من المؤن.

كنا نعود مساء كل يوم وعند غروب الشمس بعد أن يهدأ ميدان القتال لأن الجيش العراقي قلّما كان يتحرك ليلاً في ذلك الوقت، وقلّما كانت الطائرات تقوم بأي نشاط ليلي، لعدم توفر أجهزة الطيران الليلية لديها، ولأن الجيش كان يخشى الكمائن ليلاً. وكنت أعود مع مضيفي محمود آغا كاكه زياد للأقامة في داره التي غادرتها عائلته وأطفاله الى منطقة رانية وكنا نقوم بخدمة انفسنا وتهيئة الطعام لسدّ رمقنا.

لم يكن لدى الپيشمه ركه غير البنادق وعدد قليل من الأنواع القديمة من الرشاشات ومع ذلك فقد قاوموا مقاومة الأبطال، وكانت طبيعة الأراضي في كُردستان وجغرافيتها خير حامٍ لهذه القوات التي لم تكن تملك المضادات الجوية ولا الأسلحة المضادة للدروع.

أما وضع مركز الشرطة التي كان يرأسها الضابط ابراهيم الطائي كما ذكرت، فقد استسلم في اليوم الأول وبعد صدور البيان المشؤوم مباشرةً ودون مقاومة وبدون اطلاق عيارة نارية واحدة من أيّ من الطرفين، وسلّم الطائي كافة الأسلحة والأعتدة المتوفرة في المركز وأجهزة الأرسال وكافة الموجودات الأخرى، وانضّم جميع افراد فصيل الشرطة، وكان يبلغ عددهم حوالي ثلاثين شرطياً الى صفوف الپيشمه ركه فكانوا جميعاً من الأكراد، وأذكر أن أحدهم كان من اخوتنا المسيحيين واسمه (توما) على ما أعتقد قال بأنه لايستطيع أن يحمل سلاحاً ولكنه يصلح أن يكون طاهياً جيداً لقوات الپيشمه ركه.

أما الضابط ابراهيم الطائي فقد اعتبر أسير حرب وعومل معاملة خاصة وودية، وكان يتجول طليقاً في المدينة لعدة أيام، وبعد ذلك تّم تسفيره بعيداً الى قصبة ماوه ت في محافظة السليمانية وذلك بسبب تعرض المدينة للقصف الجوي وحرصاً على سلامته، وكان معسكر الأسرى والمعتقلين في ماوه ت.

قلت بأنه بعد مضي أكثر من عشرة أيام وبعد أن تكبد الجيش خسائر كبيرة في صفوفه تمكن من الاقتراب من المدينة، وفي مساء اليوم الثاني والعشرين من شهر حزيران وصلت تلك القوات الغازية الى مشارف كويسنجق وعسكرت عند تلّة (گردچادر) التي تبعد حوالي خمسة كيلومترات عن المدينة، أما البيشمه ركه المقاتلون فقد انسحبوا الى جبل هيبت سلطان وأخذوا مواضعهم هناك كخط دفاعي جديد.

كان أهالي المدينة قد اخلوها منذ بداية الحرب ولم يبق فيها الا المسّنون وبعض الموظفين والذين تدعو ظروف حياتهم الى بقائهم في منازلهم ولاتساعدهم ظروفهم المعاشية على مغادرتها، كانت الطائرات تقصف جميع الطرق الخارجة من كويسنجق وخاصةً الطريق المؤدي الى رانية، فكانت تقصف المارة من المدنيين والعوائل دون تمييز وقد أصيب الكثير من السكان من الشيوخ والنساء والاطفال نتيجة ذلك. وحتى أن بعض سائقي سيارات الأجرة قد اصيبوا بالجراح ايضاً وكنت أعرف أحدهم وهو حسن حمد جاسم منذ أيام دراستي في كلية الحقوق ببغداد فكان شرطياً سائقاً لدى معاون مدير الشرطة العام لواء الشرطة صالح عبدالوهاب والذي كان سابقاً مديراً لشرطة أربيل ولنا معرفة معه. وأذكر بأنني قد أوصيت بمعالجته في أحد مراكز التمريض العائد للثورة الكُردية.

احتلال كويسنجق

وفي فجر الثالث والعشرين من حزيران غادرنا المدينة نحو المقر الخلفي لنا في (سويره له) وهي عبارة عن مضيق جبلي في النهاية الشرقية من سلسلة جبل هيبت سلطان والتي تبعد حوالي اثنا عشر كيلومتراً من كويسنجق في شمال شرقها، وكانت الطائرات تحوم فوق رؤوسنا وتقصف المارة ونجونا عدة مرات بأعجوبة، وفي طريقنا كنا نشاهد طلائع القوات الغازية ودباباتها تدخل المدينة والتي باشرت فور دخولها بالبطش بسكانها الآمنين، وكان يقودها الضابط سيء الصيت المقدم الركن طه الشكرچي، وهو ضابط من مدينة الموصل لديه حقد أعمى ضد الكُرد وكان من القوميين العنصريين المكروهين حتى من أكثر زملاءه الضباط، وعند دخوله المدينة أمر بالقاء القبض على عدد كبير من المواطنين حتى الذين ذهبوا لأستقبال قواته الغازية، وأختار ستة أفراد منهم بدون تحديد وبدون السؤال عن اسمائهم أو الاطلاع على هوياتهم وقيدوهم بشدهم الى أعمدة الكهرباء وأعمدة المباني في الشارع العام الرئيس في المدينة وفتحوا عليهم النار وأعدموهم رمياً بالرصاص امام انظار المتواجدين من سكان المدينة.

وذكرت بأن بعض السكان قد التجأ الى القرى المجاورة وخاصةً الجبلية القريبة من كويسنجق والتي لم يكن في الحسبان أن تصل اليها قوات الجيش، واثناء تجوال أحدى مفارز الجيش في احدى القرى القريبة من كويسنجق وجدوا فيها المرحوم عبدالرحمن الحاج أسعد مع عائلته وأولاده، وكان هو من الشخصيات المعروفة في كويسنجق وكان من الأثرياء سابقاً الا أن وضعه الاقتصادي قد ساء في السنوات الاخيرة التي سبقت غزو كويسنجق، وكان المذكور بديناً جداً ويجد مشقة كبيرة في السير والحركة، وفور وصول تلك المفرزة القرية التي التجأ اليها عبدالرحمن الحاج أسعد أقتادوه قسراً نحو كويسنجق، ولما كان يصعب عليه السير اراد ابنه الشاب الذي لم يكن يبلغ العشرين من عمره مساعدته، فما كانت من المفرزة الا ان تقوم بأطلاق النار عليهما كليهما واردتهما قتيلين وتركت جثتيهما امام انظار بقية افراد عائلتهما، وهكذا فأن تصرفات أي جيش احتلال لبلد أجنبي لم ترق لهذا الحد.

معارك جبل هيبت سلطان

قامت قواتنا بالتحشد في جبل هيبت سلطان شمال كويسنجق والذي يشرف على المدينة واعادت تنظيم صفوفها واستلم القيادة عبدالله آغا پشدري الذي كان يقود جبهة سفين ايضاً، وبعد وصول قوات الجيش مدينة كويسنجق واستقرارها فيها انضمت اليها وحدات أخرى قادمة من كركوك عن طريق طق طق وبعد ذلك بدأت بشن هجومها على جبل هيبت سلطان، الا ان الهجمات المتكررة قد فشلت كلها أمام شدة مقاومة الأنصار المدافعين، وفي هذه الاثناء حضر مقرنا في (سويره له) كل من الضباط المقدمين نافذ جلال ونامق عبدالله وهما من أسرة (حويزي) المعروفة في كويسنجق والتحقا بصفوف الثورة بعد انقلاب الثامن من شباط، وقد عرضا خدماتهما، وقد طلب منهما عمر دبابه التأكد من صحة المواقع الدفاعية لقواتنا في جبل هيبت سلطان ومدى متانتها وقدرتها على الصمود أمام هجمات الجيش، وبعد تفتيشها لها ابديا رضاهما عنها.

وفي هجوم آخر للجيش والذي فشل ايضاً، جرح عبدالله پشدري قائد جبهتنا وقد تم اخلاؤه وأرسل للمعالجة، وأستمرت الهجمات طوال اسبوع كامل وانضم الى قواتنا المدافعة فصيل من سهل أربيل وهو فصيل المرحوم فارس حمد باوه المشهور بشجاعته، وقد ابدى الفصيل المذكور شجاعة بطولية فائقة في الدفاع عن الجبل المذكور، رغم ان ذلك كان تجربتهم الأولى في القتال في تلك المواقع الجبلية، وكنت أعرف أكثر افراد ذلك الفصيل لأنهم كانوا جميعاً من سكان منطقتنا في سهل دزه يي أو سهل أربيل.

واستمر ذلك الوضع اسبوعاً كاملاً تكبدت خلاله قوات الجيش خسائر كبيرة وعدداً هائلاً من القتلى ووقع من جانبنا أربعة شهداء فقط طوال تلك المدة.

وفي الثلاثين من شهر حزيران، تمكنت وحدة من الجيش التسلل نحو مواقعنا بواسطة المرتزقة والخونة وخلال طريق جبلي جانبي، وأدى ذلك الى تخلخل دفاعاتنا، وبعد معركة حامية تمكنت وحدات من الجيش من السيطرة على الممر الرئيسي وعلى جانب من الجبل، وفي يوم ١٩٦٣/٧/١ اضطرت قواتنا الى

الانسحاب من مواقعها وسيطرت القوات الحكومية على الطريق الرئيسي والممر الجبلي الذي يسيطر على جانبي الطريق العام القادم من كويسنجق ورانية، ودون أن تجرأ تلك القوات على التحرك أبعد من ذلك في سلسلة الجبل وكان مقرنا في تلك السلسلة وليست بعيدة عن موقع القتال.

بعد بضعة أيام تحركت قوات الجيش نحو مدينة رانية الواقعة في سهل بيتوين، ولم يكن امامها أي مانع طبيعي ولم يكن الموقع مناسباً للدفاع بل أن جبل هيبت سلطان هو المانع الطبيعي الوحيد الفاصل رانية عن كويسنجق، ويمر طريق آخر اسفل الجبل عند نهايته وفي بداية السهل للقادمين من جهة سد دوكان والسليمانية ويتقاطع مع الطريق الاولي، ويسمى موقع هذا التقاطع بـ(بيستانه) وهناك قرية في سفح الجبل تحمل هذا الاسم، كان هنالك مبنى صغير عند هذا التقاطع من اللبن والطين ويستعمل كمقهى شعبي للمارة ولركاب السيارات التي تتنقل بين رانية وكويسنجق أو القادمة من دوكان والذاهبة اليها، كان المقهى متروكاً منذ نشوب القتال فعسكر الجيش هناك بعد نزوله من جبل هيبت سلطان وثم التحقت به وحدة أخرى قادمة من جهة دوكان، قام آمر تلك القوات المعسكرة هناك المقدم الركن طه الشكرچي بجمع ضباط الصف الأكراد العاملين في وحدته وعددهم كان يبلغ حوالي اثني عشر ضابط صف وأدخلوا ذلك المقهى وأمر بفتح النار عليهم جميعاً، ثم أمر بهدم المبنى على جثثهم المتناثرة فدفنوا تحت الأنقاض.

وبعد مرور بضعة أشهر، وبعد أن أطاح عبدالسلام عارف بشركائه في الانقلاب من حزب البعث وتوصله الى عقد هدنة مع القيادة الكُردية في العاشر من شهر شباط سنة ١٩٦٤، وعندما أراد صاحب المقهى اعادة بنائه عثر على جثث هؤلاء الضحايا تحت الانقاض، ولاشك في أن هذه الاعمال البربرية تعتبر في نظر القانون الدولي جرائم حرب ضد الانسانية ولا أعلم ان كان هذا المجرم وأمثاله يقدمون لمحكمة دولية أم لا لينالوا العقاب العادل؟!

ومّر الزمن فقد عُينت سفيراً للعراق في براغ لدى جمهورية جيكوسلوفاكيا الشعبية (آنذاك) بعد اتفاقية الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧٠، وفي سنة ١٩٧٢ وصلني خبر بتعيين الضابط المذكور طه الشكرچي -الذي اصبح عميداً في الجيش- ملحقاً عسكرياً في السفارة العراقية، فرفضت قبول هذا المجرم

طيلة وجودي هناك على رأس السفارة، كما أن الحكومة الجيكوسلوفاكية قد رفضت قبوله خلال وجودي هناك، وسآتي على ذكر تفاصيل هذا الموضوع فيما بعد عندما آتي على الحديث عن وجودي كسفير في جيكوسلوفاكيا.

مكثنا في ذلك المقر في سويره له في امتداد جبل هيبت سلطان بضعة أيام وفي ظروف شاقة وصعبة جداً بحيث لم يكن من السهل تحّملها، فكانت المنطقة تتزود بمياه عين صغيرة تنحدر من سفح الجبل نحو الوادي وتنحدر على شكل شلال صغيرة من علو شاهق ولم تتجاوز حجم المياه الساقطة بضعة أنجات، وكانت تشكل عند سقوطها بركة صغيرة تستعمل للغسيل والاستحمام وغيرهما فتحولت مياها بسرعة وخلال أيام الى مركز للحشرات والديدان القذرة وكانت هذه المياه تستعمل من قبل أكثر من مائة شخص من المتواجدين في ذلك المقر.

السفر الى بيتواتة

في نهاية الاسبوع الاول من شهر تموز سنة ١٩٦٣ قمنا مع عمر دبابة بجولة في منطقة سهل كويسنجق الواقع جنوب مقرنا وكان يصعب على قوات الجيش الابتعاد كثيراً عن المدينة أو الانتشار في هذا السهل الشاسع، لذا كنا نتجول بكامل الحرية في المنطقة ولم يكن عدد المسلحين الذين رافقونا يتجاوز العشرة أشخاص، ودامت هذه الجولة يومين فقط، قضينا اليوم الأول في قرية خرابة العائدة لعزيز صالح آغا قريب كاكه زياد آغا، واليوم الثاني في قرية قوزلو على الساحل الغربي للزاب الصغير ضيوفاً على الشيخ جنگي طالباني الاخ غير الشقيق لجلال الطالباني. بعدها عدنا ثانيةً الى مقرنا المذكور وبعد يومين أو ثلاثة استلم عمر دبابه برقية لم أطلع على محتواها أو مصدرها، وذكر بأننا مغادرون هذه الليلة الى قرية بيتواته في منطقة رانية القريبة نوعاً ما الى مركز القضاء ولكنها في مكان محكم نسبياً لاتصلها قوات الجيش بسهولة ويصعب وصول العجلات والآليات اليها وتعتبر حصينة الى حد ما وعلى الأخص بالنسبة لذلك الوقت، كان في تلك القرية أحد المقرات الرئيسية لقوات الانصار ويديرها الشهيد علي شعبان، وهو من الرجال الشجعان والاداريين الكفوئين وكان من الذين رافقوا الزعيم الراحل مصطفى البارزاني في مسيرته الشهيرة الى الأتحاد السوفيتي سنة ١٩٤٧، كانت قوات الجيش تعسكر في مدينة رانية وترابط على طول الطريق الواصل بين رانية وكويسنجق، وبين كويسنجق وأربيل أي على طول جميع الطرق العامة، لذا فقد سافرنا ليلاً سيراً على الأقدام يرافقنا بعض المسلحين يتراوح عددهم بين ١٠-١٢ مسلحاً، كانت الليلة مظلمة والطريق وعراً جداً لأننا سلكنا الطريق الفرعية تحاشياً للمرور قرب القوات المرابطة في الطرق العام، وفي الصباح الباكر وصلنا أحدى القرى الواقعة في سهل بيتوين، واستضافتنا صاحبة الدار التي حللنا فيها ويظهر بأنها كانت الدار الرئيسية في تلك القرية وكانت صاحبة الدار أرملة في أواسط عمرها وانها كانت أرملة رئيس القرية الراحل فرحبت بنا مع ابنها الصبي الذي كان يبلغ الثانية عشر أو العاشرة من عمره، لكنه كان يتصرف

كالرجال البالغين، وكانا مضيافين وكريمين جداً، وبعد استراحة قصيرة وتناول ماتيسر من الطعام والذي كان أفضل بكثير من طعام مقرنا غادرنا الدار بعد أن شكرنا أهلها وتحركنا نحو بيتواته ووصلناها حوالي ظهر نفس اليوم وحللنا ضيوفاً على الشهيد علي شعبان الذي رحب بنا كثيراً، وكانت بيتواته تعتبر مدينة بالنسبة الى مقرنا، حيث ظلال الاشجار والبساتين والينابيع الباردة، ومقرات عمل الپيشمه ركه كحانوت الخياطة والحلاقة والمستشفى الصغير وغيرها، وبعد برهة من الاستراحة قدم لنا علي شعبان وجبة شهية جداً من الغداء تتكون من الرز المخلوط بالماش.

ولازلت أذكر تلك الوجبة اللذيذة التي لا انساها بالرغم من انها كانت متواضعة ولكن كوننا لم نذق مثلها منذ اسابيع فقد اعتبرتها ولازلت بأنها من الذ وأشهى وجبات الطعام.

وأذكر بأنني قد رويت قصة تلك الوجبة الشهية للزعيم الراحل مصطفى البارزاني سنة ١٩٧٧ في الولايات المتحدة الامريكية عندما كنت أرافقه في سفره للعلاج، وقد قال لي البارزاني: «أن الانسان عندما يكون جائعاً سوف يذكر الوجبة التي اشبعته من الجوع ويعتبرها من أشهى الوجبات مهما كانت متواضعة».

وبينما نحن في بيتواته اخبرني علي شعبان بأن أحد افراد الپيشمه ركه يسأل عني ويقول بأنه من أقاربي، وهو حالياً مرابط في الخطوط الامامية للحراسة وسوف تنتهي واجباته مساء اليوم فيعود الى القرية، وعندما عاد مساءً وجدته هو (حيدر پيرداود) وهو من قريتنا ومن أقاربي وأنه والده هو من وكلائنا ومعتمدينا في القرية، وأنه شخصياً من أصدقاء الطفولة رغم أنه أصغر مني سناً.

وكان الموما اليه عريفاً في الجيش العراقي ومن أفراد المدفعية ولكنه التحق بالثورة سنة ١٩٦٢ أسوةً بغيره من أفراد الجيش والشرطة من الكُرد، فرح حيدر كثيراً عند مشاهدته لي كما وفرحت بلقائه ايضاً، فقدم فوراً خدمات جليلة لي وأخذ ملابسي للغسيل وأحضر لي حلاقاً لقّص شعري بالرغم من كوني شبه حليق، كما وأخذني للأستحمام في المكان المخصص لذلك. وعند تجوالي في بعض أنحاء القرية، مررت بالمكان المخصص لخياطة وتجهيز الملابس

لأفراد الپيشمه ركه، فصادفت المرحوم طاهر آغا عقراوي (الخياط) الذي كان يدير الحانوت المذكور، ولمعرفة سابقة رحبّ بيَّ كثيراً وعرض عليَّ أن يفصل لي بدلة خاكية خلال ساعات، وقد بذل قصارى جهده لخياطة بدلة أنيقة ومناسبة ومن أجود أنواع الأقمشة المتيسرة لديه، وفعلاً كانت بدلة أنيقة وممتازة احتفظت بها لسنوات.

ثم صادفت المدعو حسين شكاك وكان من أفراد شرطة المرور في أربيل وأعرفه سابقاً، وكان من أعضاء الحزب التحق بالثورة منذ مدة، وبعد تبادل التحية عرض عليَّ أن استبدل بندقيتي معه، حيث كان يحمل بندقية سمينوف وهي خفيفة جداً بالنسبة للبندقية التي كنت أحملها وذلك كتسهيل وخدمة يقدمها لي فوافقت على ذلك شاكراً.

وبعد مكوثنا يومين في بيتواته غادرناها متوجهين الى المنطقة المسماة (دولة ره قه) القريبة نوعاً ما من بيتواته والتي تقع في المنطقة العائدة لعشيرة (آكو)، ويسكن تلك المنطقة رئيس العشيرة المرحوم (عباس مامند آغا) وكانت تلك المنطقة مستعصية ووعرة جداً لايمكن إن تصلها الوحدات العسكرية وحتى أن الانسان يتمكن فيها بسهولة من أن يحتمي من الهجمات الجوية. وحللنا ضيوفاً على عباس آغا الذي كان رجلاً كريماً جداً وشهماً وشجاعاً وكان فارع الطول ذا جسم ضخم ولكن دون أن تظهر عليه البدانة يتحرك برشاقة وخفة، كان في حوالي الخامسة والاربعين من عمره ومن أوائل الذين التحقوا بالثورة الكُردية، بل انه قد أعلن العصيان على الحكومة المركزية حتى قبل اندلاع الثورة الكُردية، وكان منزله ومنطقته دوماً ملجأين للوطنيين والهاربين من ملاحقة السلطات وفي جميع العهود، وكان للمرحوم عباس آغا مواقف مشهودة وأدوار بارزة في الثورة الكُردية كما كان من المقربين لدى الزعيم البارزاني، وأنتخب عضواً لمجلس قيادة الثورة الكُردية عند تأسيسها سنة ١٩٦٤ وقد توفي في نهاية حزيران أو أوائل تموز سنة ١٩٦٦ في بغداد أثر مرض عضال رحمه الله.

مكثنا في ضيافة عباس آغا مدة يومين وقد رحّب بنا كثيراً وقام بواجبات الضيافة خير قيام وكان لطيف المعشر لايمّل الانسان من مجلسه، والتقيت هناك بالمرحوم المحامي عوني يوسف الذي سبق وأن أشرت اليه في الجزء الاول

من كتابي هذا، وكان عوني وزيراً للأسكان في حكومة عبدالكريم قاسم من تموز ١٩٥٩ ولغاية تموز سنة ١٩٦٠ وتمكن من النجاة بنفسه بعد انقلاب الثامن من شباط سنة ١٩٦٣ وهرب الى كُردستان والتجأ لضيافة عباس مامند آغا الذي كان يعرفه سابقاً، وبالأضافة الى رابطة الزمالة بيننا ومزاولتنا المحاماة معاً في أربيل فقد كنا على صداقة ومعرفة مع بعض منذ سنة ١٩٤٥ وكنت صبياً آنذاك، وكان عوني قد خرج حديثاً من الأعتقال في نهاية الحرب العالمية الثانية فكان صديقاً لشقيقي كاك أحمد يجمعهما الكورداية تي والتعاطف مع ثورة بارزان سنة ١٩٤٥. كما جاء الى المنطقة في تلك الاثناء الملا عبدالله اسماعيل والمشهور بـ(ملا ماطور) الذي كان عائداً من مقابلة البارزاني -كما ذكر- وكنت على معرفة سابقة به وصداقة قديمة فكان من أهالي منطقتنا ومن الكوادر المتقدمة والنشيطة للحزب الديمقراطي الكُردستاني. وتعود علاقتنا الى أوائل الخمسينيات من القرن الماضي وكان كثير التردد على قريتنا ومن أصدقاء شقيقي كاك أحمد، وبعد تناوله طعام الغداء معنا غادرنا هو والمرافقان الاثنان اللذان كانا معه وكلاهما كانا من أفراد الشرطة السابقين ومن أهالي منطقتنا وكنت أعرفهما شخصياً، وبعد مضي يومين في ضيافة عباس مامند آغا ودّعنا الرجل بتقدير وأحترام وعدنا ثانيةً الى بيتواته.

نحو المجهول

وصلنا مقر علي شعبان قبل غروب الشمس وقضينا ليلتنا هناك، وفي صباح اليوم التالي أخبرني عمر دبابه بأنه ذاهب لمقابلة البارزاني ولم أسأله عن وجهة سفره وعن المنطقة التي يتواجد فيها البارزاني، كما ولم يخبرني عن مصيري وعملي، فبقيت وحيداً حائراً لا أعرف ماذا أعمل ولا الى أين أذهب.

وقضيت ذلك اليوم في بيتواته وبعد تفكير طويل قرّ رأيي على الذهاب الى منطقة جبل سفين وقرية هيران، وقد طلبت من الشهيد علي شعبان أن يوافق على نقل العريف حيدر پيرداود ليرافقني ويبقى بصحبتي، فوافق على ذلك، كما وطلبت منه استئجار دابة ركوب لأيصالي الى منطقة سفين، وقد أخترت تلك المنطقة لعدة أسباب، أولاً لكونها قريبة من منطقتنا وثانياً لكونها قريبة من أربيل فقد يصبح من الممكن تقصي الاخبار من هناك ولأن شيوخ هيران (أسرة كاكي هيران) جميعهم من معارفي وأصدقائي وارتبط معهم بصلة قربى، وهكذا غادرت بيتواته صباح اليوم التالي ومعي العريف حيدر وسرت نحو مصير شبه مجهول، ولأول مرة منذ التحاقي بالثورة منذ خمسة أو ستة اسابيع شعرت بنوع من اليأس وأنا أسير مهموماً، وكان معي بعض رفاق السفر من المدرسين والمعلمين وكان قصدهم مقرنا السابق في (سويره له) أذكر منهم السيد عبدالكريم رضا وهو من مدرسي الثانوية وكانوا جميعاً من أهالي كويسنجق، لذا أختاروا مقر سويره له كونه قريباً من البلدة المذكورة.

استمرينا في المسير، وعند الظهر وصلنا القرية المسماة (چيوه) وحللنا ضيوفاً في مضيف صاحب القرية المدعو الحاج بديع الذي كان مريضاً وتأخر عن الحضور، الا ان امام القرية قد ناب عنه فحضر وجلس في صدر المجلس، ويظهر بأنه كان شبه أمي، فبعد السلام علينا وجه لنا سؤالاً مفاده بأنه فيما اذا كنا نجيد القراءة والكتابة، ولما اجبناه بالنفي انفتحت اساريره وظهر الفرح واضحاً على وجهه وبعد الاطمئنان بدأ يسرد القصص الخيالية والخرافية على انها أحاديث شريفة وبدأ بتفسير الآيات القرآنية والاحاديث النبوية تفسيرات لا علاقة لها بالحقيقة والواقع، وكنا نحاول بصعوبة ان نمنع أنفسنا من

الضحك، وبعد تناول طعام الغذاء وبعد أن حضر صاحب القرية ورحبّ بنا غادرنا القرية بعد أن شكرناهم متوجهين نحو مقر قيادة سفين في قرية هيران مركز ناحية خوشناو، ووصلناها مساءً عند غروب الشمس وكان المقر في احدى المباني الحكومية وأعتقد أنه كان مبنى مدرسة ابتدائية، وكان قائد المنطقة هو عبدالله پشدري الذي كان يقود جبهة هيبت سلطان ايضاً أثناء الهجوم على ذلك الجبل من قبل قوات الجيش القادمة من كويسنجق كما ذكرت سابقاً، وكان قد أصيب بجروح في أحدى تلك الهجمات وذهب للعلاج، لذا كان يتواجد في ذلك المقر عدد قليل من أفراد البيشمه ركه والمسؤولين عن ادارة المقر والمستشفى العائد له، ووجدت نفسي أعرف معظم الموجودين في المقرّ، فكان يدير المستشفى والمقر السيد حسن اسماعيل وكان طالباً في الصف الخامس من كلية الطب في بغداد على ما أعتقد وكنا نناديه بـ(دكتور حسن)، وكان شخصاً بارعاً في الطب وخاصةً في الجراحة كأي طبيب أخصائي وكان مرحاً جداً ولطيف المعشر، كما وكنت أعرف عدداً من أفراد المقر وكانوا من أفراد الشرطة ومن سكان منطقتنا ومنهم أحمد أومر وسليمان ملا خالد وأحمد سائق السيارة المسلحة العائدة للشرطة وغيرهم، وعلمت بأن ملا عبدالله اسماعيل (ملاماطور) قد وصل في اليوم السابق فرحبوا بي جميعاً.

مرّ شهران على بقائي في هيران مركز ناحية خوشناو ومركز قيادة جبهة سفين لقواتنا دون القيام بأي عمل، فقد وصلتها في حوالي منتصف تموز وبقيت فيها الى منتصف ايلول تقريباً، وكان ملا عبدالله اسماعيل (ملاماطور) موجوداً هناك طيلة تلك المدة ايضاً دون أية مسؤولية ظاهرة وأعتقد بأن المسؤوليات قد سحبت منه من قبل الحزب لأن البارزاني لم يكن راضياً من تصرفاته ومعاملته للپيشمه ركه والمواطنين. ومع ذلك كان خير رفيق لي طوال بقائي في ذلك المقر فقد كان يبذل قصارى جهده لتسليتي ودفع الملل عني، وكان يكن لي كل التقدير والاحترام بالرغم من كونه عضواً في اللجنة المركزية ولم يكن لي أية صفة رسمية أو حزبية آنذاك.

كما كان الدكتور حسن وجميع الموجودين هناك لم يقصّروا من هذا الجانب وكان الدكتور مرحاً جداً وكثير النوادر، وكنا نمزح دوماً مع المرحوم جوهر هيراني الذي كان صديقاً قديماً ومن الحزبيين الاوائل وكان من سكان القرية

نفسها أي هيران التي خلت من سكانها تقريباً بسبب القصف الجوي والمدفعي الموجه من شقلاوه التي تبعد عنها أقل من عشرين كيلومتراً.

وهيران قرية جميلة ملأي بالبساتين التي تحتوي على أنواع الفواكه اللذيذة وفيها ينابيع كثيرة للمياه الباردة والعذبة ومناخها ملائم جداً بحيث يمكن اتخاذها كأحد المصايف في كُردستان، وكان يزورنا بين الحين والآخر بعض الكوادر الحزبية القادمين من شقلاوه بطريقة سرية وكانوا يزودوننا بالأخبار المحلية والاشاعات وأخبار تحركات الجيش والأوضاع العامة، وكانوا يزودوننا في كل مرة ايضاً بعدة مئات من الأطلاقات التي يحصلون عليها من المرتزقة، وهكذا مرت الأيام وكان (الملا ماطور) وكذلك المقر في هيران يستلمون البرقيات من المكتب السياسي ومن الجبهات الأخرى وبذلك كنا نطلع على أوضاع جبهات القتال والموقف العسكري والسياسي بصورة عامة.

وذات يوم، وصل هيران (اسماعيل كوخا أحمد) الذي كنا ندعوه بـ(كاكه سمه)، وقد أشرت اليه في الجزء الأول من هذا الكتاب، وكان منظماً الى صفوف الثورة ضمن قوات سهل أربيل والتي مقرها في التلال الواقعة جنوب طريق أربيل-كويسنجق، كان (كاكه سمه) من البيشمه ركه الذين يرافقون شقيقي كاك أحمد الذي بعث به الى هيران بعد أن سمع بوجودي هناك وكان قد جلب معه مسدساً من نوع البرونيك رقم (٩) أرسله شقيقي كاك أحمد لي بدلاً من المسدس الذي كنت أحمله من حجم (٧) وكذلك بعث برسالة اطمئنان، بقي (كاكه سمه) عندنا يومين أو ثلاثة ثم عاد الى مقرهم.

وفي أحد الأيام، وبينما كنا نتناول طعام الغذاء في أحد البساتين التي كنا نأوى اليها في النهار، استلم (الملا ماطور) رسالة من أحد اصدقائه في الثورة يعزّيه فيها بأستشهاد شقيقه المدعو حسن في أحدى المعارك في منطقة أربيل، وكنت قد سمعت ذلك قبل وصول تلك الرسالة، ولكنني فضّلت عدم أخباره بذلك، وعند الأطلاع على الخبر ناولني الرسالة وتمتم لحظات، فعزيته أنا بدوري وقلت له بأنني كنت مطلعاً على الخبر ولكن لم أبّلغه فقال بأن هذا أمر متوقع بالنسبة لأي واحد منا ثم عاد وأستمر في الأكل، وباشرت أنا كذلك بأتمام طعامي وكأن شيئاً لم يحدث.

وهكذا مرت الايام دون انجاز شيء مفيد وكنت أفكر احياناً في الذهاب الى

منطقة سهل أربيل والانضمام الى قواتنا هناك والتي كانت دوماً متلاحمة مع العدو وأكثر نشاطاً، فكانت مفارزها تخرج دوماً الى قرى المنطقة وتعود بعد أن كانت تكيل الضربات للعدو وترجع ومعها بعض الاسرى من المرتزقة والجنود وكذلك بعض الغنائم من ممتلكات المرتزقة والمتعاونين مع الاعداء، ولكني كنت واثقاً بأن شقيقي كاك أحمد لايحبذّ ذلك حرصاً منه على سلامتي وتجنيبي العيش في الظروف الصعبة التي يعيشها هو وأصحابه.

انسحاب الجيش من رانية وسفرنا الى قلعة دزه

وهكذا قضينا ايامنا وأوقاتنا، وذات يوم علمنا بأن قوات الجيش المعسكرة في رانية وأطرافها قد انسحبت منها ولم يبق أي عائق أمام السفر الى رانية وقلعة دزه، وكانت عائلة (ملاماطور) تقيم في تلك المدينة الصغيرة أي (زوجته ووالدته) فلم يكن لملاماطور أولاد لعقمه، وبعد التأكد من ذلك النبأ هيأ سائق سيارة الشرطة احمد، سيارة البيكاب العائدة لشرطة أربيل والتي كانت تستعمل كسيارة مسلحة عندما كانت في حوزة الشرطة، فجلبها سائقها أحمد مع طاقم السيارة والتحقوا بالثورة، وبعد أن تأكد من أنها جاهزة للأستعمال حيث كان قد اخفاها في أحد البساتين بعد أن غطّاها بأغصان وأوراق الأشجار لغرض التمويه.

غادرنا هيران على متن تلك السيارة عصراً وقبل غروب الشمس بقليل تحاشياً للطائرات التي كانت تحوم فوق المنطقة ووصلنا قرية كاني ماران في سهل بيتوين وبعد ان تناولنا عشاءً سريعاً في دار المدعو أحمد وهو ابن شقيق المحامي عبدالله كاني ماراني (أي حفيد الملا علي كاني ماراني) الشهير في المنطقة، غادرنا الى رانية وحصلنا على بعض الوقود وواصلنا سفرنا الى قلعة دزه والتي كانت من أكبر المدن وأكثرها ازدحاماً بالنسبة للمدن والقصبات الاخرى التي تقع تحت سيطرة قوات الثورة الكُردية، وكانت بالنسبة لنا شيئاً ممتعاً فنرى ولأول مرة منذ عدة أشهر مدينة تحتوي على المقاهي والمطاعم الصغيرة ومطاعم الكباب.

قضيت الليلة الأولى في دار (ملاماطور) وهناك التقيت بالمرحوم عريف الجيش علي حسين المشهور بـ(علي شه وباش) وكان آمراً للأنضباط في المدينة ومع أنه لم يكن بيننا معرفة سابقة ولكنه أبدى استعداده لكل خدمة وكان شخصاً ظريفاً وخدوماً وحزبياً نشطاً وأصبح فيمابعد من المرافقين لي وكذلك من مسؤولي ادارة مقراتنا في المكتبين السياسي والتنفيذي للحزب الديمقراطي الكُردستاني.

علمت في اليوم الثاني بأن عمر دبابه قد جاء الى قلعة دزه ايضاً، وبمساعدة

علي شه وباش ذهبت الى دار السيد طاهر مصطفى-شقيق عمر دبابه الذي كان موظفاً وترك وظيفته ليسكن في المناطق الآمنة، وأن طاهر مصطفى هذا رجل طيب جداً وأعرفه عن قرب منذ أوائل الخمسينيات.

ولما وصلت ذلك البيت وجدت عمر دبابه وشخصاً آخر بالملابس الكُردية كنت قد شاهدته سابقاً ولكنني لم أتذكره، وبعد السلام عليهم والتحدث معه عرفت من لهجته أنه من كُرد ايران، وبعد التأمل فيه علمت بأنني قد رأيت هذا الرجل سابقاً بالملابس الافرنجية وتذكرت بأنني قد شاهدته قبل ستة أشهر تقريباً في حفلة عيد النوروز في بغداد حيث كان حاضراً مع المدعويين وقيل لي آنذاك بأنه الملحق العسكري الايراني وعلمت فيمابعد بأن أسمه المقدم عيسى يزمان، وتناولنا جميعاً طعام الغذاء معاً ثم غادر عمر دبابه مع الموما اليه وقال بأنه ذاهب للقاء البارزاني، فلم أسأل عن التفاصيل أو هوية الضيف الذي كان ينادى بـ(السيد حسن)، وبعد مغادرتهم شاهدت بعض الأسلحة المضادرة للدروع من نوع (بازوكا) يجري التدريب عليها من قبل الپيشمه ركه، وعلمت فيما بعد بأن عمر دبابه قد سافر الى ايران مع ذلك الضيف ولم يعد الا بعد اتفاق اعلان الهدنة مع الرئيس عبدالسلام عارف في العاشر من شباط سنة ١٩٦٤، وكانت تلك هي المرة الاخيرة التي التقي فيها مع عمر دبابه الى أواخر سنة ١٩٧٣ أي بعد اتفاقية آذار بسنوات.

وبجهود علي شه وباش هذا، حصلت على دار حكومية صغيرة وكذلك بعض الاحتياجات الاخرى ومعدات النوم، فقضينا مع حيدر عدة أيام هناك، وبعد حوالي اسبوع واحد في قلعة دزه غادرناها مع (ملاماطور) وبنفس السيارة متوجهين الى منطقة قوات اربيل وكان مقرها الرئيسي في جبل پيره ر الواقع بين كويسنجق وأربيل، وهناك التقيت لأول مرة منذ أشهر بشقيقي كاك أحمد وكذلك ابناء عمومتي برهان عزيز آغا وعمر علي خورشيد وطلعت مشير ابراهيم آغا، وكذلك ابن شقيقي وريا والآخرين الذين من قريتنا أمثال كاكه سمه وحاجي فقي عولا وقادر مامه وغيرهم، أما ابن عمي الآخر كمال رشيد والذي كان شاباً وفي عمري ومن اصدقائي المقربين، فقد استشهد قبل ذلك وتأثرت كثيراً لفقدانه، وكان شقيقي الأصغر عمر قد غادر قبل ذلك الى منطقة ماوه ت للعمل في محطة الأذاعة التي كان في النية انشاءها.

وبعد استراحة في المقر الرئيسي ذهبت الى مقر ابن عمي برهان آغا القريب من هناك وكان آمراً لأحدى فصائل الأنصار فرحبوا بيَّ كثيراً وذبحوا لي شاة سمينة كانوا قد غنموها مع أغنام أخرى من المرتزقة.

وفي اليوم التالي، ذهبت الى قرية (رسول بسكول) وهي تقع في منطقة تلال وعرة بين كويسنجق وأربيل وتعود لأولاد خالي شيخ جبار وأنور اللذين ورد ذكرهما في الجزء الاول من الكتاب هذا، وبقيت في القرية المذكورة عدة أيام وكنت أعرف عدداً من سكانها لترددي على القرية ايام طفولتي، وقد جاء بعض افراد عائلتي لمقابلتي خفية وعن طريق الحزب دون علم السلطات الحكومية، وعدت الى المقر الرئيسي لقواتنا في المنطقة وثم الى قلعة دزه، وكان ذلك في أوائل شهر تشرين الأول سنة ١٩٦٣. وكذلك سافر الى قلعة دزه شقيقي كاك احمد الذي أسند اليه منصب عسكري آخر في قوات تلك المنطقة وأصبح معاوناً لآمر تلك القوات التي كانت تدعى (هيز كاوه) أي مايعادل لواء جيش.

اسناد أول عمل رسمي لي في الثورة الكُردية

كان الوقت أوائل شهر تشرين الأول عندما عدت الى قلعة دزه وأسند منصب معاون آمر هيز الى شقيقي كاك أحمد وآمرية الهيز الى المقدم نافذ جلال وكالةً، حيث كان عمر دبابه آمراً للهيز اصالةً، وذكرت بأنه قد ذهب بسفر ولم يعد، وكذلك صدرت تعينات أخرى في المدينة للمسؤولين دون أي ذكر لي، وبعد يومين وردت برقية أخرى الى مقر الهيز من المكتب السياسي يستغربون فيها عدم اسناد أية مسؤولية ويوعزون بتعييني حاكماً في قلعة دزه، ولا ادري ان كان الاغفال جاء في أول الامر من المكتب السياسي نفسه أو أنه لم يجر أي ذكر لأسمي أو ترشيحي أساساً من قبل مسؤولي المنطقة التي كان عمر دبابه على رأسها قبل سفره، ولكنني كنت على يقين بأن البرقية الاخيرة قد ارسلت بتأثير كل من علي عبدالله ونوري شاوه يس.

باشرت عملي كحاكم في بناية المحكمة وكان فيها كاتب واحد اسمه ملاحسن وكذلك رجل مسّن آخر اسمه مام رضا وذلك لحّل المنازعات واجراء الصلح بين المتنازعين، وكانا رجلين طيبين احببتهما، حاولت منذ البداية ان تكون اعمال المحكمة أصولية وأن تجري الأمور حسب القوانين المرعية وعلى شكل محكمة نظامية، ولما كانت المنطقة عشائرية وأكثر المنازعات هي بين الملاكين والفلاحين ولأن ظروف الثورة تستوجب مراعاة الجميع فكان من الصعب تطبيق القوانين في كل الحالات، ولما كنت أحاول تطبيق القوانين فكنت أصطدم دوماً بالمشاكل وخاصةً مع بعض الملاكين ورؤساء العشائر في المنطقة الذين كانوا يريدون معاملة متميزة وكنت ارفضها وأريد سلطة القانون وان تسود العدالة طرفي النزاع بصرف النظر عن هويتهما.

خلال المدة القصيرة التي مكثت في محكمة قلعة دزه تمكنت من تنظيم أعمالها وجعلها ذات هيبة وشوكة تسودها القوانين، وأدى ذلك الى تشجيع المواطنين على مراجعة المحاكم واعادة الثقة بها، وبعد مرور اسابيع ثلاث فقط وردت برقية أخرى من المكتب السياسي ونسخة منها موجهة لي مفادها بأن عليَّ التوجه نحو قصبة ماوه ت كعضو في المحكمة العليا (بمثابة محكمة

التمييز) المنشأة حديثاً وتسليم محكمة قلعة دزه الى الحقوقي بابكر محمود پشدري الذي كان من اصدقائي، وظننت في باديء الأمر ان ذلك كان ارضاءً لرؤساء العشائر في پشده ر بتعيين من ينتسب اليهم، ولكن علمت فيما بعد بأن رئيس المحكمة العليا المرحوم عمر حبيب قد اقترح ذلك لأنني كنت ثالث أقدم الحقوقيين المنظمين للثورة الكُردية وأعتقد بأن المكتب السياسي رأى في ذلك تحقيق هدفين في آن واحد.

الانتقال الى ماوه ت

جرت عملية تسليم المحكمة الى السيد بابكر محمود پشدري بالسرعة الممكنة وخلال نفس اليوم الذي استلمت فيه البرقية وأنتظرت الفرصة الأولى للمغادرة الى ماوه ت، بعد يومين وجدت الفرصة في الذهاب مع القافلة المتوجهة الى منطقة ماوه ت لجلب المؤن من المكتب السياسي الى قوات منطقة قلعة دزه ومقرها، وكان يقود تلك القافلة المرحوم ميرزا باپير الذي كان مساعداً لمعاون آمر الهيز للشؤون الادارية، ورافقت تلك القافلة في أواخر شهر تشرين الاول أو أوائل تشرين الثاني على أن يلتحق بيّ مرافقي حيدر بعد ذلك وبعد أن يقضي بعض الحاجات، غادرنا قلعة دزه في الصباح الباكر ووصلنا قبل الغروب بساعتين الى أحد الجبال الفاصلة بيننا وبين منطقة المكتب السياسي، وسألني ميرزا باپير فيما اذا كان بأمكاني صعود ذلك الجبل سيراً على الأقدام اذ لم يكن في تلك المنطقة أي طريق لمرور الدواب وكذلك النزول من الطرف الآخر وخيرني مابين السفر مع القافلة لبضعة ساعات أخرى وقضاء الليلة في أحدى القرى الواقعة على الطريق أو عبور الجبل المذكور والسير لمدة ساعتين أو ثلاث، فأخترت الحالة الثانية وباشرنا بصعود الجبل في أقل من ساعة، وقرب القمة شاهدنا بستاناً صغيراً للكروم وبعد الاستراحة والتحري عثرنا على بعض عناقيد العنب فقطفناها، وكانت وجبة لذيذة تناولناها مع الخبز الذي كان بحوزة ميرزا باپير، اما الجهة الثانية من الجبل فكانت عبارة عن منحدر شديد مكسو بنوع من الحصى الناعم الذي نتج عن انهيار الثلوج، فنزلنا في تلك المنطقة وانحدرنا بسرعة راكضين على تلك الحصى ووصلنا أسفل الجبل خلال دقائق. وبعد ذلك بدأنا بالسير في طريق شبه سهل وصادفنا أحد الكوادر الحزبية في الطريق وهو يقود رجلاً مسناً قال بأنه يشتبه فيه ويأخذه الى سجن ماوه ت.

وصلنا قرية عيساوي التي فيها مقر المكتب السياسي، وقضينا تلك الليلة في المقر الخاص بالمؤن والارزاق، وفي الصباح وبعد تناول الفطور توجهنا الى مقر المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكُردستاني الذي كان يبعد بمسافة

أقل من نصف كيلومتر، وهناك لقيت المرحوم نوري شاوه يس وعلي عبدالله عضوي المكتب السياسي واللذين كانا من أصدقائي القدامى وكذلك اسماعيل سرهنگ المعلم السابق والذي كان مسؤولاً عن البرقيات الحكومية المجفورة والذي كان له مهارة فيها، وبعد أن رحبوا بيّ جميعاً جلست معهم وثم تناولنا طعام الغذاء معاً الذي كان عبارة عن وجبة بسيطة، ثم زودوني بالرسائل اللازمة لغرض الذهاب الى ماوه ت للمباشرة بعملي الجديد.

في ماوه ت

غادرت مقر المكتب السياسي الذي كان في قرية قرب الحدود العراقية-الايرانية تسمى (عيساوي) يصعب على القوة الجوية ان تكشفها وتقوم بقصفها لسببين رئيسيين أولهما عدم وجودها على الخرائط العسكرية ولم تسجل سابقاً لأنها قد وجدت بعد تسجيل ورسم تلك الخرائط وكانت عبارة عن بيت أو بيتين في باديء الأمر، والسبب الثاني هو قرب ذلك الموقع من الحدود الايرانية ووضعه الجغرافي بحيث انه فيما اذا تم كشفه فلابد للطائرات من ان تدخل الاجواء الايرانية اذا ارادت قصفها وهذا ماكان يتجنبه العراق، علاوةً على أن المنازل والمقرات كانت متباعدة وموزعة بشكل يصعب ظهورها الا عند الاقتراب منها.

كانت قصبة ماوه ت تبعد عن مقر المكتب السياسي بمسافة حوالي ساعتين سيراً على الاقدام أو أقل من ذلك وقد زودني المكتب المذكور بدابة لنقل أمتعتي التي وصلت صباح اليوم مع القافلة الخاصة بالأرزاق التي ذكرتها، وكانت أمتعتي عبارة عن وسائل بسيطة للنوم وحقيبة سفرية لملابسي لايتجاوز وزنها بضعة كيلوغرامات.

وصلت ماوه ت أوائل تشرين الثاني عصراً وذهبت الى دار المحكمة التي كانت عبارة عن دار حكومية فيها أربعة غرف وصالون اضافةً للمرافق الاخرى وأعتقد بأن الدار المذكورة كانت تستعمل سابقاً كسكن لمدير الناحية، وماوه ت هي عبارة عن قصبة صغيرة أو قرية كبيرة يسكنها حوالي الفين أو ثلاثة آلاف من المواطنين وفيها حوالي (٣٠٠-٤٠٠) منزل ويقطعها شارع واحد يمر في منتصفها وهو الشارع الذي يكمل طريق ماوه ت-السليمانية، وعلى طرفي الشارع بعض الدكاكين وعدد من الدور الحكومية الصغيرة، وفيها بناية حجرية كبيرة مبنية بالحجر والسمنت ولها جدران عالية ونقاط مراقبة في زواياها على شكل قلعة حصينة وفيها قاعات وغرف عديدة أعتقد انها كانت تستعمل كمقر لمديرية الناحية والشرطة وبعض الدوائر، ويتوسط هذه الغرف ساحة كبيرة، استعملت هذه القلعة من قبل سلطات الثورة الكُردية كمعتقل

للأسرى والسجناء ولمنتسبي ادارة المعتقل.

اما دار المحكمة فكانت غرفتين منها تتخذ للعمل والبقية أي الصالون والغرفتين الاخريين لمبيت الحكام والعاملين في المحكمة.

عندما وصلت دار المحكمة وجدت فيها المرحوم عمر حبيب الذي كان حاكماً للمحاكم الحكومية وكان من أعضاء الحزب الديمقراطي الكُردستاني القدماء وكان رئيساً للمحكمة العليا في كُردستان، كما وجدت المرحوم حسن سيد أحمد الذي كان يعمل سابقاً في المحاكم وفي دوائر تسوية الاراضي وكلاهما كانت لي معرفة وصداقة سابقة معهما، فكنت على صداقة مع عمر حبيب منذ أوائل الخمسينيات أو أواخر الاربعينيات عندما كان محامياً وتربطنا بأكثر عوائل كويسنجق علاقات قرابة أو صداقة وكان أكثرهم صديقاً لشقيقي كاك أحمد أو رفيقاً حزبياً له، اما حسن سيد أحمد فكانت لي معرفة به منذ سنة ١٩٥٤ عندما نقل من السليمانية الى أربيل كموظف في دائرة التسوية وكان حسن يقوم بمهمة عضو في المحكمة الكبرى التي تم تشكيلها فيما بعد، اما العضو الآخر روبيتان الجاف فكان يعيش في مكان آخر خارج بناية المحكمة وكان دائم الحذر والقلق خوفاً من القصف الجوي. وكان يرافق الحاكم عمر حبيب رئيس المحكمة، ابن شقيقه الشاب فرهاد عوني الذي كان يعمل كأحد كتّاب الضبط في المحكمة (وهو نقيب صحفيي كُردستان في الوقت الحاضر) رحب بيَّ الجميع عند وصولي وأبدوا سرورهم، ووجدت بأن البهو الذي يتوسط الغرف يتخذ كغرفة نوم رئيسية وفرش فيها كل من الحاكم عمر وفرهاد فراشيهما هناك، أما حسن سيد أحمد فأتخذ من غرفة صغيرة كانت تستعمل كحمام ومدخلها من البهو كغرفة نوم له وحصل على سرير حديدي ووضعه في الغرفة الصغيرة المذكورة التي تكاد أن لاتتسع للسرير.

وبعد استراحة قصيرة وتناول الشاي وضعت فراشي ايضاً في ذلك البهو مشاركاً عمر حبيب وفرهاد عوني ثم اطلعني الحاكم عمر على تشكيلات المحاكم فكانت المحكمة العليا للثورة -هي بمثابة محكمة التمييز- وتعتبر أعلى سلطة قضائية برئاسة الحاكم عمر حبيب وعضوية كل من الحقوقي روبيتان الجاف وأنا، ويضاف الملا جميل الروزبياني في القضايا الشرعية، ومحكمة الجزاء الكبرى انيطت رئاستها وكالةً بيَّ وعضوية حسن أحمد وكذلك

عضوية الحقوقي كمال الحاج مصطفى الذي كان حاكماً في منطقة أخرى ثم جرى نقله الى ماوه ت، اما حاكمية التحقيق فقد انيطت بيَّ ايضاً بصورة مؤقتة، وكنت أتولى مسؤولية الاشراف قضائياً على المعتقل والسجن، وكان هنالك ضابطان برتبة نقيب شرطة يعملان كمدعيين عامين في المحكمة اولهما نقيب الشرطة كمال أحمد برقي الذي كان مدعياً عاماً مدنياً وهو الذي كان بحوزته صورة من السجل الخاص بأسماء المعتقلين ونوع تهمهم وكذلك اسماء بعض المحكومين ومدد احكامهم، اما الاخر فكان الشهيد نقيب الشرطة طاهر صالح الملقب بـ(طاهر نايلون) فكان يشغل منصب المدعي العام العسكري، وكانا شخصين لطيفين ومهذبين.

وفي اليوم التالي باشرت عملي اولاً كحاكم تحقيق وبعد أن دققت السجلات والاوراق وجدتها بأنها غير دقيقة وأن بعض الاحكام صادرة بدون أدلة كافية وحتى أن بعض المعتقلين محكومون بالأعدام دون وجود أوراق لهم، أو دون أدلة كافية وبمجرد أن أحد الكوادر أو أحد مسؤولي المنطقة قد شك في شخص ما أو لم يكن راضياً عن تصرفاته فأتهمه بالخيانة أو التجسس دون التفكير في نتائج هذه التهم، فبدأت بالتحقيق مجدداً وكنت أدعو كل يوم عدداً من المتهمين للحضور وأجراء التحقيق معهم مجدداً فأقرر اطلاق سراح بعضهم لعدم توفر الادلة ضدهم فأفرج عنهم أو أحالة بعضهم الآخر الى المحاكم المختصة لأجراء محاكمتهم من جديد، أو أن بعض من يشك فيه ويصعب الحصول على الأدلة اللازمة فكان يؤجل أمره وأكثرهم يطلق سراحه في أول هدنة يتم التوصل اليها.

كانت أجواء الدار التي نقيم فيها عائلية ونعيش فيها كأفراد عائلة واحدة ونقضي اوقات الفراغ مع نوادر وظرائف حسن سيد أحمد ولانشعر بأي ملل، ثم وصل مرافقي حيدر پيرداود وكذلك نقل الى محكمتنا الپيشمه رگه بكر الحاج فرج -حالياً هو آمر فوج حماية الدكتور روژ نوري شاوه يس رئيس المجلس الوطني الكُردستاني- وكانا يقيمان مع حيدر في الغرفة المجاورة.

وذات يوم وبينما أنا أدقق السجل الخاص بأسماء الموقوفين وقع نظري على أسم المدعو (رحمان شه ل) وهو أحد الكوادر الفلاحية النشيطة للحزب الشيوعي العراقي في أربيل، ورجل مسّن من أهالي منطقتنا وكان يلقب من

قبل أعداء الشيوعيين (برگاع أربيل) تشبيهاً بـ(حسن الركّاع) أحد الكوادر الشيوعية في الجنوب، وكان هو الرجل البارز في الجمعيات الفلاحية التابعة للحزب الشيوعي، ورغم هذه الاقاويل والادعاءات، فقد كان (رحمان شه ل) هذا -والحق يقال- شخصاً مهذباً ومتواضعاً جداً ولم الاحظ فيه أي تصرف أعوج أو أنه أعتدى على أحد وكل مافي الأمر انه كان يتظاهر أمام الفلاحين البسطاء بأنه صديق لعبدالكريم قاسم وأنه سوف يوزع عليهم الاراضي، ولم أرَ أية تهمة معينة ضده سوى أنه من الشيوعيين النشطاء وأنه ضد الحزب الديمقراطي الكُردستاني حسب ما دوّن في السجل.

فبعثت في طلبه ولما أحضروه وجدته في حالة مزرية وكان الجو بارداً وبعد أن تبادلنا كلمات التحية أجلسته على أحد الكراسي، فدخل في هذه الأثناء روبيتان الجاف وهمس في أذني فيما اذا كنت أعرفه، فأجبته بالأيجاب، واستغرب بأنني قد سمحت له بالجلوس، فقلت أعرف من هو ومن يكون لذا سمحت له بالجلوس فترك الغرفة، فسألت رحمان عن سبب وجوده فأجاب: بأنه قد التجأ الى قواتنا في منطقة أربيل فألقوا القبض عليه دون التحقيق معه، وبعد أن زودته ببعض الملابس الداخلية ومبلغاً بسيطاً من النقود بعثت به الى حمام القرية وبعد أن أطعمته طلبت منه العودة على أن أدرس موضوعه وأتحدث بخصوصه مع المسؤولين، فطلب مني بطانية لكي يتغطى بها فوعدته بعد أن أحصل على واحدة من المخزن وأبعثها له مساءً، وفعلاً فقد ارسلت له مساء اليوم نفسه بطانية بواسطة مرافقي حيدر، وبعد يومين ذهبت لتفتيش مبنى السجن فلاقيت ثانيةً الموقوف (رحمان شه ل) فعاتبني على عدم تزويده ببطانية كما وعدته بذلك، فأستغربت من ذلك، وتبين أن الشخص المسؤول عن تلك القاعة للموقوفين وهو شيوعي ايضاً قد استلم البطانية ولكنه لم يسلمها الى الشخص المذكور بل أخذها لنفسه وبعد أن عاتبت ذلك الشخص لكونه شاباً، فقد ارسلت بطانية أخرى الى رحمان شه ل، وقد حاولت كثيراً لدى المكتب السياسي لأطلاق سراح رحمان شه ل وأخيراً فقد تم اطلاق سراحه قبل أعلان الهدنة بقليل، وفي زيارتي تلك للسجن وجدت في غرفة أخرى ضابط الشرطة ابراهيم الطائي الذي كان مسؤولاً عن شرطة كويسنجق كما ذكرت ذلك، وقد جاملته كثيراً وقضيت له بعض حاجياته وزودته ورفاقه الموقوفين في نفس الغرفة ببعض المأكولات من مطعم القصبة، وقد صادفت في نفس

الغرفة شخصاً هادئاً ورزيناً بملابس نوم أنيقة وتعارفت معه وتبين أنه رائد الشرطة حميد القاضي الذي كان مديراً لأمن السليمانية وكان يمدح من قبل أهالي السليمانية ومشهور بمعاملته الحسنة للناس، وشاهدت الشخص المذكور في أوائل السبعينات بعد اتفاق الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧٠ وكان مديراً عاماً للگمارگ وكان معروفاً بنزاهته وحسن ادارته ومعاملته الحسنة.

وكذلك كان في الغرفة المدعو (غفور) الذي أجهل أسم أبيه وكان معلماً في مخمور ومن أفراد الحرس القومي، وكذلك الضابط الآثوري في الجيش المدعو (أوّية) الذي أسر مع فصيله.

ذهبت مرات أخرى لزيارة السجن وكنت أزور هؤلاء كل مرة وأجاملهم وأسألهم عن وضعهم وأحتياجاتهم.

بوادر الانشقاقات

بعد التحاقي بالثورة وخلال الأيام الاولى وكذلك خلال جولاتي في مناطق بيتواته وسفين وقلعة دزه ثم ماوه ت، لاحظت وجود بوادر الانشقاق والخلافات بين البارزاني قائد الثورة ورئيس الحزب وبين بعض أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية يؤيدهم بعض كوادر الحزب، ورغم أنني قضيت الأشهر الأولى من التحاقي بالثورة الكُردية في الأماكن التي يسيطر عليها المكتب السياسي وأنصاره، ولم أستمع الى جانب البارزاني ورأيه لكونه متواجداً في منطقة أخرى من كُردستان ولم التقِ به الا بعد التوقيع على اتفاقية الهدنة في العاشر من شباط سنة ١٩٦٤، لكنني لاحظت وجود هذا الخلاف، وقد تألمت جداً لهذا الوضع وكنت أفكر دوماً بأن الثورة الكُردية تحتاج الى قيادة البارزاني وحنكته وخبرته وكذلك السمعة الجماهيرية التي يتمتع بها، كما وكنت أفكر في التنظيم الحزبي الذي يعتبر من دعائم الثورة، وأن أية ثورة –وخاصةً الثورة الكُردية– لايمكن ان تستمر بدون مساندة الحزب وتنظيماته سواء داخل الثورة أو في المدن الكُردستانية وتوصلت الى قناعة بأن البارزاني والحزب يكمل أحدهما الآخر وأنهما كتوأمين لايمكن الفصل بينهما.

وعند وصولي ماوه ت تأكد لديَّ هذه الخلافات وأطلعت على أول المواقف المتناقضة أو المتباينة بين البارزاني الراحل والمكتب السياسي، فبعد نجاح انقلاب الثامن من شباط سنة ١٩٦٣ وبعد أن حلّ بالحزب الشيوعي ماحّل من قتل ومطاردة وأعدام تمكن عدد كبير من قادته وأعضائه من الهرب من بغداد والمدن الأخرى ووصلوا الى المناطق التي تحت سيطرة الثورة، ففتح لهم البارزاني أحضانه وأستقبلهم وحماهم من بطش النظام الجديد وكانوا يتجولون ويزاولون نشاطهم الحزبي بكل حرية، أما الذين وصلوا المناطق التي تحت سيطرة المكتب السياسي، فقد تعرضوا للملاحقة والسجن والاعتقال، ورأيت أحدى قاعات السجن في ماوه ت ملأى بالشيوعيين، ومع أن بعض افراد الحزب الشيوعي وكوادره قد اساءوا التصرف في طريقة تعاملهم مع الحزب الديمقراطي الكُردستاني ومع أنه عثر بحوزة بعضهم على منشورات معادية

للحزب وفيها تشجيع على تأجيج الخلافات بين البارزاني والمكتب السياسي الا انه كان من الممكن استعمال سياسة أكثر لينة وكان يمكن الاستفادة من العدد القليل من مسلحيهم وضمهم الى قوات الانصار، وأن السياسة المناهضة للحزب الشيوعي كانت تلقى المعارضة حتى من بعض أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب وأن بعضهم -والحق يقال- كان يستنكر هذه السياسة ويقف ضدها، وصادف ان أطلعت على برقية مرسلة من جلال الطالباني الى أعضاء المكتب السياسي في ماوه ت يطلب فيها اطلاق سراح الشيوعيين وايقاف الاجراءات بحقهم.

كانت هذه بداية الخلافات بين البارزاني والمكتب السياسي والتي ادت في النهاية الى الانشقاق المؤلم في صفوف الحزب والثورة، والتي أثرت سلباً على الحركة التحررية الكُردية. وأستمرت آثارها وذيولها الى الآن.

مصير ابراهيم الطائي المؤلم

بعد عدة أيام من ذلك أي في حوالي منتصف شهر تشرين الثاني وبعد أن كنا نسمع من الاذاعة العراقية انباء الخلافات بين مختلف أجنحة حزب البعث في المؤتمر القطري الذي عقد في بغداد، ذهبت الى السجن وكنت أمزح مع هؤلاء الضباط حول مايدور في بغداد، وأخيراً اطاح عبدالسلام عارف بشركائه من حزب البعث وانفرد بالحكم، فرأيت ابراهيم الطائي وصديقه غفور فرحين بما حدث وتبين انهما كانا من القوميين ومن مؤيدي رئيس الجمهورية عبدالسلام محمد عارف.

بعد ذلك بأيام قليلة وجهت رسالة الى المكتب السياسي وبينت فيها موقف ابراهيم الطائي وكيفية تسليمه مركز شرطة كويسنجق بدون أية مقاومة وطلبت الموافقة على اطلاق سراحه ووضعه تحت الاقامة الاجبارية في ماوه ت وتحت مراقبتنا. أخذت الرسالة شخصياً معي وتوجهت الى المكتب السياسي وكان ذلك في نفس اليوم الذي اغتيل فيه الرئيس الامريكي جون كندي، وبعد أن قضيت الليلة هناك مبدين أسفنا على اغتيال كندي وكان (الملاماطور) ايضاً متواجداً في مقر المكتب السياسي وكان أكثرنا أسفاً على اغتيال كندي، وبعد مناقشة طويلة تمكنت من أقناع المكتب السياسي بما طلبته في رسالتي فيما يتعلق بأبراهيم الطائي، وفي اليوم التالي عصراً حصلت على رسالة فيها الموافقة على اطلاق سراح الموما اليه ووضعه تحت الاقامة الجبرية، وصلت ماوه ت بعد غروب الشمس بحوالي نصف ساعة، وكان في نيتي التوجه الى مبنى السجن وتبليغ ابراهيم الطائي بنبأ الموافقة على اطلاق سراحه، وفي هذه الاثناء وصل معاون مدير السجن وأخبرني بهروب ابراهيم الطائي والمدعو غفور فذهبت الى مبنى السجن وأوعزت بالبدء في التحقيق في الأمر وبعد دقائق شاهدنا ابراهيم الطائي يعود الى السجن متكئاً على الحائط ويسحب أحدى رجليه وراءه وينادي في طلب المساعدة، وتبين بأنه قد قفز من سطح البناية الى القسم الخلفي من المبنى التي كانت تعلو عن الارض عدة أمتار وكسر ساقه لثقل وزنه فأضطر للعودة أما الآخر فقد تمكن من الهرب.

ولما أبلغته بحصولي على الموافقة لأطلاق سراحه ابدى أسفه وندمه على فعلته، وكان جرحه بليغاً، حيث أن عظم ساقه قد خرج من جلده فكان ضخم الجثة وثقيل الوزن وأن ساقه لم تتمكن من تحمل هذا الوزن الذي هبط من علو شاهق، اما الآخر -غفور- فقد كان نحيل الجسم وخفيف الوزن لذا تمكن من النجاة بسهولة، أرسلت في طلب الطبيب الوحيد -الدكتور حكمت حكيم- في القصبة الذي كان طبيباً عسكرياً أوقف بعد انقلاب الثامن شباط وعندما كان في أحدى السيارات وتحت حراسة شديدة لنقله الى بغداد لمحاكمته حيث سبق أن ادلى بشهادته ضد المشتركين في حركة الشواف الفاشلة في آذار سنة ١٩٥٩ وكان مصيره الاعدام بصورة حتمية، لولا أن صادفته مفرزة من قوات الانصار اثناء نقله، وكان ذلك في اليوم الثاني للأنقلاب وقبل أعلان الهدنة فتمكنت المفرزة من أسر أفراد القوة المرافقة للطبيب الموقوف وانقاذه من الموت المحتم، ولما كان الطبيب المذكور من الحاقدين على أفراد النظام الجديد فقد تردد عن علاج ابراهيم الطائي لكنه وافق بعد أن طلبت منه ذلك، ولم تكن معالجته بالشكل المطلوب نظراً لعدم توفر الوسائل الطبية والادوية اللازمة وبعد حوالي الاسبوعين أصيب الموما اليه بـ(الكانگرين) الذي أدى الى وفاته، وقد زرته قبل وفاته بيوم واحد وكان قد فقد نطقه ولكنه تبادل معي الاشارات، وقد تأسفت لوفاته كما وأن المكتب السياسي أبدى أسفه لذلك.

لنعد الى السجين الآخر غفور، فقد بعثنا بعض المفارز ولكنهم لم يعثروا على أي أثر له، كما وأخبرنا القرى المجاورة وكذلك القرى الحدودية لكن دون جدوى، وفي اليوم الثالث راجعنا أحد الرعاة وأخبرنا بأنه قد عثر على جثة أحد الاشخاص في كهف صغير في الجبل القريب المشرف على ماوه ت، وبعد أن بعثنا بمحقق ومفرزة من القوات ودابة لنقل الجثة، عاد المحقق محملاً الجثة على الدابة وتبين انها جثة السجين الهارب (غفور) وبعد عرضها على السجناء بعد خلع ملابسه للتأكد من عدم اصابته بأي اطلاق ناري، وقد ظهر من التحقيق ومن أقوال الشاهد الذي عثر عليه بأنه بعد هروبه ووصوله قمة الجبل توقف عن السير أما خوفاً أو لعدم التأكد من وجهته وجلس في ذلك المكان الذي كان عبارة عن حفرة صغيرة في الجبل ونتيجة برودة الجو فقد فارق الحياة وهو جالس القرفصاء متجمداً.

وهكذا كان المصير المؤلم لكل من ضابط الشرطة ابراهيم الطائي الذي كان ينتمي الى أسرة فقيرة جداً وكذلك المدعو غفور. اما الضابط حميد القاضي والآخرون من الأسرى، فقد اطلق سراحهم فيما بعد أي بعد اعلان الهدنة في العاشر من شباط سنة ١٩٦٤.

مضى الوقت كذلك وبدأ الجو بالبرودة وكان شتاءً بارداً جداً والمنطقة مغطاة بثلوج كثيرة لم نشهدها منذ سنوات عديدة علاوةً على تفشي الامراض بين الماشية بحيث أصبح من الصعب جداً العثور على اللحوم السالمة من الامراض، وكان يمّر في جنوب قرية ماوه ت نهر يشكل فرعاً رئيسياً للزاب الصغير وكان جامداً في أكثر أوقات ذلك الشتاء عدا ساعات قليلة من النهار، وذات يوم وصلني خبر بأن أحد الاشخاص قد عثر على تمثال أثري قرب شاطيء النهر وان التمثال لدى أحد كوادر الحزب من سكان المنطقة وقد أخفاه عنده، ولدى التحقيق مع ذوي العلاقة اعترفوا بوجود هذا التمثال ولدى أحضاره تبين بأنه عبارة عن رأس ثور ذهبي يبلغ وزنه أكثر من كيلوغرام وأن نهاية الرأس أي من طرف العنق يربط بجسم الثور بطريقة لولبية، ولم نعلم في حينه فيما اذا كان الشخص الذي عثر على التمثال قد عثر عليه كاملاً أو أنه قد فصل الرأس عن الجسم وأعترف بوجود هذا الجزء فقط أو أنه قد عثر على الرأس وحده، ولكن قدم الخطوط اللولبية ووجود طبقة صدئة عليها قد جعل الاحتمال الثاني هو الارجح، كان التمثال مغطاة بالصدأ ووجد أن قسماً صغيراً من أحدى أذني الثور قد قطع حديثاً ولدى التحقيق تبين بأن الكادر هو الذي كسره وأرسله الى السليمانية لعرضها على الصاغة والتأكد من كونه ذهباً، وقد عرضنا التمثال على أحد الصاغة الملتحقين بالثورة وهو من سكان كركوك وأسمه فاتح الصائغ فأيد كون التمثال ذهباً خالصاً.

ونظراً للقيمة الأثرية للتمثال فقد جرى اخبار المكتب السياسي بذلك الذي طلب ارساله فوراً اليه، وقد تم تسليم ذلك التمثال الى المكتب السياسي ولا أعلم مصيره بعد ذلك، ولابد أنه كان عبارة عن تحفة أثرية نادرة وثمينة كان من الممكن اجراء البحث والتنقيب في المنطقة فيما لو عرض على الخبراء وكان من المحتمل جداً العثور على تحف أثرية أخرى.

وذات يوم حضر شقيقي عمر من موقع اذاعة الثورة القريب من ماوه ت

ومعه شاب آخر قدمه لي عمر على أنه المهندس سامي من سنجار، وقد جاءا الى ماوه ت بأجازة يوم واحد لغرض الاستحمام، بعد أن رافقهم حيدر الى الحمام الوحيد في القصبة تم تجهيز عشاء مناسب لهما بالنسبة لذلك الوقت، وبعد ذلك عادا ولكنهما طلبا تناول العشاء متأخراً لبعض الوقت، ولما استفسرت عن السبب اجابا بأنهما صادفا مطعماً صغيراً (للكباب) فلم يستطيعا تجاوزه حيث تناولا بعض الكباب.

وكان يعمل في المطبخ أحد الاسرى من اليزيديين الذي كان يتبع أحد المرتزقة، ولما تبادل سامي معه بعض الكلمات تبين أنه من سنجار ايضاً، وسأله سامي فيما اذا كان يعرفه، فأجاب بنعم قائلاً له: (انك محمد)، وهكذا كشف سامي عن هويته، أو بالأحرى كشفها الاسير اليزيدي، وتبين انه المهندس محمد محمود عبدالرحمن، وهكذا فقد كانت هي المرة الاولى التي تعرفت فيها على سامي، واستمرت صداقتنا لغاية اليوم أي زهاء أربعة عقود، بالرغم من المد والجزر الذي اصاب هذه الصداقة وبالرغم من الخلافات في الرأي والنهج في بعض الأحيان.

كيفية الاطلاع على خبر وفاة والدتي

في أواخر شهر كانون الاول من سنة ١٩٦٣ منحت اجازة لمرافقي العريف حيدر پيرداود للسفر الى منطقة أربيل والوصول الى قريتنا دوگردكان لزيارة ذويه سراً، وكان الوصول الى المنطقة يستغرق بضعة أيام وعاد حيدر من اجازته في الاسبوع الثاني من شهر كانون الثاني سنة ١٩٦٤، ولم يمكث طويلاً وقد لاحظت عليه الهدوء وكأنه يخفي أمراً عني، ولكنني لم أهتم بالموضوع، وكنا آنذاك في شهر رمضان المبارك وكنت صائماً كعادتي في صوم رمضان كل سنة، وفي أحدى أمسيات ذلك الشهر المبارك، ذهبت في موعد الافطار لمطعم صغير كان يديره فاتح الصائغ الكركوكي الذي ذكرته آنفاً، فأعد لي الموما اليه افطاراً بسيطاً وبينما كنت أنا منشغلا بتناول ذلك الافطار دخل المطعم شابان من أربيل أعرفهما سابقاً معرفة جيدة وهما أحمد رشواني وأمجد مصطفى، وبعد أن سلما عليَّ ودعوتهما لتناول العشاء قدما تعازيهما لي بمناسبة وفاة والدتي وقالا بأنهما قد حضرا مجلس العزاء الذي اقامه شقيقي كاك أحمد في قلعة دزه، وقد وقع ذلك الخبر عليَّ كالصاعقة وكان بالنسبة لي صدمة كبيرة ومفاجئة فتمتمت ببضع كلمات لا أذكرها ونهضت دون أن أتم تناول الافطار، وبعد أن دفعت قيمة افطاري وعشائهما تركت ماكان يسمى مطعماً مسرعاً وعدت الى محل اقامتي وشاهدت حيدر واقفاً لدى الباب ولما سألته عن سبب عدم ابلاغي نبأ وفاة والدتي لدى عودته، أجهش بالبكاء، فدخلت الدار حزيناً وباكياً بفقدان والدتي العزيزة.

وفي صباح اليوم التالي، أقمت مجلس فاتحة على روحها، وارسلت في طلب شقيقي عمر الذي كان يعمل في مركز الاعلام القريب من مقر المكتب السياسي، وارسل المكتب السياسي الذي كان يعلم الخبر، رسالة تعزية لي مع الكمية اللازمة من المواد الغذائية التي نحتاجها لغرض اقامة مجلس الفاتحة، وكذلك حضر (الملا ماطور) مجلس العزاء نيابةً عن المكتب السياسي، وحضر المراسيم عدد كبير من الاصدقاء والزملاء المتواجدين في ماوه ت وكذلك جميع سكان ماوه ت وقدموا تعازيهم بهذه المناسبة مشكورين.

بدء المفاوضات واجراء الهدنة

سرت شائعة وجود اتصالات بين قيادة الثورة الكُردية ونظام عبدالسلام محمد عارف بعد اطاحته بشركائه البعثيين للتوصل الى حل سلمي للقضية الكُردية، وكانت تلك الاخبار تردنا من منطقة قلعة دزه دون أن نطلع على تفاصيلها، وسمعنا بأن قائد الثورة الزعيم الراحل مصطفى البارزاني يقيم قريباً من قلعة دزه، وكذلك علمنا بأن كل من جلال الطالباني ونوري صديق شاوه يس قد سافرا الى منطقة قلعة دزه للأشتراك في المفاوضات، وان سكرتير الحزب ابراهيم أحمد وعضو المكتب السياسي عمر مصطفى دبابه لازالا موجودين خارج كُردستان.

كان أفراد الپيشمه رگه وعامة الناس يتناقلون أنباء المفاوضات بشوق وتلهّف، وكان أكثر منتسبي الثورة يتطلع الى ذلك اليوم الذي يعلن فيه هدنة مع النظام بكل حماس وشوق، ووضع نهاية –ولو بصورة مؤقتة– لهذه الحياة الصعبة والشاقة، وأعتقد بأن المتشددين من أعضاء المكتب السياسي وأعضاء الحزب بصورة عامة لم يدركوا هذا الجانب، ولم يضعوا في حسبانهم رغبة جماهير الأنصار وكذلك غالبية الشعب في المناطق التي كانت تحت سيطرة الثورة في الحصول على فترة من الهدوء والراحة بعد هذا العناء الطويل ولايتوفر ذلك الا في ظل هدنة يجري الاتفاق عليها. لذا كانت نتيجة حساباتهم خاطئة ولم يحظوا الا بتأييد عدد قليل من الانصار عند حدوث الانشقاق المؤلم. وقد تبين فيما بعد ايضاً بأن الكل تقريباً يرحب بأي مشروع اتفاق أو أعلان هدنة مهما كان نوعه أو نتائجه.

وهكذا مرت الايام مسرعة وبدأت المفاوضات تأخذ مجرى جدياً وتصلنا انباءها دون أن نطلع على تفاصيلها، وعلمنا فيما بعد أن البارزاني قد وصل الى مركز ناحية سنگه سه ر القريبة من قلعة دزه وأنه يتردد عليها وعلى رانية احياناً.

في الأسبوع الاول من شهر شباط سنة ١٩٦٤ حصلنا أنا والمرحوم عمر

حبيب رئيس المحكمة العليا للثورة على اجازة لقضاء بضعة أيام في قلعة دزه، فغادرنا ماوه ت ووصلنا قرية قاميش مساءً وكانت الثلوج تغطي الاراضي بصورة كثيفة، وقرية قاميش هي قرية كبيرة يزيد عدد دورها على المئتين داراً (أو عائلة) ويديرها شخصان يمتان لبعضهما بصلة قرابة وثقى، ولكن كان هنالك نوع من المنافسة والمشاكل العشائرية بينهما لم يتمكن المسؤولون في الثورة من حلها نهائياً، وكان رئيسا القرية هذه يدعيان (الحاج عزيز) و(الحاج سليم)، وحللنا ضيوفاً على الحاج عزيز، ولم يكن سبب ذلك تفضيل أحدهما على الآخر أو تأييده بل كان بطريقة الصدفة فكانت داره تقع أقرب من دار الرئيس الآخر الى الطريق الذي كنا نمرّ فيه، وقد أبدى الرجل معنا منتهى الكرم وحسن الضيافة وأمر بأحضار الخيول والدواب اللازمة لنقلنا في المرحلة الثانية صباح اليوم التالي وكذلك بعض المرافقين، وقد صادف ان سقطت تلك الليلة كمية كبيرة من الثلوج حتى صباح اليوم التالي، وبعد أن غادرنا القرية وبعد مدة قليلة جداً لم تتمكن الدواب من السير في تلك الثلوج فأضطررنا الى اعادتها والسير على الاقدام، وكانت جماعة من رجال القرية يسيرون امامنا مرتدين أحذية خاصة مشدودة الى قطعة عريضة من الخشب، وذلك لتسهيل السير على الثلج وكنا نقتفي أثرهم، وهكذا الى أن وصلنا ظهراً قرية تدعى (زه رون) حيث تناولنا الغداء وعاد الرجال المرافقون الى قريتهم وقد توقفت الثلوج وبدأ الجو شبه صحواً، وغادرنا تلك القرية مارين بوادي أسمه وادي (زه رون) وكان الطريق يمّر عبر نهر صغير يصل ماؤه مستوى الركبتين أو أكثر أحياناً، وكان الوادي ضيقاً لدرجة اضطرار المرء أن يسلك ذلك الطريق الضيق الذي كان يقطع النهر يميناً ويساراً أكثر من ثلاثين مرة وهو يسير في المياه الباردة.

وبعد أكثر من نصف ساعة في تلك الظروف الصعبة وفي ذلك الجو البارد فقد قطعنا الوادي ولله الحمد وبدأنا نجتاز منطقة شبه سهلية نسبياً، وعند المساء وصلنا منطقة تسمى (ويسي) على حافة نهر الزاب الصغير، كان هنالك عند تلك النقطة شخص يدعى (مارف آغا أي معروف آغا)، مرسلاً من المكتب السياسي للأشراف على بناء معبر (عبارة) تقطع النهر لتسهيل الوصل بين طرفيه وتسهيل المواصلات بين منطقة قلعة دزه وماوه ت. وكان

قبل ذلك (ولحين وصولنا) تستعمل عبارات بدائية عبارة عن بعض أغصان الاشجار مربوطة ببعض مشدودة على قرب من جلود الماعز منفوخة بالهواء وتتحمل عبور شخصين فقط وقائد تلك العبارة الذي كان يحمل مجذافاً طويلاً من أغصان الاشجار وبعض الألواح الصغيرة، وكانت هذه الطريقة خطرة جداً خاصةً أيام الشتاء والربيع عندما يفيض النهر وتكون مياهه كثيرة ومسرعة ووقعت حوادث مؤسفة عديدة ذهب ضحيتها العديدون.

وصلنا تلك النقطة وكان مارف آغا موجوداً وقد بنى في ذلك المكان مبنى استقبال عبارة عن غرفتين وكذلك خيمة جيدة ومشدودة اطرافها بطريقة يجعلها دافئة مع وجود نيران كافية للتدفئة.

وبعد تناولنا طعام العشاء والاستراحة بعد هذه الرحلة الشاقة حضر رجل من المنطقة وبدأ يتكلم عن الصيد في الجبل والوعل الجبلي وأنه يتمكن من قنص هذه الحيوانات بسهولة وطلب عدة اطلاقات نارية لبندقيته لكي يصطاد وعلاً جبلياً، وقد المح لنا مارف أغا بأن هذا الشخص يبالغ كثيراً، ولكنه عندما أصر أوعزت الى مرافقي حيدر بتزويده ببعض الخراطيش، وقد غادر الموما اليه ليلاً وبعد أن نهضنا مبكرين ونحن نتناول الفطور عاد الرجل وهو يحمل فوق ظهره جثة وعل جبلي كبير وكان يترنح في مشيه نظراً لثقل الوعل. وبدأنا بتشجيعه وكيل المديح له على هذا الصيد الناجح، وبعد الانتهاء من الفطور قطعنا النهر على تلك العبارات الخطيرة ونحن لانجيد السباحة، وبعد أن عبرنا جميعاً بقي مرافقي حيدر الذي استقل عبارة لوحده، وكانت المياه سريعة لدرجة أن صاحب العبارة قد فقد السيطرة عليها برهة ما وبعد أن تجاوز مكان النزول مرتين وكادت العبارة ان تصل الى منحدر نهري لو لم يتدارك ذلك بسرعة وجرأة وكفاءة وعند وصول العبارة الى شاطيء الامان لقيت حيدراً مصفر الوجه وقلقاً جداً، ثم غادرنا المكان بعد أن ناولنا اصحاب العبارة بعض النقود، وكنا نحمل معنا بعض الاطعمة السفرية التي جهزها لنا مارف آغا لذا لم نقف في أية قرية في طريقنا لتناول الغذاء الا مساءً، حيث وصلنا الى قرية تدعى (ده شتيو) والتي تبعد عن قلعة دزه مسيرة ساعتين أو أكثر بقليل. ومكثنا تلك الليلة في أحدى الدور وكان صاحبها يدعى (الحاج مصطفى) الذي كان رجلاً

مضيافاً وغادرنا تلك القرية صباح اليوم التالي متوجهين الى قلعة دزه التي وصلناها قبل الظهر بقليل وكأننا وصلنا أحدى المدن الاوروبية وتوجهت الى الدار التي كان يقيم فيها شقيقي كاك أحمد وكذلك افراد الپيشمه ركه المرافقين له، وكانت تلك الدار قريبة من مقر عمله كمعاون لآمر الهيز (اللواء)، وكانت مدينة قلعة دزه في نظرنا كمدينة اوروپية مقارنةً بماوه ت وغيرها من القصبات التي كنا نرتادها، وقد عزينا أحدنا الآخر مع شقيقي كاك أحمد بمناسبة وفاة والدتنا ثم خلدت الى الراحة من عناء السفر والتعب.

وعلمنا في ماوه ت بأن المفاوضات جارية وأن وفد الحكومة المركزية قد زارت المنطقة قبل يومين من وصولنا وأجتمعت في مدينة رانية بقائد الثورة البارزاني وبعض اعضاء المكتب السياسي المتواجدين في المنطقة ومنهم جلال الطالباني ونوري صديق شاوه يس.

قضينا يومين أو ثلاثة في قلعة دزه وبعد وصولنا لاحظنا آثار الفرح بادية في وجوه افراد الپيشمه ركه والسكان بسبب سريان انباء المفاوضات وقرب اعلان الهدنة، وتحرك الناس بأمان وحرية للمرة الأولى منذ حزيران من السنة الماضية. وعلمنا بأن الوفد الحكومي المفاوض سيعود الى رانية في اليوم العاشر من شهر شباط سنة ١٩٦٤ وتوجهت ذلك اليوم مع المسؤولين الى رانية وقد هبطت طائرة مروحية تحمل افراد الوفد الذي كان برئاسة الحاج عبدالرزاق السيد محمود محافظ السليمانية وكان معه بعض ضباط الجيش والمسؤولين الآخرين وهناك اجتمعوا مع الجانب الكُردي المؤلف من البارزاني وجلال الطالباني ونوري صديق شاوه يس وكذلك حضر المحادثات كل من السادة مسعود محمد وكاكه زياد (محمد زياد آغا الغفوري) وآخرين لا أتذكرهم، وكنت خارج المبنى الذي جرى فيه الاجتماع وبعد عدة ساعات خرج جلال الطالباني من المبنى وسمعته يقول: بأنه قد تم الاتفاق والتوقيع عليه، ولم أعلم في حينه تفاصيل الاتفاق أو الموقعين عليه. ولكنني علمت تلك التفاصيل فيما بعد، وفي اعتقادي بأن الاتفاق ولو لم يكن يتضمن الحدّ الأدنى من الحقوق القومية للشعب الكُردي ومن أهداف الثورة ولكنه كان أمراً ضرورياً في ذلك الوقت بسبب الانهاك الذي اصاب الجميع وخطوة حكيمة وحسنة للحصول على فترة هدنة وشيء من الراحة، ولم يكن ذلك نهاية المطاف بل أنه كان بمثابة خطوة مرحلية أو مايسمى (تكتيكاً) كان من الممكن مسايرة

هذه الخطوة المؤقتة وتجنب الخلافات التي أدت في النهاية الى الانشقاق المؤلم والذي أثر سلباً على مجمل الحركة التحررية الكُردية، وكان من الممكن اقناع بعض المتشددين في المكتب السياسي بالأمر الواقع وتجنب حدوث ما هو أخطر من ذلك.

كان البارزاني الراحل أبعد مايكون عن المساومة والتنازل عن الحقوق القومية للشعب الكُردي ولكنه كان -رحمه الله- رجلاً بعيد النظر يعلم مايدور بخلد جماهير الشعب وحاجتها لفترة من الراحة والأمان بعد تلك الحرب الطاحنة التي أدت الى حرق الزرع والضرع وخاصةً في مثل ذلك الشتاء القاسي.

وهنا يجب ذكر حقيقة أخرى وهي أن الجانب الكُردي لم يكن هو الجانب الوحيد الذي يحتاج الى فترة هدنة وراحة، بل الجانب الحكومي ايضاً، فأن الرئيس عبدالسلام محمد عارف الذي اطاح بشركائه البعثيين الذين ساهموا بصورة فعالة في انقلاب الثامن من شباط سنة ١٩٦٣ والذي اطاح بحكم الفريق الركن عبدالكريم قاسم وتمكن من الانفراد بالحكم في انقلابه على البعثيين في الثامن عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٦٣ كان في حاجة ايضاً الى شيء من الراحة ونوع من الهدنة وذلك لأعادة تنظيم صفوف جيشه المنهك والمنقسم على نفسه، ولم يكن عبدالسلام عارف من الذين يؤمنون بأية حقوق قومية للشعب الكُردي بل كان يتميز بالعنصرية والحقد والكراهية بالنسبة لهذا الشعب بالأضافة الى صفاته الشخصية الاخرى من الرعونة والصلافة والعنجهية، وكان حاقداً على الشعب الكُردي لدرجة انه جعل من أكثر العشائر الكُردية ذات أصول عربية وأدعى بأن اسمائها هي مشتقة أصلاً من اسماء العشائر العربية، لذا كان أحوج مايكون لفترة من الهدنة والراحة يستغلها للتهيؤ لجولة أخرى ضد الشعب الكُردي والانقضاض على ثورته حسب تفكيره العقيم.

ورغم عدم وضوح الموقف بصورة جلية ورغم عدم تضمن البيان الحد الادنى للحقوق القومية للشعب الكُردي -كما ذكرت سابقاً- لكنه لقي ترحيباً حاراً من أفراد البيشمه ركه -الانصار - ومن افراد الشعب، خاصةً في المناطق التي تحت سيطرة سلطات الثورة وقد ظهرت حقيقة ذلك فيما بعد عند وقوع الانشقاق وانضمام الغالبية العظمى من الأنصار الى جانب البارزاني.

فترة الهدنة

ذكرت سابقاً وفي الجزء الأول من هذا الكتاب بأنني قد سافرت الى منطقة أربيل بعد صدور بيان الهدنة في العاشر من شهر شباط سنة ١٩٦٤ وكيف أنه بعد الذهاب الى قريتنا والاطلاع على انقاض دورنا المحروقة والمهدمة من قبل قوات الحكومة ومرتزقتها وبعد اداء الزيارة لضريح والدتي ذهبت للتجول في بعض قرى المنطقة العائدة لأقاربي وكيف أن بدرالدين علي -متصرف أربيل- طلب من البارزاني عن طريق سلطات الارتباط ابعادي عن المنطقة وكيف أنني عدت الى منطقة رانية وقلعة دزه بعد أن أمر البارزاني بذلك.

وبعد قضاء بضعة أيام أخرى في رانية وقلعة دزه عدت في شهر آذار من تلك السنة الى مقر عملي في ماوه ت عن طريق السليمانية، حيث قضيت يومين أو ثلاثة في ضيافة ابن عمي المرحوم علي فتاح دزه يي الذي كان مديراً لأحدى النواحي ومقيماً في السليمانية وكان المرحوم بايز عزيز دزه يي قائممقاماً لقضاء مركز السليمانية، وكذلك قضيت بعض الوقت مع اصدقائي الكثيرين في السليمانية وخاصةً الذين كانوا من زملائي ومعارفي اثناء فترة عملي القصيرة في ماوه ت. والتقيت كذلك بشقيقي عمر في السليمانية وكان يتهيأ للسفر والعودة الى دراسته في فرنسا.

وبينما كنا في السليمانية سمعنا ذات ليلة ببدء قوات السلطة بالقاء القبض على الناس بدون تحديد، وشاع هرج ومرح في المدينة وأصيب الأهالي وخاصةً الذين كانوا منضمين الى الثورة بذعر شديد نتيجة للتجارب السابقة والجرائم التي ارتكبت بحق المواطنين في السنة التي سبقت تلك حيث قام العميد صديق مصطفى الذي كان آمراً للقطعات العسكرية المرابطة في السليمانية في ليلة التاسع من حزيران سنة ١٩٦٣ بالقاء القبض على المواطنين بطريقة عشوائية وقتل أكثر من سبعين شخصاً من المثقفين والمدرسين ودفن عدداً كبيراً منهم أحياءً، وخوفاً من تكرار تلك الجرائم والمآسي ترك القسم الأكبر من المواطنين المدينة سيراً على الأقدام متوجهين نحو الطرق الخارجية، وبعد مدة حضر المقدم كريم قره ني الذي كان ضابطاً في الجيش من أهالي السليمانية

ومن أصدقاء الفريق طاهر يحيى رئيس الوزراء والذي أصبح فيما بعد متصرفاً -محافظاً- للسليمانية، جاء المقدم كريم قره ني وأخذ يهديء من روع المواطنين ويؤكد لهم عدم صحة هذه الاشاعات وبدأ الناس بالعودة الى المدينة في ساعة متأخرة من الليل وكنت أنا وشقيقي عمر من ضمن هؤلاء.

وفي صبيحة اليوم التالي عاد عمر الى أربيل وعدت أنا الى مقر عملي في ماوه ت.

كان الجو متوتراً والناس يعيشون حالة قلق وعدم استقرار فكري نتيجة سريان الشائعات عن تفاقم الخلافات بين البارزاني وأعضاء المكتب السياسي وقرب وقوع الانشقاق في صفوف الحزب، باشرت بعملي كالمعتاد دون وجود أي عمل هام فكان أكثرية أعضاء المحاكم قد تركت المنطقة وعادت الى السليمانية والمدن الاخرى وكذلك كانت بناية السجن ومعتقل الاسرى شبه خالية من المقيمين فيها، اذ تم اطلاق سراح الاسرى وأكثر المتهمين والمشتبهين بالتجسس والاعمال المضادة للثورة الكُردية، ولم يبق الا عدد قليل من المتهمين بجرائم اعتيادية، وبعد أيام حضر كل من كاكه زياد (محمد زياد آغا الغفوري) الشخصية الوطنية والاجتماعية المعروفة في كويسنجق وكذلك شقيقي كاك أحمد والشيخ حسين بوسكين الذي كان من الشخصيات المعروفة في منطقتي رانية وپشدر، وآخرين لا أتذكرهم وطلبوا من ابراهيم أحمد -الذي كان قد عاد من الخارج- الامين العام للحزب مرافقتهم للقاء البارزاني وحّل الخلافات الموجودة بين رئيس الحزب والمكتب السياسي الا ان الموما اليه قد أمتنع عن الذهاب معهم، فعاد هؤلاء، وطلبت أنا اجازة أخرى لبضعة أيام ورافقت هؤلاء وعدنا الى قلعة دزه عن طريق السليمانية ووصلنا سدة دوكان قبل غروب الشمس بقليل، وكان يقيم فيها فوج من قوات الجيش بأمرة المقدم صعب الحردان الذي أبى أن يسمح لنا بمغادرة المنطقة الا ان نقضي ليلة في ضيافته وكان رجلاً طيباً وكريماً جداً فبقينا تلك الليلة هناك ومن خلال قضاء الوقت معه تبين بأنه كان من الضباط الذين يؤمنون بالوطن العراقي وذو روح ديمقراطية وليبرالية وأنه ضد هذه الحرب التي شنت على الشعب الكُردي، وقضينا تلك الليلة في المبنى الخاص والمتخذ كدار استراحة والتي كانت مريحة جداً كفنادق الدرجة الاولى، وبعد تناول الفطور صباح اليوم التالي وبعد تبادل

أحاديث ودية وشيقة مع آمر الفوج المقدم صعب الحردان غادرنا دوكان متوجهين نحو رانية.

وبعد قضاء بضعة أيام في رانية مقيماً في دار الشيخ حميد الشيخ صدرالدين الذي هو ابن عم والدتي، عدت الى ماوه ت وكان ذلك في شهر نيسان على ما أعتقد، وبعد أن قضيت ليلة في السليمانية في دار ابن عمي علي فتاح دزه يي سافرت الى ماوه ت، وبعد عبور جبل گويژة وبعد مفترق الطريق الذي يؤدي الى پنجوين بقليل، شاهدت سيارة قادمة من جهة ماوه ت وفيها بعض أفراد الپيشمه رگه من الذين أعرف بعضهم وكان بعضهم من مرافقي بعض أعضاء المكتب السياسي ونظراً لضيق الطريق ورداءته، فقد توقفت السيارتان وشاهدت بداخل السيارة القادمة من ماوه ت عين الشخص الذي لقيته في دار شقيق عمر دبابه في شهر ايلول من السنة الماضية وهو الضابط الايراني المدعو (عيسى پژمن) والذي كان معاوناً للملحق العسكري الايراني في بغداد، وعندما شاهدني هو ايضاً ترجل من السيارة وقد عرفني وتذكر لقاءنا السابق وبعد أن تبادلنا كلمات التحية والترحيب قال بأنه عائد من ماوه ت وأن الوضع جيد وأن كونفراساً حزبياً يعقد في ماوه ت الآن وثم غادر ولم أسأله فيما اذا كان عائداً الى ايران أو بغداد ولكنني أعتقد بأنه قد عاد الى ايران عن طريق پينجوين.

وعندما وصلت ماوه ت شاهدت بأن الكونفراس الحزبي على وشك الانتهاء، وعلمت بأن قراراً بعيداً عن الواقع وعن الحكمة قد أتخذ في الاجتماع وهو تجريد رئيس الحزب البارزاني من صلاحياته، وكان ذلك قراراً غريباً حقاً لايساعد قّط على حل الخلافات الموجودة بل يؤدي الى تأجيجها وتوسيع شقتها بالأضافة لكونه غير عملي وغير قابل للتنفيذ.

وخلال تلك المدة بدأت وحدات كثيرة من قوات الانصار بترك مواقعها والذهاب الى مدينتي رانية وقلعة دزه حيث كان البارزاني موجوداً هناك وذلك لأظهار ولائها وتأييدها له.

وتحضرني هنا المقولة الشهيرة التي اطلقها المرحوم صالح شيره الكادر الحزبي الشهير ومن أوائل الحزبيين، فبعد انتهاء الكونفراس وأصدار القرار المذكور، وجه صالح شيره كلامه الى المشرفين على الاجتماع قائلاً:«اننا قد

قررنا تجريد البارزاني من صلاحياته ولكنني أرجوكم أن تدلوني على طريق لكي أسلكه عند عودتي الى داري في أربيل»، وكان يقصد من خلال كلامه بأن كافة الطرق مغلقة ويشرف عليها مؤيدوا البارزاني!!.

وبعد بضعة أيام، قدم الى ماوه ت المرحوم عباس مامند آغا وهو من الشخصيات الوطنية والاجتماعية وكان يحظى بتقدير خاص من البارزاني وكذلك تقدير اعضاء المكتب السياسي وطلب من ابراهيم أحمد مرافقته للقاء البارزاني فوافق وسافرا معاً الى منطقة رانية، وفي أواخر شهر نيسان من تلك السنة أي في ١٩٦٤ رأيت أن لافائدة من بقائي في ماوه ت ولايمكن في الظروف المذكورة الاستمرار في العمل، وبعد شرح الموقف لأعضاء المكتب السياسي المتواجدين قررت السفر الى منطقة رانية وقلعة دزه وذهبت الى السليمانية اولاً بعد أن أوصيت مرافقي حيدر بنقل أمتعتنا القليلة وقطعتي السلاح التي كانت بحوزتنا عن طريق المشاة لتعذر نقل الاسلحة عن طريق السيارات ومن السليمانية بعد أن قضيت يومين فيها سافرت الى قصبة رانية حيث المقر المؤقت للبارزاني وكنت أقضي أيامي بين رانية حيث أقيم في دار الشيخ حميد الشيخ صدرالدين -ابن عم والدتي كما ذكرت- وقلعة دزه في المقر الخاص لشقيقي كاك أحمد، وكنت خلال تلك المدة أشعر بالأسف جراء الخلافات الناجمة بين قادة الثورة التي ضحيت من أجلها بكل ما أملك وأرى آمالي التي كنت أرجو تحقيقها في طريقها الى التلاشي، وكنت حائراً بين التفكير في العودة الى أهلي وعملي السابق أو ربط مصيري بالمجهول والانتظار لحين حل هذه الخلافات، فكنت أستبعد الحالة الاولى لعدة أسباب، فكان على البدء من الصفر، اذ خسرت كل ما نملك من الناحية التجارية أو الزراعية، كما وأن دورنا الريفية قد أشعلت فيها النيران واملاكنا الزراعية قد صودرت وحتى المحصول الزراعي الذي كنا بسبيل جنيه قد نهبت وتراكمت علينا التزامات مالية كبيرة، وكان أكثر ما يؤلم ما كنت أتوقعه من شماتة الاعداء والمرتزقة وسخريتهم، فبدون شك وعند عودتي وتركي صفوف الثورة كنت أواجه أسئلة عديدة من الاصدقاء والخصوم عن اوضاع الثورة والنهاية التي وصلت اليها ونتائجها وكيف أنني ضحيت بكل ما أملك دون الحصول على أية نتيجة و.. و.. الخ من الأسئلة العديدة والمحرجة. لذا لم أجد كثيراً من العناء لكي أصدر قراري النهائي بالبقاء في صفوف الثورة والاستمرار

فيها مهما كانت النتائج ومهما كان المصير.

وخلال تلك المدة التقيت البارزاني عدة مرات وفي مناسبات عامة في مركز ناحية سنگه سه ر أو في رانية وقابلته مرة واحدة في لقاء خاص، وفي أواخر شهر نيسان أو أوائل شهر مايس سافرت الى أربيل بعد أن علمت بأن المتصرف بدرالدين علي قد جرى نقله من اللواء -المحافظة- وكان قد حّل محله السيد يونس حسين وهو من ضباط الجيش ولم يستمر بقاءه سوى أسابيع، وبعد ذلك عيّن العميد الركن عبدالمنعم المصرف متصرفاً -محافظاً- لأربيل الذي كان قد باشر وظيفته قبل أيام من وصولي المدينة.

عند وصولي أربيل للمرة الأولى بعد أحد عشر شهراً من مغادرتي لها، التقيت بأقاربي وأصدقائي القدماء، الذين كنت أقضي معهم أكثر أوقاتي قبل التحاقي بالثورة، ومن جملتهم محمد حسن دزه يي مدير المصرف الزراعي ومجيد جوكل دزه يي وكان قد القي القبض عليهما ليلة التاسع من حزيران سنة ١٩٦٣ أبان المباشرة بالحركات العسكرية من قبل النظام، وكان المرحوم مجيد دزه يي قد فصل من وظيفته كنائب مدعي عام ثم أعيد بعد مدة بوظيفة كاتب أول في محاكم أربيل، أما محمد حسن دزه يي فكان قد نقل كمدير الى أحد الفروع في بغداد وكان يتمتع بأجازة يقضيها في أربيل، وكذلك التقيت بصديقي القديم جودت أحمد ناجي الذي كان مديراً للتحرير في ديوان المتصرفية -المحافظة- وكذلك أصدقاء الطفولة نهاد نورالدين والدكتور عبدالرزاق الدباغ وغيرهم لايسع المجال هنا لدرج اسمائهم جميعاً.

ونصحني المرحوم محمد حسن دزه يي بزيارة كل من المتصرف عبدالمنعم المصرف وكذلك آمر اللواء الثالث العميد الركن كمال مصطفى.

ذهبت لزيارة السيد عبدالمنعم المصرف واستقبلني في حديقة داره عصر أحد الايام ووجدته رجلاً مهذباً جداً ومتواضعاً وعرض استعداده لتلبية أي طلب ممكن، كما ووجدته انساناً مسالماً يحب الخير ولايميل الى الشر بتاتاً وكذلك محباً للسلام والهدوء في المنطقة وقد نمت الصداقة بيننا منذ اللقاء الاول وبعد ذلك أصبحت دوماً أتردد عليه في ديوان المتصرفية -المحافظة- ونتعاون معاً في حل المشاكل الطارئة بالنسبة للمحافظة، وتبين فيمابعد بأنه من أفضل المتصرفين العراقيين اطلاقاً ممن تولوا ادارة لواء أربيل منذ اندلاع الثورة

الكُردية ولغاية انسحاب ادارات الحكومة المركزية من كُردستان في شهر تشرين الأول من العام ١٩٩١.

كما وزرت العميد الركن كمال مصطفى آمر اللواء الثالث الذي وجدته من خيرة الضباط العراقيين وشخصاً اجتماعياً لطيف المعشر بعيد كل البعد عن روح العنف والعنصرية ومحباً للخير والتآخي بين جميع المواطنين مؤمناً بعراق الجميع، وبدأت صداقتنا منذ ذلك الحين ولغاية اليوم وأصبح من المقربين جداً كما وأصبح من الأصدقاء المقربين للزعيم الكُردي الراحل مصطفى البارزاني وأصبحت له مكانة خاصة وتقدير وأحترام كبيرين لديه وأحتفظ بهذه العلاقة فيما بعد مع الرئيس مسعود البارزاني ايضاً وسآتي على تفاصيل هذه العلاقات فيما بعد. وأنه ينحدر من عائلة مزيجة من العرب والتركمان والكُرد لذا فهو يمثل بحق موزائيك القوميات في العراق.

وعلمت بأن فتاح آغا الهركي رئيس عشيرة الهركي الشهيرة والذي كان من الموالين للحكومة المركزية لكنه كان يحتفظ بعلاقات حسنة مع قيادة الثورة وله مواقف مرضية، علمت بأنه كان يقوم بزراعة اراضينا الزراعية ولكن كان غرضه حماية تلك الاراضي من المصادرة أو منع سيطرة بعض المرتزقة عليها وأنه قد احتفظ على حصتنا من تلك المزروعات وأبدى استعداده لأعادتها جميعاً متى ما أستتبت الأمور ومتى طلبنا منه ذلك نحن، وقد قام بذلك العمل مشكوراً للعلاقات السابقة بيننا وحفظاً لمصالحنا.

سفري الى بغداد

عدت الى منطقة رانية بعد قضائي بضعة أيام في أربيل بين أهلي وأصحابي، وشاءت الظروف والصدف أن أتعرف على الأخوان مسعود البارزاني أولاً وبعد أيام قليلة على ادريس البارزاني وتطورت هذه العلاقة ثم اصبحت حميمية واستمرت -ولله الحمد- لغاية اليوم.

وكذلك وجدت في رانية بعض أعضاء المكتب السياسي وسكرتير الحزب ابراهيم أحمد متواجدين هناك ومما يؤسف له بأنني لاحظت أن الخلافات قد أشتدت وكان الانشقاق المؤلم وشيك الوقوع، عدت الى أربيل ومنها الى بغداد بعد أن فاتح السيد عبدالمنعم المصرف محافظ أربيل ماكانت تسمى بوزارة الدولة لشؤون أعمار الشمال والتي كان يشغلها المرحوم مسعود محمد الذي تسنّم هذا المنصب بعد أعلان الهدنة بأسابيع، كذلك فاتح متصرف أربيل رئاسة الوزارة بتعويضي عن بعض الخسائر التي لحقت بنا خلال هذه المدة. وبعد أن التقيت مسعود محمد تبين بأنه لم يكن يملك أية صلاحيات وأخبرني بضرورة مقابلة رئيس الوزراء الفريق طاهر يحيى وقد حصلت على موعد للقائه ووجدت الرجل متواضعاً ورحّب بيَّ وأنجز معاملتي وبذلك حصلت على موافقة لدفع مبلغ زهيد بالنسبة لخسائرنا وكذلك نفس المبلغ بالنسبة لشقيقي كاك أحمد على أن يدفع في أربيل من الميزانية المخصصة لذلك، وكنا في أمس الحاجة في ذلك الوقت الى أي مبلغ لضياع كل شيء، وقد صرفت الجزء الأعظم منه لتلافي الالتزامات التي تراكمت علينا خلال تلك الفترة. وفي بغداد قابلت ابن خالتي وصديقي المقرب المحامي زيد أحمد عثمان وقضينا بضعة أيام معاً.

وخلال وجودي فيها ايضاً، قمت بزيارة المرحوم اللواء رشيد مصلح الذي كان وزيراً للداخلية وحاكماً عسكرياً عاماً، ولم يتذكرني للوهلة الاولى فكان آمراً لسريتنا في دورة الاحتياط في معسكر سكرين سنة ١٩٥٣ ثم معاوناً لآمر فوجنا، ولما ذكرته بنفسي استقبلني ببشاشة وأوعز الى سكرتيره المقدم الركن عبدالرحمن الناصر لأصدار وثائق عدم تعرض وحمل أسلحة لي.

وكان المقدم عبدالرحمن الناصر ملحقاً عسكرياً في براغ عندما ذهبت الى هناك كسفير سنة ١٩٧٠، اما رشيد مصلح فقد استقال من منصبه فيما بعد لخلافه مع عبدالسلام عارف حسبما أعتقد وقد أعدم بعدما جاء حزب البعث الى الحكم في انقلاب سنة ١٩٦٨ (رحمه الله).

المؤتمر السادس للحزب

وبعد عودتي الى أربيل سافرت ثانيةً الى رانية وقضيت فيها بضعة أيام وقد غادرها أكثر أعضاء المكتب السياسي عائدين الى ماوه ت، وأستمرت الألتحاقات في تلك الفترة ولم يبق الا عدد قليل من وحدات الپيشمه رگه مع المكتب السياسي مقارنةً بالعدد الفعلي الموجود، وقد دعا رئيس الحزب مصطفى البارزاني الى عقد مؤتمر للحزب، الا ان سكرتير الحزب وأعضاء المكتب السياسي ومعظم أعضاء اللجنة المركزية والكوادر الموالين لهم قد أمتنعوا عن الحضور ورغم توسط شخصيات كوردية عديدة داخل الثورة أمثال كاكه زياد وعباس مامند آغا وشيخ حسين بوسكين وأحمد محمدأمين دزه يي وكذلك خارجها أمثال فؤاد عارف ورؤوف أحمد والدكتور عبدالرحمن عبدالله وغيرهم، لكن جهودهم لم تنجح في حل المشاكل العالقة، وكان من الممكن حل تلك الخلافات بتنحي اثنين أو ثلاثة من اللجنة المركزية وبضمنهم سكرتير الحزب ابراهيم أحمد ولكن التعنت والاصرار من قبل هؤلاء المتشددين قد حال دون ذلك.

عدت الى أربيل ثم الى بغداد وسمعت بأن المؤتمر السادس للحزب قد عقد في قلعة دزه وتم انتخاب لجنة مركزية جديدة، وقرر المؤتمر طرد اعضاء اللجنة المركزية الذين رفضوا الحضور من الحزب.

التقيت في بغداد كل من حبيب محمد كريم ويدالله كريم[1] اللذين انتخبا في اللجنة المركزية الجديدة وكلاهما من أصدقائي، فكان حبيب زميلي في الدراسة وتمتد صداقتنا الى أيام الكلية ومنذ سنة ١٩٥١، أما يدالله فعرفته بعد ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨. وقد ناقشنا الاوضاع الجديدة وعلمت منها أنه ورد اسمي لرئاسة القسم العدلي الذي استحدث في الادارة الجديدة للحزب، وأستقر رأينا على الاستمرار في العمل في صفوف الحزب والثورة، بالرغم من تأسفنا لحدوث ذلك الانشقاق في صفوف الحزب والثورة، وبعد انتهاء المؤتمر طولب المكتب السياسي السابق بتسليم ممتلكات الحزب الى اللجنة المركزية الجديدة وعند رفض ذلك حدثت مناوشات مؤسفة انسحبت على أثرها جماعة المكتب السياسي القديم الى داخل الحدود الايرانية مع مايقارب

من خمسمائة مسلح من أعضاء وكوادر الحزب والپيشمه ركه، وبعد محاولة أخرى للعودة الى كُردستان حدثت مناوشات أخرى أنسحبت الجماعة الى داخل الحدود الايرانية مجدداً ثم اسكنوا في همدان من قبل السلطات الايرانية بعد تهديد البارزاني لتلك السلطات.

كان الكثيرون من أمثالي لايزالون يتعاطفون مع المنشقين وكان البارزاني يعلم بذلك، وكان مرد ذلك التعاطف بالنسبة لي لسببين رئيسيين أولهما كون أكثر المنشقين من أصدقائي وزملائي القدامى وترجع العلاقة والصداقة مع بعضهم الى نهاية الاربعينيات من القرن الماضي، والسبب الثاني هو قناعتي بأن أي انشقاق في صفوف الحزب والثورة يؤدي الى اضعافهما ويضر بمصلحة الشعب الكُردي، وعندما أقول بأن البارزاني كان مطلعاً على مثل هذا الشعور أورد مثلاً على ذلك، فعند اندلاع القتال من جديد سنة ١٩٦٥ ونتيجة توسط البعض وحرصاً منه على المصلحة العامة ومصلحة الثورة، فقد وافق البارزاني على عودة المنشقين والانضمام لصفوف الثورة ثانيةً، ففي شهر مايس من سنة ١٩٦٥ قمت بالسفر من قلعة دزه الى منطقة گلاله لزيارة البارزاني لبعض الشؤون وقد قابلته في منطقة سه كران، عندما كان يقابل أحد الصحفيين الاجانب وجلست أثناء المقابلة وقد أعجبتني أجاباته وكان يقوم بالترجمة حسبما أعتقد محمد محمود عبدالرحمن الملقب بـ(سامي عبدالرحمن)، وكان يعمل ذلك الوقت في قسم الاعلام العائد للحزب والذي كان يديره الشاعر المرحوم هه ژار ثم الشهيد صالح اليوسفي، وبعد انتهاء المقابلة غادر الصحافي مع المترجم وبقيت أنا مع البارزاني وبعد أن عرضت عليه الأمور التي واجهته من أجلها وافق عليها وأمر بقضائها لي، ثم سألته عن عودة المنشقين والطريق التي يعودون منها فأجابني قائلاً: انه يفضل طريق حاجي عمران وبعد ذلك يوزعون على مناطق عملهم ولايفضل طريق ماوه ت أو قلعة دزه لكي لايكون مرورهم مباشرة بالمكتبين السياسي والتنفيذي ولكي لايكون هنالك أي أحراج بالنسبة لي ولأمثالي المتعاطفين معهم، وذكر اسم حبيب محمد كريم ايضاً الذي اصبح سكرتيراً للجنة المركزية بعد المؤتمر السادس، وكان البارزاني – رحمه الله– يقدر ويتفهم سبب تعاطفنا في ذلك الوقت، وقد أنتهى ذلك التعاطف في كانون الثاني سنة ١٩٦٦ بعد اتخاذ المنشقين موقفاً حّدياً من الثورة وبعد أن أنضموا الى الجبهة المعادية للثورة.

قسم العدل[٢]

بعد تنسيبي لمسؤولية القسم العدلي بعد المؤتمر السادس، باشرت بعملي في ذلك المكتب وأخذت بتنظيم المحاكم على أسس أصولية وقانونية قدر الأمكان وعلى قدر توفر الكوادر القانونية أو شبه القانونية وتم تأسيس المحاكم وتوزيع الكوادر في معظم المناطق، وللحقيقة كان البارزاني خير سند لأجل تحقيق هذا الغرض فكان يريد نشر العدالة وسيادة القانون ومكافحة الجرائم، وكذلك الأخوة الآخرون في المكتب السياسي والمكتب التنفيذي لمجلس قيادة الثورة الكُردية فيما بعد وعند تشكيله، وكنت أقضي جل وقتي في ترتيب هذه الاوضاع وأحياناً كنت أقوم بنفسي بمهمة الحاكم اذا اقتضت الضرورة ذلك، وفي بعض الحالات وبعض القضايا الخاصة.

وكنت أكلف في بعض الاحيان بأداء بعض المهمات الخاصة في منطقة أربيل وحّل المشاكل التي تحدث بين الادارة والجيش من جهة وبين الپيشمه ركه من جهة اخرى، وكانت هذه المهمة دوماً ناجحة وهذه المشاكل قابلة للحل وذلك بوجود العميد الركن عبدالمنعم المصرف على رأس الادارة كمتصرف –محافظ– وكذلك العميد الركن كمال مصطفى على رأس وحدات الجيش المرابطة في أربيل كآمر للواء الثالث، فكان هذا الشخصان يتعاونان بكل معنى الكلمة لحّل هذه المشاكل بعيداً عن العنف والاجراءات الرسمية وكانت تنتهي هذه الأمور دوماً بما يضمن مصلحة جميع الاطراف وبما يضمن الأمن والاستقرار في المنطقة.

مجلس قيادة الثورة الكُردية

كان هدف البارزاني أن يساهم مختلف طبقات الشعب في صنع القرار وأن يساهم الجميع في أمور الثورة وكانت هذه نابعة من نظرة ديمقراطية الى الاوضاع، ففكر في استحداث مجلس يضم ممثلين عن جميع الفئات من الحزبيين وغير الحزبيين، ولما كان اجراء الانتخابات العامة متعذراً في مثل تلك الظروف وبعد التفكير واجراء مشاورات عديدة مع مختلف الاطراف تقرر عقد مؤتمر عام كبير تضم ممثلين عن جميع الفئات ومع اختلاف الآراء والميول، وأنتخب هذا التجمع الكبير الذي عقد في أوائل شهر تشرين الاول من العام ١٩٦٤ فيما بينه زهاء سبعون شخصاً كأعضاء دائمين وعلى شكل مجلس نواب أو برلمان وسمي بـ(مجلس قيادة الثورة)، وأنتخب هؤلاء فيما بينهم عدة أشخاص لتمشية الأمور وسمي ذلك المجلس بـ(المكتب التنفيذي) وكان بمثابة مجلس وزراء يترأس كل عضو أحد الأقسام كالمالية والشؤون العسكرية وأمور القضاء وأمور الادارة والصحة والتعليم وغيرها، وكان مجلس قيادة الثورة يجتمع كل أربعة أشهر ويجري خلال أجتماعه مناقشة مختلف أمور الثورة والمشاكل التي طرأت في المدة الواقعة بين اجتماعين، وكان المجلس في ختام اجتماعاته يعيد انتخاب المكتب التنفيذي بطريقة الاقتراع السري، وقد كان مجلس قيادة الثورة الكُردية يختلف كثيراً عن أمثالها من مجالس قيادة الثورة التي كانت تشكل عادةً بعد الانقلابات العسكرية من الضباط الذين يقومون بها أو المتنفذين في السلطة بحيث يقل عددهم عن عدد اصابع اليدين.

ان عقد ذلك التجمع وتأسيس مجلس قيادة الثورة الكُردية وتسميته بذلك الإسم كان سبباً في اثارة قلق كبير وغضب شديد لدى السلطة فعلاوةً على كون العملية نوعاً من الديمقراطية كانت السلطة لاتريد أن تكون للثورة الكُردية مؤسسات من هذا النوع بحيث يؤدي الى استمرارها وتنظيم أمورها، لذا كان من أولى طلبات النظام بعد اتفاقية ١١ آذار سنة ١٩٧٠ كان حل مجلس قيادة الثورة الكُردية.

لم أكن حاضراً اثناء عقد هذا الاجتماع وانتخاب مجلس قيادة الثورة الكُردية والمكتب التنفيدي بل كنت في بغداد آنذاك للعلاج من مرض الملاريا الذي اصبت به، ورغم عدم حضوري فقد جرى انتخابي كعضو في مجلس قيادة الثورة الكُردية وكذلك المكتب التنفيذي وأنتخب شقيقي كاك أحمد عضواً في المجلس المذكور ايضاً. ثم باشرت عملي بعد عودتي، ولم يكن الأمر جديداً بالنسبة لي لأنني كنت أقوم بنفس المهام كمسؤول للقسم العدلي قبل تشكيل مجلس قيادة الثورة والمكتب التنفيذي.

وفي بغداد قبل عودتي طلب مني كل من بابا علي الشيخ محمود وزيد أحمد عثمان -ابن خالتي- ايصال رسالة من قبلهم الى البارزاني اذا كان ذلك ممكناً ونقل الجواب لهم ولما ابديت استعدادي لذلك سلماني رسالة مختومة وقالوا انها موقعة من قبلهم وبعض الشخصيات الكُردية الاخرى، من أمثال فؤاد عارف وعلي كمال والدكتور عبدالرحمن عبدالله واللواء مجيد علي والعميدين عبدالله سعيد ورؤوف أحمد قادر.

ولما وصلت رانية ذهبت في اليوم التالي مع شقيقي كاك أحمد وسلمت البارزاني الرسالة المذكورة والذي حمّلني الجواب ايضاً. كان البارزاني يقيم في قرية اسمها (ديرى) قرب رانية وتصل السيارة الى منتصف الطريق وعلى الشخص بعد ذلك أن يقطع المسافة الباقية سيراً على الاقدام. وقد مكثنا تلك الليلة هناك حيث اجتمعنا بالبارزاني الذي كان قد وصلته حديثاً بعض الأسلحة الخفيفة -البنادق- فزّود كاك أحمد بعدة قطع منها وكذلك أهدى اليَّ أحداها ايضاً. وفي الصباح الباكر استعدنا للعودة الى رانية وكان البارزاني يتوجه في نفس الوقت الى رانية للقاء وفد رسمي، وشعرت بصداع وحمى شديدين وعاودتني نوبة الملاريا، وأثناء السير كان البارزاني يمتطي جواداً ايضاً فشعر بأنني في وضع سيء فأراد أن يترجل ويعيرني جواده فأمتنعت عن ذلك وبعد جهد جهيد وصلنا الى موقف السيارات، وأود أن أورد هنا مثالاً على وفاء البارزاني الراحل وتقديره للأشخاص الذين بادلوه الوفاء، فقبل مغادرتنا قرية (ديرى) المذكورة والذهاب الى رانية للقاء الوفد الرسمي الذي كان يرأسه محافظ السليمانية آنذاك السيد عبدالرزاق السيد محمود، وكنا متجمعين ننتظر مغادرة البارزاني لمرافقته فوجه الينا الكلام وقال بأنه يرى من

الواجب عليه أن يزور رجلاً عجوزاً وهو مريض وطريح الفراش، وكان ذلك الرجل هو (مصطفى عقراوي) الذي كان مؤتمن البارزاني وكذلك جميع شيوخ بارزان وقد خدمهم بأخلاص منذ شبابه وكان وفياً تجاههم جميعاً وحريصاً على عمله كأنه فرد من أفراد العائلة، وقد رافقهم الى منافيهم في مدن جنوب العراق والسليمانية وأيران وأستمر في عمله مخلصاً حتى وفاته وأستمر من بعده أولاده صالح وابراهيم وحسين وكذلك أحفاده على شاكلته، كان المرحوم مصطفى يرقد على فراش المرض في الهواء الطلق اذ كان الجو معتدلاً، وكان بعيداً عن مكان تجمعنا فتوجه البارزاني الى ذلك المكان وجلس بجانبه ونحن نراقب وأخذ يبادله الحديث ويلمس يده وأستمر على ذلك الوضع بضعة دقائق وعاد الينا وقال بأن هذا الرجل العجوز عزيز علينا كثيراً، وقد أعجبت بهذا التصرف وأثر في هذا التواضع وهذا الوفاء، الصفتان التي اكتشفتهما في البارزاني واللتين لازمتاه حتى رحيله مع صفاته الحميدة الأخرى.

وصلنا موقف السيارات وولجت السيارة التي كانت تنتظرنا مع شقيقي كاك أحمد، وفور وصولنا رانية توجهت رأساً الى منزل الشيخ حميد لأستلقي على الفراش ولم أتمكن من الذهاب الى المكان المخصص لأستقبال الضيوف والوفود، وبعد العلاج والمداواة لعدة أيام شعرت ببعض التحسن وعدت الى أربيل لأكمال العلاج، وثم توجهت الى بغداد ثانيةً حيث سلمت كل من الشيخ بابا علي الشيخ محمود وزيد أحمد عثمان، ردّ البارزاني على رسالتهم اليه، وبعد أن التقيت ببعض اصدقائي القدامى منهم المرحومين اسماعيل الدامرچي وعدنان الدبوني وغيرهما[٣]، عدت الى أربيل ومنها الى رانية حيث مقر عملي.

كان يقوم بمهام سكرتير المكتب التنفيذي السيد مصطفى القره داغي وكان عضواً في المكتب السياسي ايضاً بعد المؤتمر السادس، وكنا أربعة أو خمسة أشخاص كأعضاء في المكتب التنفيذي مقيمين في نفس المبنى، وكنت قد أتخذت من مبنى آخر في رانية مقراً لأقامتي الشخصية يرافقني أربعة أو خمسة أفراد من الپيشمه ركه وكنت أعود اليها مساءً بعد انتهاء عملي، وكان يزّود مقرنا ذلك بالمؤن اللازمة السيد الملا عبدالله البارزاني الذي كان أميناً لمخزن المؤن الخاص بالپيشمه ركه، وكان الملا عبدالله هذا رجلاً طيباً ومن الذين

رافقوا البارزاني في مسيرته الشهيرة الى الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٤٧ ولايزال في قيد الحياة.

وفي أواخر الشهر المذكور أو خلال شهر تشرين الثاني، قرر المكتب السياسي للحزب والمكتب التنفيذي توجيه مذكرة الى رئيس الوزراء الفريق طاهر يحيى ضمنتها انتقاداً كبيراً للسلطة على عدم تلبية المطاليب العادلة للشعب الكُردي وكذلك بعض المطاليب شبه التعجيزية ومذيلة بتوقيع البارزاني الذي لم يقتنع بتقديم المذكرة في تلك الظروف وان الوقت لم يحن لذلك بعد ولكن اصرار المكتبين السياسي والتنفيذي على ذلك جعله يوقع عليها، وقد سلّم متصرف السليمانية عند مجيئه في ذلك الوقت المذكرة لتسليمها الى رئيس الوزراء، وقد سلّمني المكتب التنفيذي نسخة أخرى منها وطلب مني السفر الى بغداد وتسليم المذكرة شخصياً الى رئيس الوزراء للتأكد من تسلمه اياها.

وقد غادرت بعد ذلك بيوم واحد الى بغداد عن طريق السليمانية وكانت هي المرة الأولى التي اسلك تلك الطريق الى بغداد، وفي السليمانية استقليت سيارة أجرة كأحد المسافرين وكان يجلس في الحوض الخلفي ثلاثة من النسوة من أهالي السليمانية، واتبعنا طريق دربنديخان وعلمت بأن هنالك نقطة سيطرة وتفتيش فيها ضابط صف شرس الذي يتمتع بسمعة سيئة في السليمانية لأسلوبه الوقح والعدواني، وسمعت ذلك في الطريق من سائق السيارة، ولم يكن هنالك مجال للعودة، وكنت أحمل معي مسدساً معلقاً في حزامي تحت السترة وقبل وصولنا النقطة بقليل سألتني أحدى الراكبات فيما اذا كنت قد أحمل سلاحاً ولما أجبتها بالأيجاب طلبت مني أن أناولها اياه دون أن أعرفها أو تعرفني وأخفت قطعة السلاح تحت ملابسها، ولما أوقفنا الجنود في النقطة المذكورة ظهر ضابط الصف المذكور وتوجه نحو السيارة بكل غرور وعنجهية وكنت الرجل الوحيد في السيارة عدا سائقها فبادرني بالسؤال بأنه لم يرني سابقاً في السليمانية وطلب مني هويتي فأريته اياها وكنت أحمل معي هوية نقابة المحامين، كما كنت أحمل معي وثيقة عدم تعرض من الحاكم العسكري العام دون ابرازها، ولما اراد اجراء التفتيش معي رفضت ذلك وقلت بأنني أحمل رسالة شخصية من البارزاني الى رئيس الوزراء فطلب مني

مرافقته لمقابلة آمر الفوج المرابط هناك فسرت مسافة مائة متر تقريباً ووصلت مقر آمر الفوج ولما دخلت عليه رأيته ضابطاً شاباً برتبة مقدم ركن ولاأذكر اسمه ولما أفهمته الموضوع وعرفته بنفسي، ابدى منتهى الاحترام والمجاملة وبعد أن اجلسني وتناولت الشاي ودعني ورافقني الى خارج المبنى، وأرسل معي أحد الجنود لأن ضابط الصف المسؤول كان قد غادر وأختفى، وهكذا واصلنا سفرنا بعد تأخير أكثر من ربع ساعة، ثم ناولتني المرأة قطعة السلاح العائدة لي، وعند تركنا المنطقة الكُردية لم نشاهد نقاط سيطرة كثيرة وكانت فيما اذا وجدت لم يوقفنا أحد.

وبعد وصولي بغداد ذهبت الى محل اقامتي في أحد الفنادق وفي صباح اليوم التالي اتصلت تليفونياً بديوان مجلس الوزراء، وبعد أن شرحت مهمتي حدد لي موعد في نفس اليوم لمقابلة رئيس الوزراء وعند ذهابي في الموعد المحدد لاقيت متصرف السليمانية وهو يخرج من المكتب الخاص لرئيس الوزراء وتبادلنا التحيات وقال ضاحكاً: بأنه سلّم مذكرتنا الى رئيس الوزراء.

ولما دخلت على الفريق طاهر يحيى وجدت مذكرتنا أمامه على مكتبه فأبدى نوعاً من التذمر على تلك المطاليب، وقال بأنه يبذل جهوده لحّل المشاكل المعلقة، وفهمت منه أنه رجل مسالم وحريص على استمرار الهدنة بيننا، ولكن في نفس الوقت ادركت بأن عقلية عبدالسلام عارف ونظرته العنصرية الى الشعب الكُردي وعدم ايمان النظام بصورة عامة بأي حق لهذا الشعب يحول دون أتخاذ أية خطوات ايجابية، وبدأ رئيس الوزراء يلوم الوضع ويشكو من عدم وجود أي شخص يعاونه فيما يتعلق بالمشكلة الكُردية وقال أنه بحاجة الى عنصر شاب ونشط لكي يكون حلقة وصل بينه وبين البارزاني وأن يكون جاهزاً دوماً لنقل وجهة نظر الطرفين الى بعضهما بصدق بدل أن يقضي جل وقته في الفندق دون التحرك، وفهمت مايقصده من ذلك، ثم وجه الكلام لي ثانيةً وسألني أن كان من الممكن اشتراكي معهم في الوزارة فأجبته بأن عليه أن يسأل البارزاني فأنني أئتمر بأوامره واذا كان يريدني ناجحاً في عملي فيجب الحصول على موافقة البارزاني، وبعد مغادرتي مجلس الوزراء ذهبت لملاقاة السيد يدالله كريم الذي كان مسؤولاً للفرع الخامس للحزب في بغداد واطلعته على مادار في الاجتماع ولم يعر كلانا اهتماماً بالموضوع وبعد يومين

عدت الى رانية ولكن هذه المرة عن طريق أربيل، وصادفت في نفس الفندق الذي كنت أقيم فيه أبن عمي ابراهيم رحمان آغا وكان يعود ايضاً الى اربيل فرجعنا سوية وصادف أن وصلنا مركز ناحية قوشتپه بعد غروب الشمس فأوقفتنا الشرطة وكان السفر بين المدن ممنوعاً بعد الغروب ولما حاولت افهامهم بضرورة سفري رفضوا ذلك فأتصلت تلفونياً بمدير الشرطة وكان عقيد الشرطة المرحوم بشير أحمد السلمان وكان رجلاً طيباً ومسالماً وكنت أعرفه منذ أن كان ضابطاً للشرطة في أربيل. وقد أمرهم بفتح الطريق لي وقد أغتيل بشير أحمد السلمان سنة ١٩٧٣ بعد أن أحيل على التقاعد في داره في حي الشرطة ببغداد مع زوجته وابنهما الوحيد أحمد بطريقة بشعة على يد ماسمي في حينه بعصابة (أبي الطبر). وبعد قضاء يومين أو ثلاثة في أربيل عدت الى مقر عملي في رانية واطلعت المسؤولين على تفاصيل زيارتي كما وأطلعت البارزاني على ما دار من حديث مع رئيس الوزراء، وثم باشرت بعملي كالمعتاد.

بدء المشاكل في منطقة أربيل

كانت العلاقة بين قيادة الثورة الكُردية والسلطة المركزية شبه راكدة فلم يطرأ أي تقدم في الموقف كما وأن الحكومة المركزية لم تخط أية خطوة لأجل حل المشكلة الكُردية وساد الجو نوع من التوتر، كما أبدت السلطة تذمراً كبيراً وعدم الرضا من اجراء التغييرات الجديدة في صفوف قوات الپيشمه ركه وكانت التنظيمات الجديدة تعتبر اساساً لتكوين جيش نظامي ومنظم على شاكلة الجيوش الاخرى وذلك على غرار تنظيمات الفرق والألوية والافواج والوحدات التابعة لها وقياداتها وتشكيلات رئاسة الاركان العامة وغيرها وخلقت تلك التنظيمات حساسية كبيرة لدى السلطة وحقداً كبيراً لدى العسكريين وعلى رأسهم المشير عبدالسلام عارف وأعتبرت السلطة تحدياً لها لذا عجل كل ذلك في أظهار النوايا الحقيقية للنظام وجعلها تسرع في اتخاذ الاجراءات والتهيؤ لجولة جديدة من القتال.

كل ذلك التوتر هيأ الجو لحدوث بعض المشاكل الفردية كقضايا اختطاف السيارات الحكومية وشبه الحكومية والموظفين من العسكريين في الجيش والشرطة، وقد بعث متصرف أربيل -محافظ اربيل- برسالة الى البارزاني يشكو فيها هذه التصرفات ويرجو منعها، ورغم ان البارزاني لم يلتق متصرف اربيل عبدالمنعم المصرف آنذاك الاّ انه كان يقدره ويكن له المودة والأحترام نظراً لموقفه المسالم غير العنيف ولرضا مواطني أربيل عنه بصورة عامة بعدما لاقوا الأمرين من المتصرف السابق بدرالدين علي خلال السنوات الثلاث التي كان قضاها في أربيل وتولى ادارتها بالحديد والنار والاجراءات التعسفية، لذا أمر البارزاني بذهابي الى أربيل ومعالجة هذه المشاكل ومنعها وكذلك أمر الشهيد ابراهيم أفندي -مفوض الشرطة السابق والجريء الذي سبق وأن التحق بالثورة سنة ١٩٦٣- لمرافقتي مع مفرزته، وخولني كافة الصلاحيات لأتخاذ الأجراءات التي نراها مناسبة لمنع مثل تلك الأعمال، وعند وصولي أربيل توجهت الى ديوان المتصرفية حيث زودني بقائمة المخالفات وذهبنا مع الشهيد ابراهيم أفندي للتحقيق فيها، وتبين بأن جميعها عبارة عن تصرفات فردية

ومن أشخاص معينين وأنها غير مخطط لها وأجريت دون علم قادتهم العسكريين أو الحزبيين، وعلمنا بأن بعض تلك السيارات موجودة لدى المدعو حمزه سيوى (الذي استشهد سنة ١٩٩٥) فعثرنا على السيارات واسترجعناها ونبهنا حمزة من مغبة عمله وابلغناه بالذهاب الى رانية والبقاء هناك، كما وعثرنا على سيارات أخرى في أماكن مختلفة، وفي أحدى الأمسيات ابلغنا المتصرف بأختطاف مدير شرطة الغابات، وعلمنا بأن المختطفين قد توجهوا الى قرية كسنزان حيث أحدى المقرات المؤقتة للپيشمه ركه، وقد وصلت المفرزة التي اختطفت مدير الشرطة المذكور المقر بعد وصولنا بخمس دقائق فقط وكانت مفاجأة غير سارة لهم لدى مشاهدتهم ايانا هناك، فأعدنا مدير الشرطة المصاب بالذعر معنا وأتخذنا الاجراءات اللازمة بحق المتجاوزين ولمنع تكرار مثل تلك الاعمال، وبعد التجول في المنطقة لعدة أيام وزيارة وحدات الپيشمه ركه تم تأمين الاستقرار وعدم حدوث أية مشكلة أخرى، وكان المتصرف ممتناً لأستجابة البارزاني وهذا الاهتمام بالموضوع من جانبه، وهكذا عدت ثانيةً الى رانية.

حملة جمع التبرعات

كنا في شهر كانون الاول على ما أعتقد وبدأ فصل الشتاء بالزحف، فكان الجو بارداً وخاصةً في مناطق رانية وقلعة دزه والمناطق الجبلية الاخرى وكان التنقل صعباً خارج الطرق العامة، وقد عقد كل من المكتبين السياسي والتنفيذي اجتماعاً مشتركاً، وبعد التداول في الاوضاع العامة ودراسة احتياجات افراد البيشمه ركه وجد ان من الضروري صرف مساعدة مالية لأولئك وخاصةً نحن نواجه ذلك الشتاء القارس ولما كانت امكانيات قيادة الحزب والثورة محدودة ولم تكن هنالك غير مبالغ مالية يسيرة متوفرة لدى القيادة بحيث لاتكفي لصرف أية مساعدة تشمل افراد البيشمه ركه جميعاً، وسدّ احتياجات ذلك العدد الهائل، فقد استقر الرأي على القيام بحملة جمع التبرعات المالية من الميسورين من المواطنين من ابناء الشعب الكُردي وبطريقة طوعية دون اجراء عمل قسري لعل حصيلة تلك الحملة مع ما يتيسر لدى قيادة الثورة الكُردية بأمكانياتها المتواضعة تصبح كافية لصرف المساعدة المالية المنشودة، وقد تقرر في ذلك الاجتماع ايفادي الى أربيل لأكون على رأس اللجنة الخاصة بجمع التبرعات هناك بالتعاون مع الفرع الثاني للحزب في أربيل، وبعد تزويدي بالدفاتر الحسابية والايصالات اللازمة، توجهت الى أربيل عن طريق كويسنجق.

وبعد الأجتماع والتداول مع المسؤولين في فرع الحزب واذكر منهم كل من اسماعيل ملا عزيز هيراني الذي كان عضواً في اللجنة المركزية ومسؤولاً للفرع ومحمد ملاقادر وعلى هه ژار وخورشيد شيره وغيرهم تقرر تشكيل لجنة برئاستي وأذكر من الاعضاء اسماعيل ملاعزيز وغيره، وتم تنظيم قائمة بأسماء الاشخاص من ميسوري الحال ومن المتعاطفين مع الثورة، وقد تم الاتصال بهم وزيارتهم ليلاً في دورهم وقد استجاب جميع من فاتحناهم بالموضوع دون ابداء أي عذر ودون التلكوء وقد تم جمع مبلغ مناسب خلال ايام معدودة، وكنا على وشك الانتهاء من مهمتنا عندما استدعاني المتصرف عبدالمنعم المصرف وسألني فيما اذا كنا نقوم بجمع التبرعات فأجبته

بالأيجاب، ولما سألني عن المبلغ المزمع جمعه فقلت له: أي مبلغ ممكن، فأخبرني بضرورة انهاء الحملة لأنها مخالفة للقوانين، فوعدته بذلك، وقد استمرت الحملة لمدة يوم أو يومين آخرين وأنتهت بعد ذلك وبعد أن تم جمع مبلغ مناسب.

وأثناء وجودي في أربيل، قمت بزيارة العميد الركن كمال مصطفى آمر اللواء الثالث كعادتي في كل زيارة كنت أقوم بها لأربيل اذ توطدت الصداقة مع هذا الانسان النبيل الذي يتصف بالكرم والمحبة والاخلاق السامية ويتمتع بروح وطنية عالية وأخلاص للعراق بعيداً عن العنف والشّر. وكان يدعوني دوماً لتناول الطعام معه، وفي تلك المرة دعاني لتناول العشاء في دار الضباط (أو النادي العسكري) وهناك تعرفت على العقيد عمر الهزاع الذي كان من أقارب أحمد حسن البكر وأصبح فيما بعد من كبار الضباط البعثيين وقد أعدمته السلطة بعد ذلك بطريقة بشعة حسبما سمعت، كما وتعرفت على المقدم الركن حميد اسماعيل السراج الذي كان من الضباط البعثيين ايضاً وأصبح فيما بعد مديراً عاماً للشرطة، وعندما كنت سفيراً للعراق في براغ سنة ١٩٧٠ عين حميد السراج ملحقاً عسكرياً في سفارتنا بعد اقالة الفريق الركن الطيار حردان عبدالغفار التكريتي وزير الدفاع ونائب رئيس الجمهورية في عهد البعثيين، فقد كان السراج يعتبر من انصار حردان التكريتي وتم تسفيره قسراً الى براغ. وكان الضابطان المذكوران الهزاع والسراج من منتسبي اللواء الثالث وضمن وحداته وبأمرة العميد الركن كمال مصطفى.

ولم يكن العميد الركن كمال مصطفى مؤمناً بتلك الأوضاع ولا بقيادة عبدالسلام عارف لذا كانت العلاقات متوترة بين الاثنين دوماً وكان عبدالسلام عارف شديد الحقد والكراهية لذا أحاله على التقاعد فيما بعد ولم يعد الى صفوف الجيش الا بعد مقتل عبدالسلام عارف وفي عهد رئاسة عبدالرحمن عارف، وبعد انجاز مهمتي هذه والقيام بهذه الزيارات الخاصة عدت ثانيةً الى رانية، وبعد تسليم المبالغ التي جمعناها نتيجة التبرعات الى المختصين في المكتب التنفيذي عدت الى مباشرة عملي وسار الوضع بصورة اعتيادية. وفي نهاية شهر كانون الثاني من سنة ١٩٦٥ حصلت على اجازة بضعة ايام لقضائها بين أهلي في أربيل. وبدأ التوتر في ذلك الوقت يظهر من جديد بعد

مرور مايقارب من العام على اعلان الهدنة في العاشر من شباط سنة ١٩٦٤ دون أن تقوم الحكومة المركزية بتنفيذ أي من وعودها التي قطعتها للثورة الكُردية، ورغم ذلك التوتر فقد حصلت على الاجازة المذكورة فقد كنت مطمئناً من وجود كل من العميد الركن عبدالمنعم المصرف على رأس الادارة وكمال مصطفى على رأس وحدة الجيش المرابطة في أربيل فكانا عنصري خير وأمان، فسافرت الى أربيل بأطمئنان.

الذكرى الاولى للهدنة وحادثة العريف علي مولود

قضيت أيام اجازتي متمتعاً بالراحة وزيارة اقاربي واصدقائي واستقبال الزائرين وكنت أغتنم الفرص في بعض الاحيان لزيارة المتصرف وآمر اللواء الثالث وتبادل وجهات النظر معهما حول الاوضاع السائدة، وكان شقيقي كاك أحمد ايضاً متواجداً في أربيل في داره في محلة آزادي وكنت أقوم بزيارته وعائلته ايضاً، وبعد قضاء أكثر من اسبوع على هذا المنوال وفي اليوم الثامن من شهر شباط ١٩٦٥ على ما أعتقد أردت العودة الى رانية فأتصل بي اسماعيل الملا عزيز المسؤول عن الفرع الثاني للحزب وابدى رغبته في بقائي في أربيل لأن الحزب قرر القيام بأضراب عام في جميع انحاء كُردستان في العاشر من شباط سنة ١٩٦٥ بعد مرور عام واحد على اتفاق الهدنة المعقود بين قيادة الثورة الكُردية والسلطة المركزية واحتجاجاً على عدم تنفيذ الحكومة لوعودها. وقد رجاني كل من المتصرف وآمر اللواء بالبقاء ايضاً في أربيل في ذلك اليوم لأعاون في تلافي أية مشكلة قد تطرأ نتيجة الاضراب، فقررت البقاء.

وفي مساء التاسع من شهر شباط ١٩٦٥ حررت رسائل خاصة الى وحدات الپيشمه رگه في منطقة أربيل بناءً على طلب فرع الحزب طالباً العمل على انجاح الاضراب ومنع التنقل في ذلك اليوم بين أربيل وكل من كركوك والموصل دون أي مساس بالقوات الحكومية.

وفي اليوم المحدد أي في العاشر من الشهر نفسه بدأ الأضراب وقد شمل المرافق جميعاً في أربيل ولم يباشر أي صاحب عمل عمله ونجح الاضراب مائة في المائة ولم يبق الا عدد قليل من المخابز مفتوحاً وذلك لسّد حاجة المواطنين، وقد مّر الوقت بسلام ودون حدوث أية مشاكل وقبل الظهر بقليل اتصل بيّ هاتفياً العميد الركن كمال مصطفى آمر اللواء الثالث وطلب مني الحضور سريعاً في مقر اللواء لأمر هام، ولدى مغادرتي صادفت عند باب الدار كل من اسماعيل ملاعزيز مسؤول فرع الحزب وعلي هه ژار مسؤول أحدى اللجان المحلية وأخبروني بأن كادراً حزبياً وأسمه (سليم آغوك) قد اعتقل من قبل

منتسبي الجيش عندما كان يطلب من صاحب أحد المخابز تعطيل مخبزه، فذهبت الى مقر اللواء واستقبلني آمره العميد الركن كمال مصطفى وأخبرني بصدور الاوامر بفتح الطريق بين اربيل وكل من كركوك والموصل وأن قوات الجيش قد غادرت كركوك وستخرج وحدة من أربيل ايضاً لهذا الغرض وأخبرني بضرورة ابلاغ وحدات الپيشمه ركه بأخلاء مواقعهم على الطريق العام قبل وصول قوات الجيش، وبينما كنت جالساً معه أتصل به هاتفياً قائد الفرقة الثانية العميد الركن ابراهيم فيصل الانصاري وابلغه أوامره بضرورة تحريك الدبابات لتنفيذ هذه المهام ولما أجابه العميد الركن كمال مصطفى بأنه لاداعي لذلك بل أن قوة صغيرة تكفي لذلك أصر الانصاري على أوامره وطلب تنفيذها فوراً، لذا طلب مني العميد كمال التحرك بسرعة لأبلاغ وحداتنا وازاحتها قبل وصول الدبابات، وقبل أن اغادر الغرفة كلمته عن قضية الكادر الموقوف فأخذني الى غرفة ضابط الاستخبارات، وكان الرائد الركن داود المعاضيدي على ما أعتقد، ووجدت سليم آغوك جالساً وهو يدلي بأفادته فأنهضه آمر اللواء وأمر بأطلاق سراحه ومزق الاوراق التحقيقية، وكذلك أمر باعادة قطعة السلاح التي كانت بحوزته، وخرجنا مسرعين نحو داري وهناك اصطحبت افراد الپيشمه ركه المرافقين لي وكان عددهم ستة أو سبعة أشخاص وتوجهت مسرعاً نحو طريق كركوك وقد اوقفني الجنود المرابطون في نقطة السيطرة ولم يدعوني أن اغادر الا بعد الاتصال بآمر اللواء وعندما غادرت السيطرة شاهدت الدبابات ورائي مباشرةً وكان عددها ثلاثة فقط.

اسرعت في السير وشاهدت افراد من الپيشمه ركه على التل الواقع في منتصف الطريق بين اربيل وقوشتپه واسمه (تل قره چناغه) وأشرت لهم بالنزول وكانوا بقيادة الشهيد فارس حمد باوه الذي اصبح فيما بعد آمراً لقوات الپيشمه ركه في منطقة أربيل وقد ابلغتهم بضرورة اخلاء الطريق وعدم الدخول في أية مناوشة مع قوات الجيش، وبينما كنا نهم بالمغادرة ومعي فارس باوه باغتتنا طائرتان حربيتان من نوع ميك ١٧ وكانت تحلق فوق رؤوسنا وتكاد تلمس الارض وذهب بعض افراد الپيشمه ركه الى التستر تحت الجسر الحديدي الخاص بسكك الحديد، ومن حسن حظنا ان الطائرتان لم تقوما بأي قصف بل كانت للتهديد فقط والا لما نجا أي فرد منا، ولما ابتعدنا عن الطريق العام مسافة مناسبة ووصلنا أحدى القرى الواقعة في منطقة قوات فارس باوه،

ترجل هو لجمع قواته وداومت في السير لأبلاغ العريف علي مولود وأفراد پيشمه ركه وحدته بالأنسحاب، وكان مقرهم في قرية قشقة الواقعة قرب آلتون كوپري وعلى الجهة الغربية للزاب الصغير، وكانت المسافة بعيدة نوعاً ما، فلما اقتربنا صادفنا سيارة من نوع البيكاب يقودها السائق أحمد وهو نفس السائق الذي ورد ذكره سابقاً اثناء ماكنت في منطقة سفين سنة ١٩٦٣ وكذلك نفس السيارة، ورأيت السائق المذكور مرتبكاً ومذعوراً مصفر الوجه وأخبرنا بأن قتالاً قد نشب بين الپيشمه ركه (الانصار) وقوات الجيش وأنه ذاهب لطلب النجدة، فداومنا في سيرنا وفجأة وجهت لنا بعض اطلاقات المدفعية التي سقطت حوالينا، وترجلنا من السيارة وكان عددنا سبعة مسلحين فقط وقد سارع مرافقي عمر قادر (الذي لايزال يرافقني لحدّ اليوم) باخفاء السيارة في منخفض قريب، واستمرت اطلاقات المدافع تتساقط حوالينا ووقعت أحداها بيننا ومن حسن الحظ ان الارض كانت لينة ورطبة فكانت الليلة السابقة ممطرة لذا لم تكن مؤثرة وبعد توقف المدافع لفترة وجيزة توجهنا نحو الموقع سيراً على الاقدام وبحذر، وعند وصولنا رأينا الموقع هادئاً وان المعركة قد أنتهت وتمكنت وحدات الجيش من أسر بضعة أشخاص ومن ضمنهم آمر وحدة الپيشمه ركه المدعو (العريف علي مولود) المشهور بـ(عريف علي رقم ١)، ذهبت الى مقرهم وتأسفت جداً للحادث فكنا قد أوعزنا لقوات الپيشمه ركة بعدم التحرش بقوات الجيش ولكن الاخير هو الذي بادر بالأعتداء وعلمت فيما بعد أن العميد الركن ابراهيم فيصل الانصاري (لواء فيما بعد) قد اراد الانتقام لفصيل من وحدات فرقته سبق أن وقع بيد الانصار في منطقة شوان قبل ذلك، وكذلك علمت بأن كتيبة المدفعية التي كانت تقوم بعملية الرمي علينا كان يقودها الرائد سعدون غيدان الذي اصبح فيما بعد وزيراً للداخلية وعضواً في مجلس قيادة الثورة بعد انقلاب السابع عشر من تموز سنة ١٩٦٨، وقد اعترف لي الموما اليه فيما بعد بأنه شاهد بضعة أشخاص مسلحين متوجهين الى الموقع فأمر بأطلاق عدة رشقات من المدفعية علينا.

حررت رسالة الى صديقنا العميد الركن كمال مصطفى آمر اللواء الثالث بالحادث وبينت أن افراد الپيشمه ركه لم يطلقوا النار على القوة العسكرية ولا ارى أي سبب لهذا العمل العدواني، ويظهر بأن السيد كمال مصطفى لم يتمكن من القيام بأي عمل لأن الوحدات لم تكن تابعة للوائه، وكنت قد

ارسلت أثنين من أفراد حمايتي لأيصال الرسالة وأخبروني بأن العميد كمال كان قلقاً جداً على مصيري فيما اذا كان قد وقع لي حادث سيء، أو أن الطائرات قد قامت بقصفنا أو أنني كنت من ضمن الأسرى والى آخره من هذه الهواجس وعندما وصلته رسالتي اطمأن، وهذا دليل على نبل اخلاقه وأخلاصه في الصداقة.

ولم أعد بعد هذا الحادث الى أربيل مطلقاً الا بعد أعلان الهدنة في التاسع والعشرون من شهر حزيران سنة ١٩٦٦ في عهد الرئيس عبدالرحمن عارف عندما كان المرحوم عبدالرحمن البزاز رئيساً للوزارة.

عدت الى منطقة رانية في اليوم التالي لهذا الحادث وأبلغت تفاصيله للبارزاني والمكتبين السياسي والتنفيذي، وبعد يومين أو ثلاثة راجعت مقر البارزاني وكان الاخوان ادريس ومسعود حاضرين فطلب البارزاني تحرير رسالة الى رئيس الوزراء الفريق طاهر يحيى بالحادث وببعض المشاكل والأمور الاخرى التي كانت قد طرأت، وكانت تلك هي المرة الاولى التي انفرد فيها بكل من ادريس ومسعود لأنجاز عمل رسمي تحريري، وبعد ابداء الآراء واقتراح الجمل والتعابير التي فكر فيها كل واحد منا، طلب الاخ ادريس امهاله لعدة دقائق لكي يقوم بصياغة وتحرير الرسالة وأنتهى من عمله بعد دقائق ولم يخطر ببالي مطلقاً أنه متمكن من اللغة العربية الى هذه الدرجة وأنه يجيدها اجادة تامة وكذلك يجيد صياغة الجمل وترتيبها بشكل يدعو للأعجاب، ولما تلاها علينا بعد الأنتهاء منها لم نكن بحاجة الى زيادة كلمة واحدة أو حذفها مطلقاً لأنها كانت مصاغة بشكل يدعو الى الأعجاب، وثم طلب من الأخ مسعود أن يعيد كتابتها بخطه البديع (وكنا ندعو خطه بالطباعة) ولو أن خط أدريس نفسه كان بديعاً ايضاً وفيه حيوية وحرارة، وهكذا تم تحرير الرسالة المذكورة وتم ارسالها الى رئيس الوزراء.

بدء جولة جديدة من القتال

سارت الأمور من سيء الى أسوأ وتكونت لدينا القناعة التامة بأن السلطة المركزية تماطل وتريد كسب الوقت وفي شهر آذار نقلنا مقرنا الى مدينة قلعة دزه وكانت السلطة تريد أن تستعرض عضلاتها وقوتها فترسل ليلاً اسراباً من الطائرات للتحليق فوق قصبات ومناطق كردستان وتسقط قنابل الانارة بالمضلات لأرهاب الناس، وهكذا استمر الوضع وبعد أكمال التحشدات من قبل النظام بدأ بشن الهجمات على مختلف المناطق والجبهات، لذا اضطر البارزاني ان يصدر أوامره بالدفاع وانزال الضربات الممكنة بالعدو. وأحتدم القتال في جميع الجبهات ولم تتمكن قوات الحكومة من احراز أي تقدم سوى في بعض السهول.

وكان الجيش قد تقدم نحو رانية ونظراً لعدم وجود أي مانع طبيعي بين جبل هيبت سلطان -الذي كان لايزال في ايدي الجيش وفيه ربايا دائمة وثابتة- ورانية، فلم يجر أي قتال في تلك المنطقة، وكانت الاستحكامات قد تركزت في دربند رانية، وهو المضيق الواقع بين رانية وقلعة دزه ويمر منه نهر الزاب الصغير الذي يشكل بحيرة دوكان مباشرةً بعد اجتيازه المضيق المذكور، وكان الموقع المذكور منيعاً يمكن فيه المقاومة فقط للدفاع عن مدينة قلعة دزه فتصبح الارض سهلة بعد ذلك الى المدينة المذكورة. ولأن القوات الموجودة في منطقة قلعة دزه كانت غير كافية وغير منظمة فقد جلبنا قوة اضافية من الانصار من منطقة سهل اربيل، وكان يقود تلك القوة الشهيد (كاكل حمد وسو) وكان من الرجال الشجعان، ونظراً لأن افراد القوة كانوا جميعاً من منطقة دزه يي وسهل اربيل فقد كنت على معرفة سابقة بأكثرهم، وكنت أذهب يومياً لزيارتهم وتفقد أحوالهم والسؤال عن احتياجاتهم كما كنت اقضي أكثر الوقت بينهم مشاركاً اياهم غذائهم البسيط، لذا تكونت بيني وبينهم علاقة صداقة حميمية وبالأخص مع قائد الوحدة الشهيد كاكل.

ولما كانت اسلحتنا بسيطة وخفيفة ولم نكن نمتلك أي سلاح ضد الدروع فقد قرّ رأينا على لغم المضيق في الطرف الذي يمر منه الطريق العام بالمتفجرات

لهدمه وتفجيره وقت الحاجة عند تقدم الدبابات. وقد قام بذلك ضابط الهندسة الرئيس يوسف جميل ميران الذي كان عضواً في المكتب التنفيذي في القسم العسكري –وهو حالياً عضو في المجلس الوطني الكردستاني–، وأقترب الجيش من رانية وعسكر في ضواحيها دون دخولها وتقرر نقل الادوية والمعدات الموجودة في مستشفى رانية الى المناطق الآمنة نظراً للحاجة اليها ولشحة الادوية في مناطق الثورة.

وتقرر أن أقوم أنا والرئيس يوسف ميران بتنفيذ هذه المهمة –وكنا نتوقع دخول الجيش مدينة رانية خلال دقائق، لذا اخترت القوة التي كانت في المضيق لمرافقتنا وذلك لثقتي الكاملة في كفاءتهم وبسالتهم، كما ورافقني الاشخاص المرافقين لي شخصياً ايضاً وكان افراد الشرطة متواجدين داخل القصبة لذا ذهبنا ليلاً، وبعد أن وضعنا الكمائن الخاصة في الطرق المحتملة لتقدم الجيش منها وكذلك في المنافذ الرئيسية التي تودي الى بناية المستشفى، ودخلنا المبنى بهدوء وأخليناه من الأدوية والمعدات اللازمة عدا قسم قليل لبعض المرضى الراقدين في المستشفى فأوعزنا الى الطبيب الخفر ان يعزل مايحتاجه لأولئك المرضى، وقد تم تحميل كل ذلك في صناديق، وثم في سيارة شحن كبيرة وانسحبنا دون اطلاق أية عيارة نارية، وعلمنا بأن أحد ضباط الشرطة قد أتصل لاسلكياً بقوات الجيش ولكن هذه الوحدات لم تجرأ على الخروج ليلاً والتوجه لحماية المستشفى، كما وأن الضابط المذكور لم يجرأ ايضاً على تحريك افراد الشرطة، وهكذا تم تنفيذ العملية بسلام وعدنا الى مقرنا، وعادت القوة المرافقة لنا الى موقعها في مضيق (دربند رانية).

مركز شرطة قلعة دزه

كان من جملة الأمور التي ترتبت التزاماتها على جانب الثورة عودة بعض الادارات ومراكز الشرطة ودوائر الخدمات العامة كالتعليم والصحة، وقد شجع البارزاني الراحل عودة تلك الدوائر الخدمية لتقديم الخدمات اللازمة للمواطنين كالمستوصفات والمدارس وغيرها. كما أن السلطة كانت تؤكد دوماً على عودة الادارات ومراكز الشرطة وخاصةً الى مدينتي رانية وقلعة دزه اللتين كانتا مركزاً لقيادة الثورة الكُردية، وذلك لكي تظهر السلطة نفسها وكأنها صاحبة النفوذ في المنطقة، فعادت بعض تلك الدوائر ومارست اعمالها ولو بصورة شكلية في المنطقة، ومن جملتها مركزي الشرطة في قلعة دزه ورانية، وكان البارزاني قد قطع وعداً لسللطة بحماية تلك المراكز وعدم المساس بها حتى لو تغيرت الظروف.

عاد مركز شرطة قلعة دزه وهو متكون من فصيل من افراد الشرطة يبلغ تعدادهم ثلاثون شرطياً يرأسهم ضابط شرطة برتبة نقيب وأسمه عبدالرزاق – ولا اتذكر اسم ابيه– وهو كُردي من أهالي كويسنجق. وكان افراد المركز خلال فترة الهدنة يمارسون نشاطهم بصورة روتينية دون التدخل بصورة مباشرة في أمور المواطنين الا اذا طلب منهم ذلك.

وبعد استئناف القتال في شهر مايس من سنة ١٩٦٥ بقي المركز في مكانه ولم يمسهم أحد بسوء، وكان البارزاني يؤكد دوماً على تركهم وشأنهم وبسلام.

في أواخر شهر مايس من تلك السنة، قامت القوة الجوية بشن غارة على مدينة قلعة دزه دون مبرر وقتل نتيجة الغارة عدد من المواطنين من النساء والاطفال، وعلى أثر ذلك قام كل من المكتبين السياسي والتنفيذي بنقل مقريهما الى قرية (هه لشو) التي تبعد عن قلعة دزه بمسافة تقرب من عشرة كيلومترات وتقع عند سفح الجبل الواقع شمالي شرقي المدينة المسمى (ساوين) على ما أعتقد، وذلك تجنباً لمزيد من القصف الجوي في المستقبل.

وقد صادف سفري لمقابلة الرئيس البارزاني في منطقة گلالة فطلب مني

أعضاء المكتبين مفاتحة البارزاني بموضوع المركز ومخاطر وجوده في قلعة دزه فكان لديهم جهاز اتصال لاسلكي يمكن طلب القوة أو الطائرات وقت الحاجة كما يمكن أن يقوم المركز بمثابة دليل للقوة الجوية لكشف مواضع مقراتنا ومواقع تواجد الانصار.

بعد عملية القصف في قلعة دزه والتي ذهب ضحيتها عدد من المواطنين وافق البارزاني على تسفير افراد المركز وعودتهم الى المناطق الحكومية بطريقة سلمية دون المساس بأي واحد منهم ودون تجريدهم من أسلحتهم. وذات يوم قدنا مفرزة من قوات الانصار ومعي كل من محمد عزيز –مدير الادارة في المكتبين السياسي والتنفيذي– وضابط الشرطة النقيب الشهيد طاهر صالح وآخرين وسرنا بأتجاه المقر بصورة طبيعية وكان النقيب عبدالرزاق (آمر المركز) وبعض افراد الشرطة جالسين خارج المركز وعند اقترابنا منهم شك آمر المركز في نيتنا فدخل المبنى وأغلق الابواب الحديدية وبدأ أفراد الشرطة بأخذ مواضعهم الدفاعية وهم مسلحون، ورغم محاولاتنا اقناعهم بسلامة نيتنا، لكن دون جدوى، فتركناهم وعدنا ادراجنا واستمر الوضع عدة أيام أخر وهدأت الامور وبدأ افراد المركز بالخروج والتجمع عند المدخل الرئيسي، وذات مساء أحد الايام كنا نسير أنا ومحمد عزيز ونقيب الشرطة طاهر صالح وكان اثنان منا فقط مسلحين بمسدسات ودن أن يرافقنا أي من افراد الپيشمه ركه ولما اقتربنا من المركز وجدنا بعض الافراد لدى الباب وكان آمر المركز في الداخل وبعد أن سلّمنا على الأفراد خرج الضابط ولما رآنا وحيدين ودون أي سلاح يذكر دعانا الى داخل المركز، وقد كلمناه باللين لأقناعه بالمغادرة فرفض وعند ذلك اشهرنا انا والضابط طاهر صالح مسدساتنا بوجهه وجردناه من سلاحه، ورغم أن افراد الشرطة كانوا موزعين في مواضعهم وأكثرهم مسلحين ولكننا هددناهم بأن مصيرهم سيكون القتل والابادة مع عوائلهم فيما لو اطلقوا طلقة واحدة، وخرج محمد عزيز الذي لم يكن مسلحاً لجلب قوة من الپيشمه ركة، وفي تلك الاثناء حاول أحد الافراد المسؤولين عن المخابرة والاتصالات اللاسلكية طلب النجدة بواسطة اللاسلكي الذي كان في الغرفة المجاورة لغرفة ضابط الشرطة وعند شعورنا بذلك قمت أنا بقطع الاتصال ولعدم معرفتي والمامي بكيفية القيام بذلك فقد قطعت جميع الاسلاك المرتبطة بالجهاز واخرجنا الشرطي المسؤول عن المخابرة من الغرفة، وبعد دقائق عاد محمد

عزيز ومعه عدد من الپيشمه ركه المسلحين وتمت السيطرة على المركز بصورة كاملة وقد تم تجريد الافراد من اسلحتهم بصورة مؤقتة وجمع العتاد المتوفر في المركز وكذلك جهاز اللاسلكي والموجودات الاخرى، وتم تسفير جميع افراد الشرطة مع آمرهم بسيارة ركاب كبيرة الى خارج المنطقة واعيدت لهم اسلحتهم خالية من عتادها عند تركهم المنطقة.

كان المركز يتضمن مخزناً كبيراً للحبوب والمواد الغذائية الاخرى وكان رؤوساء العشائر طامعين في هذه المواد لذا كانوا يؤكدون دوماً على عدم قيام الپيشمه ركه بالمساس بهذا المركز وكان غرض بعضهم من ذلك ارضاء السلطة في حالة عودتها للمدينة وكذلك السيطرة على هذه المواد، لذا كانوا دوماً يراجعون البارزاني وكذلك المسؤولين الآخرين للمحافظة على المركز المذكور، وفي الحقيقة كان الاستيلاء على المركز قد تم عن طريق الصدفة ودون التخطيط له مسبقاً، لذا كانت العشائر والمواطنون غير مطلعين على مايجري من الأمور وكان الوقت قريباً من غروب الشمس، فبعد تسفير افراد الشرطة تم نقل جميع محتويات المركز من مواد غذائية واعتدة وأجهزة اتصال ليلاً الى مخازن الثورة خارج المدينة، وعند سريان الخبر في الصباح الباكر حضر رجال العشائر ولكن وجدوا المركز خالياً، فأبدوا سخطهم وعدم رضاهم من ذلك العمل.

وهكذا تم الاستيلاء على ذلك المركز بتلك الطريقة السهلة التي لم نكن نتوقعها، وتم ازاحة تلك الشوكة المزروعة امام أعيننا، وفكرنا بعد الحادث أنا والاخوان محمد عزيز وطاهر صالح في تلك المغامرة الخطيرة وتبين لنا مدى خطورته وكيف اننا بقيامنا بذلك قد جازفنا بحياتنا بدخول المركز بين هذا العدد الكبير من المسلحين، ولكن الموضوع قد انتهى بسلام ولله الحمد.

احتلال قلعة دزه

في طريقنا الى بيتواته مع عمر دبابة في تموز سنة ١٩٦٣ وبعد احتلال قصبة رانية من قبل قوات الجيش، سألته عن مصير مدينة قلعة دزه وهل انها محكمة؟ أو أن الدفاع عنها مضمون أم لا؟ فأجابني عمر دبابة بأن مصير قلعة دزه متوقف على موقف العشائر المحيطة بها الساكنة في تلك المنطقة فاذا رغبت هي، أي العشائر، فيمكن الدفاع عنها واذا ارادت عودة السلطة فأن مجرد غض النظر عن اتصال بعض رجالها بالسلطة وقيامها بمهام الادلاء فيمكن عودتها بسهولة، وقد صدق حدسه فقد ظلت المدينة محررة الى سنة ١٩٦٥ وذلك لرغبة رجال العشائر في الاحتفاظ بها، أما في سنة ١٩٦٥ فقد تغّير الامر وأختلف عن ذي قبل.

وفي أواخر تموز سنة ١٩٦٥ كلّفت من قبل المكتبين السياسي والتنفيذي بالقيام بتوزيع المساعدات المالية على أفراد الپيشمه ركه للقوات المتواجدة في منطقة جبل سفين ومنطقة سهل أربيل. وكان مقرنا في قرية هه لشو كما ذكرت، وكنت انتقل في تلك الفترة بين هه لشو وقلعة دزه، وكانت الامكانات المالية للثورة ضئيلة جداً وكان المبلغ المتوفر لدى المكتب التنفيذي غير كافٍ لتغطية المساعدات اللازمة لأفراد الپيشمه ركه فتقرر المرور في طريقي بالبارزاني لأجل اضافة مبلغ آخر فيما اذا كان متوفراً لديه، ولما كان البارزاني متواجداً في احدى المناطق الواقعة قرب طريق مرورنا وكان معي الأخ علي سنجاري حيث كان متوجهاً الى منطقة سفين ايضاً لأستلام مهامه الجديدة كمسؤول للفرع الثاني للحزب في منطقة أربيل، ولم يستغرق سيرنا وقتاً طويلاً عندما وصلنا الى المنطقة التي كان البارزاني متواجداً فيها، وقد تناولنا طعام الغذاء معه والذي كان عبارة عن وجبة بسيطة جداً عبارة عن لبن الزبادي والجبن الكُردي، وبعد أن تلقى علي سنجاري التوجيهات اللازمة لعمله الجديد، وبعد أن اطلعته انا على مهمتي زودني بمبلغ اضافي بحيث يسّد الحاجة اللازمة لأنجاز عملي، وبعد أن أمضينا مدة وجيزة في حضور البارزاني واصلنا أنا وعلي مسيرنا، وبعد المرور على عدة قرى وصلنا قرية هيران –مركز ناحية

خوشناو– في اليوم الثاني، وهيران هي قرية جميلة جداً في سفح جبل سفين وفيها مقر الفرع الثاني للحزب وفيها بساتين وعيون ماء كثيرة[٤].

وبعد قضاء يومين في هيران وتوزيع المساعدات المالية للقوات المتواجدة في منطقة سفين ودعتُ علي والاخوة الآخرين في الفرع وتوجهت الى مقر قواتنا التابعة لسهل أربيل، وبما أنني كنت على معرفة مع معظم افرادها كوننا جميعاً من المنطقة نفسها، فقد رحبوا بيَّ كثيراً وقضيت معهم وقتاً ممتعاً بالرغم من صعوبة الظروف المعاشية، وقد تجولت في المنطقة لبضعة أيام وتمكنت من الاتصال بأربيل بسهولة ومعرفة وضع عائلتي وغيره من الأوضاع.

قبل سفري الى المنطقة كانت القوة المرابطة في المضيق الواقع بين رانية وقلعة دزه قد عادت الى منطقتها الاصلية في سهل أربيل للحاق بالقوات المتواجدة في تلك المنطقة وذلك لتعرضها لهجوم من قبل قوات الجيش، وقد حلت محلها قوة أخرى مكونة من أهالي المنطقة لغرض الدفاع عن المضيق!!، وقد علمت بأن قوات الجيش أخذت تستعد لشّن هجوم على المضيق المذكور لغرض احتلال قلعة دزه، كان الموقف الدفاعي لابأس به وكانت الاحتياطات قد أتخذت لصد هجمات الجيش، وقد بدأ القتال فعلاً وأنا موجود في منطقة قوات سهل أربيل وكنت أحصل على المعلومات والأخبار والتطورات في الموقف عن طريق البرقيات اللاسلكية الموزعة على المقرات عن الموقف، وعلمت بأن قواتنا تمكنت من صدّ عدة هجمات للجيش وجرى هدم جزء كبير من الجبل المشرف على الطريق العام المار من المضيق لجعله مانعاً طبيعياً تعيق أو تؤخر تقدم الدبابات، وبعد أن فشلت قوات الجيش من التقدم عن طريق المضيق لجأت الى طريقة أخرى وهي الاتصال ببعض رجال العشائر وتمكنت بدلالتهم من عبور نهر الزاب الصغير جنوب المضيق بواسطة العربات البرمائية المدرعة ليلاً وتمكنت من احتلال موقع استراتيجي في جبل آسوس الواقع على الجانب الاخر من النهر والذي يفصله المضيق عن جبل كيوه ره ش، وبذلك أصبح من السهل الاشراف على الجانب الجنوبي للمضيق بحيث يصعب الدفاع عنه لذا اضطرت القوة المدافعة من الانسحاب من المضيق وتم تقدم وحدات الجيش فيما بعد على الطريق العام بعد تنظيفه من الموانع والصخور وبذلك تقدمت نحو مدينة قلعة دزه بسهولة، اذ أن المنطقة الواقعة بين المضيق ومدينة قلعة دزه

عبارة عن سهل فسيح يفتقر الى أي مانع طبيعي.

وعندما كنت عائداً من منطقة أربيل سمعت خبر احتلال قلعة دزه وانا في جبل سفين وتأسفت لذلك، وكان مقرنا قد انتقل قبل احتلال قلعة دزه الى المنطقة المسماة بـ(دولي شهيدان) وتعني (وادي الشهداء) وهي منطقة عاصية تقع في منطقة (ناوده شت) شمالي ناحية سنگه سه ر وأصبح مقرنا المؤقت في قرية (صلي) وهي قرية متخلفة جداً ويعيش سكانها حياة بدائية.

قلت بأنني قد عدت من منطقة أربيل ثم منطقة سفين وعدت الى منطقة مقرنا الجديد وهناك قضينا عدة اسابيع، وكان ضابط الشرطة النقيب شيخ رضا محمد گولاني[٥] -الذي اصبح بعد اتفاقية آذار سنة ١٩٧٠ مديراً لشرطة أربيل- عضواً في المكتب التنفيذي قد كلف بالأشراف على بناء المقرات الشتوية في الموقع المسمى بـ(گلي بدران) أي (مضيق بدران)، وأنتقلت الى ذلك الموقع في أواخر ايلول من العام ١٩٦٥.

مضيق بدران

يقع هذا المضيق في القسم الجنوبي لمنطقة (ناوده شت) وهو عبارة عن حوض جبلي ضيق يحيط به الجبال من جميع الاطراف وله مدخل واحد فقط عبارة عن فتحة واسعة في سلسلة جبلية شامخة ولايمكن النفوذ الى المنطقة الا من خلال تلك الفتحة التي كانت تشبه مدخل كبير لمرآب للسيارات وكنا نقول على سبيل المزاح أنه بالأمكان صنع باب واسع وسدّ هذا المنفذ بواسطته. وكان على جانبي المدخل كهوف واسعة بنيت فيها بعض الغرف وكذلك بنيت بقية المباني في أماكن مختلفة من الموقع، وكان من الصعوبة بمكان اكتشاف ذلك الموقع لشدة وعورته ولكونه غير مرسوم على الخرائط العسكرية لذلك فقد بات في مأمن من القصف الجوي لعدة أشهر.

وفي كانون الاول من سنة ١٩٦٥، تمكنت الطائرات العسكرية من العثور على الموقع المذكور وذلك بفعل الجواسيس فتعرضت المنطقة لقصف شديد وشبه يومي ولكن من حسن الحظ أن المنطقة كانت هدفاً مستعصياً جداً وأن أكثر القنابل المستعملة كانت تسقط على قمم الجبال المحيطة بالحوض أو خارجه وقد تكبدنا طيلة تلك المدة شهيداً واحداً من الحرس وأسمه (فتاح).

في أواخر كانون الاول من تلك السنة، اصبت بنوبة مرض كانت شبيهة بنوبة قلبية، ولكن من حسن الحظ كان ذلك في مقر اجتماعنا واثناء الاجتماع، فكان الدكتور محمود علي عثمان الذي كان عضواً في المكتب السياسي حاضراً وهو طبيب وكذلك علي سنجاري الذي كان يقوم بزيارة مقرنا يحمل معه ابرة خاصة لمثل هذه الحالات فتمت معالجتي من تلك الحالة، وقد أنتخب علي سنجاري فيما بعد عضواً في المكتب السياسي ونحن لانزال في ذلك المقر.

تقرر ارسالي للفحص والمعالجة في طهران، وكان من المقرر أن يسافر السيد حبيب محمد كريم سكرتير اللجنة المركزية للجزب بأجازة اعتيادية الى طهران ايضاً، حيث كان يقيم فيها شقيقاه د.جعفر وهادي، وكان الدكتور جعفر من مؤسسي الحزب الديمقراطي الكُردستاني وقد اسقطت عنه الجنسية العراقية في

أواخر الاربعينيات أو أوائل الخمسينيات من القرن الماضي وسفّر قسراً الى ايران وظل ساكناً في طهران الى أن وافته المنية في مطلع القرن الحالي (رحمه الله).

كانت الامكانات المالية للثورة ضعيفة جداً في ذلك الوقت، فلم يكن يملك المكتب السياسي غير بضعة دنانير ولأجل تأمين نفقات سفري فقد اقترض المكتب مبالغ بسيطة من كل من علي سنجاري ومرافقي عمر قادر، فتم تأمين مبلغ بسيط لي لايكاد يكفي مصاريف جيبي، وكذلك اعارني علي سنجاري بدلة مستعملة كان يملكها حيث كان قد اقتناها قبل ذلك في طهران اثناء سفره اليها، وكان قد اعارها ايضاً الى شخص آخر قبلي عند سفره، فلما رآني موظف الساواك الذي رافقني في سفرتي استغرب وقال «يظهر بأنكم جميعاً ترتدون زياً واحداً ولوناً واحداً!».

أعود الى بداية الموضوع فقد غادرنا في حوالي العشرين من شهر كانون الاول سنة ١٩٦٥ أنا وحبيب محمد كريم الذي كان يقوم بزيارة شقيقيه كما ذكرت، ولم تكن له مشكلة مالية كالتي كانت لدي، واثناء مغادرتنا المقر شنت طائرة عراقية من نوع اليوشن غارة بالقنابل على مقرنا والتي سقطت بالقرب منا الا ان التضاريس وطبيعة الاراضي وكثرة الصخور الضخمة قد وقتنا، ووصلنا حاجي اومران (حاج عمران) نفس اليوم وكان يصادف شهر رمضان المبارك وحللنا في دار أحمد نبي وهو من شخصيات المنطقة وكان له مع أشقائه دور مشهود في الثورة وقد استشهد أحد اشقائه، وكان الشتاء قارساً جداً وكانت المنطقة مغطاة بالثلوج بسمك اقدام لذا كان الطريق مقطوعاً ولم يكن بالأمكان أي تحرك بواسطة السيارات، فأضطررنا الى المبيت في تلك الدار زهاء عشرة أيام لحين وصول سيارة ايرانية حكومية وأخبرنا سائقها أنه يحمل موافقة نقل حبيب محمد كريم فقط فأضطررت الى الانتظار يومين آخرين لحين ورود الموافقة وواسطة النقل، فسافرت الى الرضائية (اورمية) في المرحلة الاولى، وفي اليوم التالي الى طهران بواسطة قطارات سكة الحديد، يرافقني أحد الموظفين الرسميين، وعند وصولي طهران عُرضت في نفس اليوم على الطبيب المختص الذي اجرى لي الفحوصات اللازمة وطمأنني بأن الحالة لاتتعدى كونها تشنج عضلات وزودني بالأدوية اللازمة بعد أن أوصاني

ببعض الراحة، والتقيت في عيادة الطبيب بالسيد عبدالرزاق عبدالباقي المعروف بـ(عبدالرزاق منگوري)[٦] وهو من أهالي كويسنجق وكنت أعرفه سابقاً، وقد التحق بالثورة منذ سنة ١٩٦٢ وكان يسكن طهران في ذلك الوقت، ورافقني الموما اليه الى الفندق الذي كنت أحّل فيه ثم جاءني السيد شمس الدين المفتي الذي كان ممثلاً للثورة في طهران وقد بقيت فيها زهاء ثلاثة أسابيع، وأتصلت تلفونياً بشقيقي أنور الذي كان يعمل كطبيب في المانيا الغربية في برلين، وكانت تلك هي المرة الأولى أتحدث معه منذ نيسان سنة ١٩٦٣ حينما غادر بغداد نهائياً بعد اطلاق سراحه كما نوهت عن تفاصيل الحادث سابقاً، وكان موقفاً عاطفياً جداً، حيث كان يسمع أحدنا صوت الآخر لأول مرة خاصةً بسبب وفاة والدتي قبل أكثر من سنتين من ذلك الزمن، بعث لي أنور بعض المبالغ وسافر كل من حبيب وشمس الدين الى منطقة پينجوين العراقية عن طريق ايران لوقوعها قرب الحدود وكان البارزاني الراحل متواجداً هنالك للأشراف بنفسه على المعارك الدائرة قرب پينجوين، وقد بعث لي البارزاني ايضاً بعض المبالغ مع شمس الدين وبذلك أصبح لديَّ مبلغ مناسب يسدّ احتياجاتي خلال مدة بقائي في طهران. وعند عودة شمس الدين من لقاء البارزاني عاد معه محمد زياد الغفوري (كاكه زياد) الذي كان يرافق البارزاني ايضاً.

وذات يوم أقام لنا الدكتور جعفر محمد كريم وليمة غذاء في داره فكنا كاكه زياد وحبيب وشمس الدين والمنگوري المذكور وأنا، وكان الدكتور جعفر مختصاً في الامراض العصبية والنفسية وكانت روح الفكاهة والنوادر لاتفارقه، فسأله المنگوري عن كيفية تشخيصه المرضى عندما يصابون بالجنون؟ فقال بأن بعضهم من مجّرد مشاهدتهم وبعضهم من فحصهم وبعضهم من التحدث اليهم، وأما بالنسبة اليك (المنگوري) فمن مشاهدتك فقط، وبدأ الجميع بالضحك!! عدنا الى كُردستان بطريق البرّ في أواخر كانون الثاني سنة ١٩٦٦ حبيب محمد كريم وكاكه زياد وأنا وثم عدت الى مقرنا السابق والى مزاولة أعمالي الاعتيادية.

وأشتد القصف على ذلك المقر وكانت الطائرات تغير من الصباح والى المساء يومياً، وقد تعّذر الاستمرار والعمل في تلك الظروف وبما اننا كنا في

موسم الشتاء فقد كان من الصعب الانتقال الى موقع آخر أكثر أماناً لذا فقد قرّ رأينا على نصب بعض الخيم في السهل الذي يقع أسفل مقرنا بمسافة زهاء ثلاثين دقيقة سيراً على الأقدام داخل غابة كثيفة وكنا نعود مساءً الى مقرنا السابق حيث لم يكن بأمكان الطائرات العراقية الطيران والقصف ليلاً في ذلك الوقت، وكانت المنطقة التي نصبنا فيها الخيام جميلة جداً تغطيها غابات كثيفة تحجب الرؤيا، وكنا نعمل بكل هدوء وراحة بال وفي بداية الربيع أخذ الجو بالتحسن وازدادت المنطقة جمالاً خاصةً بعد أن بدأت الاشجار تورق وأخذت الاعشاب الخضراء تغطي المنطقة، وكان الماعز الجبلي على شكل قطعان صغيرة يمر من أمامنا. وهكذا مرّ الوقت من دون مشاكل كبيرة.

مصرع الرئيس عبدالسلام عارف

عاد البارزاني الى مقره بعد رحلته الى منطقة پينجوين وبعد أن قضى فيها عدة أشهر، وكان مقره يقع على مسافة ليست بعيدة جداً عن مقرنا يستغرق السفر اليه نصف نهار سيراً على الأقدام. وفي أحد أيام شهر نيسان من تلك السنة استدعاني البارزاني الى مقره وطلب مني السفر الى منطقة أربيل والاتصال بشخص معين في المدينة لأمر خاص[٧]، فعدت الى مقرنا وفي اليوم التالي بدأت بالسفر الى مقر قواتنا في منطقة أربيل للأتصال بالشخص المطلوب في أربيل، وبعد أن عبرنا قمة (زيني استيروكان) في جبل كاروخ وصلنا مساءً الى قرية پلنگان لصاحبها الملا عثمان، وكان الموما اليه من الرجال الطيبين اشترك في الثورة في سنواتها الاولى وان قريته التي تسمى پلنگان وتعني (النمور) ويقال بأن المنطقة كانت فيها اعداد كبيرة من النمور، وبما أن القرية المذكورة تقع على الطريق الجبلي الموصل بين منطقة سفين وبيتواته وسهل أربيل ومنطقة كويسنجق وكان يسلكه اعداد كبيرة من الپيشمه رگه العائدين لتلك المناطق لذا فأن دار الملا عثمان اصبحت بمثابة فندق أو محل استراحة للمارين وكانت تضج دوماً بالضيوف، ونزلنا في الدار المذكورة وكان عددنا يبلغ حوالي عشرة أشخاص، وقد رحبّ بنا الرجل كثيراً رغم وضعه المعاشي الصعب وقدم لنا الخدمات اللازمة، وعند عودتي شرحت اوضاع ذلك الرجل للبارزاني فأمر بفتح مقر كدار ضيافة في القرية كما وقدم له بعض المساعدات المالية والعينية.

وفي يوم ١٤ نيسان ١٩٦٦ نهضنا في الصباح الباكر قبل شروق الشمس وبدأنا بالأستمرار في سفرنا وكنت أمتطي بغلاً متدرباً في الطرق الجبلية حاملاً معي جهاز مذياع صغير (راديو ترانسيتر) فأدرته على محطة بغداد عند افتتاح الاذاعة فسمعت تلاوة من الذكر الحكيم وأعتبرت ذلك أمراً اعتيادياً، فأن قراءة القرآن الكريم تسبق نشرة الأخبار الصباحية الاولى وبعد الانتهاء من التلاوة كنت أتوقع نشرة الأخبار الآ ان المذيع أعلن الاستمرار في تلاوة القرآن الكريم فتوقعت أمراً ما قد حصل، واستمرت التلاوة لنصف ساعة

أخرى دون الاعلان عن أي حدث الى الساعة الثامنة صباحاً حيث أعلن المذيع كلمة نعي الرئيس عبدالسلام عارف والتي هيأتها الحكومة العراقية. فبدأ أفراد الپيشمه ركه المرافقين لي بالهتاف والتصفيق فرحاً وأخذوا بأطلاق الرصاص وقال أحدهم وأعتقد بأنه كان مرافقي عمر (لقد ضمننا المفاوضات قريباً)، وكنا قد وصلنا لموقع مقابل قرية عباس مامند آغا رئيس عشيرة آكو وأسمها (گولان) والتي كانت تبعد عن الطريق بمسافة نصف كيلومتر تقريباً وكان جالساً مع رجاله أمام مضيفه ويستمع بدوره الى المذياع، فعرجنا على القرية المذكورة نستمع الى تفاصيل حادث سقوط طائرة عبدالسلام عارف المروحية وهو في المنطقة الجنوبية من العراق في جولة رسمية، وأبى عباس آغا الذي كان من شخصيات الثورة وله دور وطني بارز كما أشرت اليه سابقاً، ابى الا ان نتناول طعام الغذاء عنده ونسمع المزيد من تفاصيل الحادث. وبعد تناول الغذاء باشرنا بأكمال سفرنا وبعد أن قضينا ليلتنا الثانية في أحدى القرى وصلنا في اليوم التالي قرية (شيوه شان) الواقعة شرقي كويسنجق والعائدة للمرحوم الرئيس بكر عبدالكريم الذي كان من أوائل الضباط الذين التحقوا بالثورة سنة ١٩٦٢ وكان قد التحق سابقاً بثورة بارزان سنة ١٩٤٥ ثم بجمهورية كوردستان في مهاباد بعد ذلك، كان شقيقي كاك أحمد يقيم في القرية المذكورة آمراً لأحدى وحدات الپيشمه ركه التي كان مقرها في القرية المذكورة، وبعد أن قضيت ليلة أخرى في تلك القرية، واصلت سفري الى قرية (رسول بسكول) التي تعود ملكيتها لأخوالي وتقع بين أربيل وكويسنجق وفيها مقر لأحدى الوحدات التابعة لقوات منطقة أربيل. وجعلت مقر اقامتي في القرية المذكورة حيث أجريت منها الاتصالات، كما وحضرت عائلتي وأطفالي القرية المذكورة وقضوا معي اسبوعاً فيها ثم عادوا الى أربيل بطريقة سّرية.

مضى عليَّ أكثر من اسبوعين في القرية المذكورة وأنا بأنتظار نتيجة اتصالاتي بالأشخاص المقيمين في أربيل وبعد أنتظار طويل لعودة الشخص المنوي الاتصال به من سفره الى بغداد علمت أخيراً بأنه قد سافر الى خارج العراق، فبعثت ببرقية الى البارزاني أعلمته فيها بالوضع وطلب عودتي.

معركة هندرين الشهيرة

كنت أتهيأ للسفر والعودة الى مقرنا عندما علمنا من البرقيات الواردة من المقر العام بأن قوات الجيش قد قامت بشن هجوم كبير على جبل هندرين الواقع شمال رواندوز والفاصل بين منطقة بالك الستراتيجية وبين مدينة رواندوز الواقعة تحت سيطرة الحكومة المركزية حيث مقر الفرقة الأولى والوحدات التابعة لها موزعة في المناطق المحيطة بالمدينة، يفصل جبل هندرين عن جبل زوزك مضيق يمّر منه طريق السيارات المؤدي الى الحدود العراقية الايرانية والذي يسمى بطريق هاملتون الشهير والذي شقه المهندس الاسكتلندي هاملتن وأكمله في الثلاثينيات من القرن الماضي، كما أن المهندس المذكور قد أصدر كتاباً يتعلق بأنجازه هذا وقد ترجمه الى العربية السيد جرجيس فتح الله المحامي بعنوان (طريق في كوردستان)، ويعتبر هذا الجبل وجبل زوزك المجاور له من الناحية العسكرية من الموانع الرئيسية الفاصلة بين منطقة بالك وحوض رواندوز، وبالرغم من وعورة المنطقة ووجود موانع طبيعية كثيرة أخرى في طريق بالك الى الحدود الايرانية او لأجل السيطرة على المنطقة الا أن جبلي هندرين وزوزك كانا يشكلان المانع الرئيسي، أعود فأقول بأن القوات الحكومية قد قامت بمباغتة قواتنا في عملية عسكرية خطط لها بدقة وسميت بـ(توكلت على الله) وكان العميد الركن زكي حسين حلمي قائد الفرقة الأولى قد خطط لها وصودق عليها من قبل رئاسة اركان الجيش العراقي.

أقول بأن قواتنا قد بوغتت بالهجوم لأن الحكم الجديد برئاسة اللواء عبدالرحمن عارف الذي تولى رئاسة الجمهورية بعد مقتل شقيقه المشير عبدالسلام عارف في حادث الطائرة المروحية الذي أشرت اليه سابقاً، والذي تولى فيه رئاسة الوزارة عبدالرحمن البزاز، قد قام بأجراء بعض الاتصالات والتمهيد لأجراء حوار بين السلطة وقيادة الثورة الكُردية من أجل ايجاد حل سلمي للقضية الكُردية، فكانت القوات التابعة لنا والمسؤولة عن قاطع جبل هندرين قد أعتبرت تلك الاتصالات جدّية واستبعدت قيام قوات الجيش بأية

عملية عسكرية، الا انه في الواقع كان العسكريون ضد أي حلّ سلمي كما جرت عليه عادتهم سابقاً وأنهم أرادوا اظهار الجيش بأنه صاحب الكلمة الأولى وأنه قادر على القضاء على أي (تمّرد) في وقت قصير. لذا فأن قادة الجيش قد عارضوا رئيس الوزراء البزاز وفكرته في حلّ القضية بطريق الحوار وأصروا على الأستمرار في القتال. وكان البزاز من الرجال المثقفين والمسالمين وبالرغم من أفكاره القومية وخاصةً في مقتبل عمره الا انه كان يؤمن بالديمقراطية الليبرالية، وقد زار بلداناً غربية عديدة وأطلع فيها على الحياة الديمقراطية فكان يفّضل الهدوء والاستقرار تمهيداً لأنتخابات عامة كان ينوي اجراءها بعد فترة استقرار، الامر الذي لم يرق للعسكريين فأقالوه في مدة أقل من أربعة أشهر من مصرع عبدالسلام عارف وتوليه رئاسة الوزارة في عهد عبدالرحمن عارف.

قام الجيش بهجومه المباغت في الأسبوع الأول من شهر مايس وفي ليلة ٢-١٩٦٦/٥/٣ أي بعدأقل من شهر من مصرع عبدالسلام عارف فتمكنوا من احتلال بعض المواقع في سفح جبل هندرين وبعض النقاط الهامة قرب القمة وقامت الوحدات المهاجمة بالمرابطة بصورة وقتية في المواضع التي احتلتها تمهيداً لأستمرارها في الهجوم، وتمكنت قواتنا من ايقاف القوات المهاجمة في مواضعها. وقد وردت برقية من القيادة توعز الى قواتنا في منطقة أربيل وجبل سفين بالقيام بالضغط على الخطوط الخلفية للعدو لتخفيف الضغط على قواتنا في تلك المنطقة.

وقد أجلت عودتي لبضعة أيام انتظاراً للهجوم المنوي القيام به من قبل قواتنا في منطقة أربيل ونتائجه، وتمكنت تلك القوات من شن هجوم مباغت على بعض وحدات الجيش والمرتزقة فأحرزت نجاحاً كبيراً وكبّدت العدو خسائر فادحة وأضطر عدد كبير من المرتزقة ترك الجبهة الامامية والعودة الى مناطقه الاصلية، كما وأن خطوط مواصلات الجيش وتموينها أصبحت غير مأمونة نتيجة لتلك الهجمات المتكررة، ومضت عدة أيام على ذلك الوضع وبعد اسبوع تقريباً بدأت بالعودة الى منطقة القيادة وقبل مغادرتي بوقت قصير استلمنا برقية من القيادة تبشرنا بنجاح هجومنا المعاكس في جبل هندرين.

كان الزعيم الراحل مصطفى البارزاني قد أهتم شخصياً بذلك الهجوم المباغت وطالب بصدّه وانزال ضربة حاسمة بالعدو وجعل جبل هندرين مقبرة للغزاة الطامعين، وكان البارزاني قد خطط بنفسه للهجوم المقابل وحشد خيرة مقاتليه وبعث بنجله ادريس الى تلك الجبهة للأشراف شخصياً على تلك العمليات وتواجد فيها الى آخر أيامها، وكانت الاستعدادات تجري على قدم وساق وتستمر التحشدات التي اشترك فيها قوات باله ك وعدد من الضباط والانصار الشيوعيين وحتى بعض أفراد الحرس الخاص للبارزاني، وفي ليلة الثاني عشر من شهر مايس سنة ١٩٦٦ بدأت قواتنا بالهجوم المقابل وأصابت القذائف الأولى الربية المتقدمة لقوات الجيش فقتلت من قُتل وأنهزم الباقون وهكذا لاذت الربايا جميعها بالفرار بعد أن تركت القوات المهزومة عدداً كبيراً جداً من القتلى وجميع أسلحتها ومعداتها حتى المدافع الجبلية ولم تتوقف تلك القوات المطاردة الا في معسكر رواندوز وانزلت قواتنا خسارة فادحة بالجيش العراقي وهزمته شّر هزيمة وكان ذلك النصر أحد أكبر انتصارات قواتنا منذ اندلاع الثورة في الحادي عشر من ايلول سنة ١٩٦١، وكانت تلك المعركة من المعارك الحاسمة فلم يجرأ الجيش على القيام بأية عملية عسكرية أخرى بعدها بل باتت في موقع الدفاع تتلقى الضربات هنا وهناك، وكان ذلك بمثابة أمتحان لقدرة العسكريين وامكانات الجيش وأخذ رئيس الوزراء البزاز يسخر من الضباط الذين عارضوه في محاولاته السلمية.

أخذ قادة الجيش يفقدون صوابهم نتيجة تلك الهزيمة الكبرى التي حلّت بهم فأخذوا يصبون جام غضبهم على السكان المدنيين وعلى العشائر الرحل الذين كانوا في طريقهم الى مراتعهم الصيفية وأخذت طائرات القوة الجوية تجوب المنطقة وتقوم بقصف كل كائن حيّ وكل هدف متحرك بل أخذت بأشعال النيران في المزارع والغابات بقنابل النابالم.

وقد رأيت شخصياً آثار تلك الأعمال الانتقامية البربرية وصادفت في طريق عودتي الى المنطقة عشرات الجثث للدواب والمواشي مرمية في الطريق أو الدواب الجرحى المتروكة من قبل أصحابها وهي تنزف دماً، وشاهدت في حالات عديدة مهرة صغيرة تقف الى جانب جثة أمها القتيلة، أو أن احداها قد فقدت أحدى سيقانها، كانت مناظر تشمئز منها النفوس، حبذا لو شاهدت تلك

المناظر جمعيات الرفق بالحيوان العالمية، ناهيك عن جمعيات حقوق الأنسان.

وصلت الى مقرنا في منطقة مضيق بدران والتقيت بزملائي في المكتبين السياسي والتنفيذي وقد غمرهم السرور نتيجة انتصار قواتنا الساحق وتلك الهزيمة الكبرى لقوات النظام، وتبادلنا التهاني والانخاب البريئة وأقيمت الولائم البسيطة بصورة دورية من قبل كل واحد منا وكانت عبارة عن شراء نعجة وذبحها وتوزيع لحومها على منتسبي المقر أو شراء عدة دجاجات وتقديم وجبة شهية من الرز واللحم وأحدى الخضراوات المتوفرة آنذاك.

كنا بأنتظار بادرة جديدة للحوار من قبل الحكومة المركزية بعد فشل السبل العسكرية في حلّ القضية الكُردية، انتظرت عدة أيام للأستراحة من عناء السفر كنا نقضيها بتلك الطريقة المرحة ونحن لانزال نستلم البرقيات من قيادة قواتنا ومن قيادة جبهة القتال بتفاصيل الانتصارات والغنائم التي حصلت عليها قواتنا، وفي كل يوم كان يتم العثور على كمية أخرى من الأسلحة والاعتدة أو يعثر على عدد آخر من جثث الجنود القتلى المتروكة في ميدان المعركة، وقد أعلنت قيادة الثورة عن استعدادها لتسليم جثث القتلى الى رجال الدين والمدنيين والجنود غير المسلحين لكي تجمع وتدفن حسب تعاليم الدين الاسلامي الحنيف ومراعاة للجانب الانساني.

وتم جمع الاسلحة والمعدات التي غنمتها قواتنا في المقر الخلفي لقيادة جبهة القتال لغرض تعدادها وخزنها في مخازن الثورة، وكان عددها كبيراً جداً ومن مختلف أنواع الاسلحة الخفيفة منها والثقيلة وكمية هائلة من العتاد واللوازم.

بعد تلك الفترة القصيرة من الاستراحة في مقرنا توجهت الى منطقة حاج عمران حيث كان يتواجد قائد الثورة ورئيس الحزب مصطفى البارزاني وذلك لأجل نقل نتائج سفري له وكذلك لتقديم التهاني له بتلك الانتصارات، وجدته متألماً بسبب ما حّل بالجيش العراقي، وأخذ يلوم الحكام والعسكريين الذين تسببوا في احلال تلك الهزيمة بها وبسبب الأرواح البريئة التي قد أزهقت في تلك الحملة الفاشلة وقال بأنهم لو حاولوا حل القضية بطرق سلمية واستمروا في محاولاتهم السابقة ولم يجازفوا بتلك المحاولة العسكرية البائسة لوفروا أرواح اولئك الجنود الأبرياء الذين هم أبناء هذا الشعب وهذا الوطن ولجنبوا جيشهم تلك الهزيمة وذلك الخنوع.

وبعد قضاء ليلة واحدة في تلك المنطقة طلب مني البارزاني تزويده ببعض المسدسات من النوع الخفيف والحجم الصغير اذا كان ذلك متوفراً عند زملائي ومعارفي لأهدائها الى بعض من ساهموا في تلك المعركة البطولية -وكنت شخصياً أحمل واحداً من ذلك النوع- وكذلك طلب مني السفر الى طهران لأجل شراء بعض العملة من الدنانير العراقية بالمبلغ المتوفر لديه من الدولارات وكان مبلغاً متواضعاً لايتجاوز الستون ألف دولار، وكان يعتبر في ذلك الوقت مبلغاً لابأس به يسّد بعض احتياجاتنا، فوعدته بأن أعود للقائه في أقرب فرصة بعد أن أجمع مايتوفر من المسدسات وكنا في أواخر شهر مايس سنة ١٩٦٦، فقفلت راجعاً في اليوم التالي الى مقر المكتبين السياسي والتنفيذي لهذا الغرض والاستعداد للسفر الى طهران.

كان معي أحد الضباط الايرانيين الذي كان يقيم في منطقة مقرنا وأوعز اليه البارزاني بالحصول على الموافقة اللازمة لسفري الى طهران، وكنا نستقل السيارات من حاج عمران حيث كان الطريق مبلطاً -أي طريق هاملتن- الى قرية قصرى حيث ينتهي طريق السيارات ويتم الباقي أما سيراً على الأقدام أو بواسطة الدواب ولبضعة ساعات، وصادفنا في الطريق مناظر مؤذية أخرى من النوع الذي كنت قد شاهدته قبل عدة أيام وشاهدنا مهرة أخرى بجانب جثة أمها وقد انهكها الجوع فحاولنا السير بها وأيصالها الى مقرنا وقد أخذ الضابط الايراني وكان برتبة عقيد أو عميد وأسمه (مدرسي) -وأجهل أسمه الاول- وكان ينادى بـ(علي)، أخذ هذه المهمة على عاتقه وأراد نقل المهرة الى مقره ليقدم لها مايتوفر من الحليب والغذاء، وقد هاجر أهالي المنطقة ورحلوا الى أماكن آمنة خوفاً من قصف الطائرات الشديد لذا لم نتمكن من العثور على أحد يتولى تبني تلك المهرة الصغيرة، الا انها كانت في حالة أعياء وجوع شديدين بحيث كان يصعب عليها صعود الطريق المرتفع الى حدّ ما، فأضطر الضابط المذكور الى الترجل وحمل المهرة على الدابة التي كان يستعملها الى أن وصلنا الى القرية التي كان يبيت فيها فغذاها وربّاها لبضعة أيام الى أن ظهر صاحبها فأخذها بعد أن دبّت فيها الحياة والحيوية ثانيةً.

ووصلت مقرنا وقمت بجمع المسدسات المتوفرة من الأنواع التي طلبها البارزاني من زملائي ومن بعض أفراد البيشمه ركه المتواجدين في المنطقة

فيما اذا توفرت لديهم، وكنت أعد صاحب أي مسدس يجمع منه بنوع أفضل وأكبر حجماً، وكنت أول من نفذ الطلب المذكور وكان يشمل ذلك الأخ سامي عبدالرحمن الذي كان يعمل في قسم الأعلام العائد للحزب والثورة وكان مقرهم في قرية (ليوژه) القريبة من مقرنا، وقال بأن المسدس الذي يحمله هو قطعة السلاح الوحيدة التي حصل عليها من الثورة فيرجو تعويضه بأخرى، وقد وعدته بذلك وفعلاً أوفيت بوعدي.

السفر الى طهران

أخبرني الضابط الايراني بورود الموافقة على سفري الى طهران ومعي مرافقي عمر قادر فجمعت المسدسات المطلوبة وسافرت الى حاج عمران في أوائل شهر حزيران من العام ١٩٦٦ ومعي مرافقي عمر وأحد أفراد حمايتي وهو حيدر پيرداود الذي رافقني الى حاج عمران، وبعد أن قابلت البارزاني وسلمته المسدسات التي لم يتجاوز عددها العشر طلب من أدريس ان يسلمني المبلغ المنوي تبديله بالدنانير العراقية، فقام ادريس بذلك وكان من المقرر أن أغادر في الصباح الباكر اذ تكون العربة العسكرية التي تقلني جاهزة. في تلك الفترة كنت أسمع عن بعض تحركات المنشقين ومحاولة كسب بعض الوحدات المؤيدة لهم والتمرد على قيادة الثورة، ولما كان شقيقي كاك أحمد على رأس وحدة قوامها فوج ومستقرة في منطقة كويسنجق وقريبة من منطقة وادي خلكان وسد دوكان حيث يجري بعض أنشطة المنشقين، فقد أصابني بعض القلق بسبب شقيقي وبسبب علاقاته القديمة وصداقاته مع بعض قادة المنشقين، فحررت رسالة شخصية الى المرحوم نافذ جلال الذي كان يرأس المكتب العسكري في المكتب التنفيذي ومن أقرب أصدقائي الشخصيين طلبت منه سحب شقيقي أحمد ليقيم في مقرنا لكي أجنبه المشاكل ولكي لايتورط في مثل تلك الأعمال الدائرة في تلك المنطقة وقد سلمت الرسالة الى حيدر پيرداود لكي يسلّمها الى نافذ جلال، وغادرت في اليوم التالي أي في الاسبوع الاول من شهر حزيران، وقد تأخر الاخ نافذ جلال عن تنفيذ محتويات الرسالة لعدم حدوث شيء في تلك المنطقة بعد.

استغرق سفري الى طهران زهاء يومين وقضينا ليلة في سنندج ثم غادرنا في اليوم التالي ووصلنا طهران مساء ذلك اليوم حيث حللت مع مرافقي عمر في أحد الفنادق واتصلت هاتفياً بممثل قيادة الثورة الكُردية في طهران السيد شمس الدين المفتي الذي حضر في صبيحة اليوم التالي وبعد أن أفهمته الغرض من مجيئي حاولت أن أسلمه المبلغ الذي بذمتي لغرض تبديله فضل أن أقوم بنفسي بهذا العمل لأنني شخصياً كنت من كُلف بذلك، وبعد أن أقتنيت

بعض الملابس قمت أنا بتلك المهمة بعد أن رافقني عبدالرزاق منگوري المقيم في طهران والذي سبق وأن أشرت اليه، وكنت أقوم بتبديل قسم من المبلغ في كل يوم وبعد أكمال ذلك أي حوالي المنتصف من الشهر نفسه طلبت من شمس الدين أن يطلب من السلطات تهيئة وسيلة عودتي الى كُردستان. وأنتظرت يوماً أو يومين وذات يوم حضر الفندق المفتي ومعه ضابط ايراني وهو المقدم عيسى پژمان الذي كنت أعرفه سابقاً والذي ذكرت عن زيارته سنة ١٩٦٣ لقلعة دزه ولماوه ت سنة ١٩٦٤، فصافحته مرحباً به، وطلب مني الجلوس منفرداً لينقل لي بعض الاخبار ولما جلسنا في أحدى الغرف هو وشمس الدين وأنا بادرني بالقول بأن شقيقي كاك أحمد قد أنضّم الى المنشقين (لم يستعمل هو كلمة المنشقين بل فئة المكتب السياسي لتعاطفه معهم)، وأنهم أي المتمردين قد انسحبوا الى المناطق الحكومية، وقع الخبر عليَّ كالصاعقة وتأسفت جداً لذلك، وقد المح لي السيد پژمان بأن البارزاني قد يكون غاضباً من هذا التصرف وقد يسيء معاملتي فأكدت بأني أريد العودة بأسرع وقت ممكن وأني أتحمل النتائج مهما كانت وان البارزاني قد أئتمنني، فيجب أن أكون موضع هذه الثقة، وأكدت له بأنني سوف لن أنضم الى المنشقين ولا الى الحكومة العراقية بل أعود الى كُردستان.

وفي اليوم التالي استدعاني الجنرال معتضد وهو نائب رئيس جهاز الساواك، فذهبت مع شمس الدين المفتي للقائه فبعد أن اعاد عليَّ الخبر المح لي المخاطر التي تنتظرني، فقلت له أنني في غاية التألم من هذا الخبر وكل ما أرجوه هو اعادتي الى كُردستان بالسرعة الممكنة وقد أكدت له ايضاً بأنني لا أنضم الى المنشقين ولا أعود الى الحكومة العراقية التي حاربتها لعدة أعوام، وأضفت قائلاً: بأنني سوف أعود الى قيادة الثورة الكُردية وفيما اذا رفضني البارزاني فسوف أعود الى ايران للعيش فيها أو في أي بلد أجنبي دون الانضمام للمنشقين أو العودة الى النظام العراقي. ولما رأى الجنرال معتضد اصراري أخذ يعاملني برفق ويؤكد لي استعداد ايران لقبولي وأن الحدود مفتوحة أمامي متى ما شئت، ثم أمر بتهيئة وسيلة نقل لكي أعود في اليوم التالي الى كُردستان.

غادرنا طهران في التاسع عشر من حزيران أنا ومرافقي عمر قادر وكان معنا

عبدالباري شيخ سليمان البارزاني الذي كان في طهران للمعالجة[٨]، قضينا ليلة في مدينة سنندج ايضاً، وفي اليوم التالي توجهنا الى حاج عمران ووصلناها في حوالي الساعة التاسعة مساءً، استقبلنا هناك كل من أحمد حاجي وغزالي ميرخان اللذين كانا مسؤولين عن نقطة الحدود مع ايران وأخبراني بأن البارزاني ينتظر في قرية خلان ويطلب حضوري حال وصولي فتوجهت الى القرية المذكورة برفقة أحمد حاجي بعد أن سلمت أمتعتي الى مرافقي عمر لنقلها الى مقرنا، وبعد حوالي ربع ساعة وصلنا قرية خلان وتوجهت الى مبنى المدرسة حيث كان البارزاني، ولما دخلت الغرفة المقصودة فوجئت بوجود عدد كبير من الضيوف القادمين من بغداد من الشخصيات الكُردية والعراقية وخاصةً من الذين لهم علاقة أو معرفة سابقة بالبارزاني، سلمت على الحاضرين فنهض البارزاني من مكانه وصافحني بحرارة ثم أخبر الضيوف بأسمي وكنت أعرف أكثرهم وسلمت عليهم وصافحتهم واحداً واحداً وعرفت منهم الدبلوماسي الكُردي المحنك والوزير السابق علي حيدر سليمان والدكتور محمد صالح محمود الذي كان وزيراً للصحة بعد انقلاب الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ واللواء الركن المتقاعد ابراهيم الراوي أحد قادة الجيش السابقين والمحامي زيد أحمد عثمان من أربيل وهو ابن خالتي واللواء المتقاعد عبدالمجيد علي والعقيد المتقاعد رؤوف احمد قادر وهما من أهالي السليمانية وكانت لي معرفة سابقة بهما وغيرهم ممن لاترد اسمائهم في خاطري الآن. وقد ابدى بعضهم دهشة لمشاهدتي بصحة جيدة عائداً من طهران اذ ان بعض المنشقين قد اشاع بأن قيادة الثورة قد القت القبض عليَّ ومختلف القصص الاخرى، وعلمت بأنهم مبعوثون من قبل الحكومة المركزية للتمهيد لأجل الدخول في حوار مع قيادة الثورة الكُردية لأجل أيجاد حل سلمي للقضية الكُردية وانهم مبعوثون بصورة خاصة من قبل رئيس الوزراء عبدالرحمن البزاز الذي أبدى رغبته مجدداً -بعد فشل الحملة العسكرية والهزيمة التي لحقت بالجيش في معركة هندرين- في حل القضية سلمياً.

بعد أن سلمت على الحاضرين اتخذت مكاني في المجلس وأستمر النقاش الذي كان دائراً، وبعد أن شرح أعضاء الوفد الموقف بعد فشل الحملة العسكرية في جبل هندرين وقبول الفئة العسكرية بالأمر الواقع، وبعد أن أوضحوا النية السلمية لرئيس الحكومة عبدالرحمن البزاز ورغبته الصادقة في

حل القضية الكُردية بالطرق السلمية، أبدى البارزاني استعداده واستعداد قيادة الحزب والثورة في التجاوب مع أية مبادرة سلمية وأعلن عن موافقته في أرسال وفد يمثل قيادة الثورة الى بغداد للتفاوض مع الحكومة لأجل التوصل الى صيغة مناسبة لهذا الغرض، وفعلاً فقد توجه الوفد الى بغداد بعد يومين أو ثلاثة من زيارة الوفد الحكومي.

بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٦ أو مشروع البزاز

ذكرت بأن عبدالرحمن البزاز أصبح رئيساً للوزارة التي شكلت بعد مقتل رئيس الجمهورية عبدالسلام محمد عارف في حادث الطائرة المروحية في الثالث عشر من نيسان سنة ١٩٦٦ وبعد تولي شقيقه عبدالرحمن محمد عارف الرئاسة من بعده، كان عبدالرحمن البزاز رئيساً للوزارة الاخيرة في عهد الرئيس عبدالسلام عارف ايضاً بعد فشل محاولة الانقلاب التي قام بها رئيس الوزراء الاسبق عارف عبدالرزاق.

كان البزاز من الشباب القومي المثقف وهو خريج كلية الحقوق العراقية وتسنم مناصب عديدة، وفي شبابه كان من القوميين المتطرفين وقد أصبح عميداً لكلية الحقوق بعد تخرجي منها مباشرةً، وفصل من الوظيفة عدة مرات لنشاطه القومي وأعتقد بأن آخر منصب قد تولاه قبل ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ (انقلاب الرابع عشر من تموز) كان منصب مستشار قانوني لحلف بغداد. فقد صادف ان كنت في لندن -كما ذكرت تفاصيل ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب- صبيحة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨، وكان هناك ايضاً وفد من حلف بغداد ومعهم الاستاذ البزاز كمستشار قانوني حسبما أعتقد، وشوهد بعد ذلك في أحد اجتماعات السفارة العراقية بعد قيام الثورة وهو يلقي كلمة ترحيب واشادة بالثورة، وعاد الى عمادة كلية الحقوق، وبعد فترة وجيزة وبسبب نشاطه القومي اضطر الى مغادرة العراق الى مصر بعد نشوب الخلاف والعداء بين الجنرال عبدالكريم قاسم والتيار القومي.

وبعد انقلاب الثامن من شباط سنة ١٩٦٣ وبعد سيطرة عبدالسلام عارف على الحكم عين البزاز سفيراً للعراق في القاهرة ثم لندن وأخيراً عين نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية في وزارة عميد الجو عارف عبدالرزاق سنة ١٩٦٥، أصبح البزاز بمرور الوقت وبعد هذه التجارب أكثر تفتحاً وأكثر ليبرالية وأصبح يؤمن بالعراقية أكثر من أيمانه بالقومية وزادت الديمقراطية نمواً فيه، وبدأ يفكر في الحياة البرلمانية ويعتبرها الطريقة المثلى للحكم ويحلم في تطبيقها في العراق، وخاصةً بعد مجيء عبدالرحمن عارف للحكم كرئيس

للجمهورية وتولي البزاز رئاسة الوزارة ثانيةً في عهده، وخاصةً لكون اللواء عبدالرحمن عارف انساناً مسالماً بطبيعته ولمحدودية امكاناته وتركه المجال أمام رئيس الوزراء والمسؤولين الآخرين، أراد عبدالرحمن البزاز قبل تحقيق طموحه وأحلامه وتسهيلاً لها حلّ المشاكل المعلقة في العراق وتهيئة الجو المناسب، وكان في مقدمة تلك المشاكل القضية الكُردية.

ومن خلال اصدقاء البزاز القريبين ومنهم من كان من اصدقاء الثورة الكُردية وشخص قائدها البارزاني الراحل، علمت بأن البزاز كان في نيته حل القضية الكُردية بطريقة سلمية منذ البداية أي منذ توليه رئاسة الوزارة في عهد عبدالسلام عارف، الا ان غرور الاخير وحقده على الشعب الكُردي حال دون ذلك، وحاول تنفيذ ذلك بعد مصرع عبدالسلام وبدأ فعلاً ببعض الاتصالات الا انه اصطدم بتعنّت العسكريين ورغبتهم في استمرار القتال، وبعد فشل الجيش وهزيمته الكبرى في معركة هندرين زالت امامه تلك العقبة فبدأ بمحاولاته من جديد، وكان وجود الوفد الشعبي -كما كان يسمى- في كُردستان والذي صادفته ليلة عودتي من ايران في العشرين من شهر حزيران سنة ١٩٦٦ كانت أحدى تلك المحاولات.

نقل الحاضرون من أعضاء الوفد رغبة رئيس الوزراء في حل المشكلة سلمياً ونوقش الأمر من كل جوانبه، وقد حضرت جانباً من الحوار اذ وصل الوفد قبل وصولي بساعات، وكان حاضراً الاجتماع الى جانب البارزاني الاخوان ادريس ومسعود وأعضاء المكتبين السياسي والتنفيذي وكذلك عدد من الشخصيات العسكرية في قوات الثورة كالعقيد عبدالرحمن القاضي وغيرهم، وحضر الاجتماع ايضاً السيد صالح اليوسفي والمهندس شوكت عقراوي وكذلك السادة نوري صديق شاوه يس وعلي عبدالله ونوري أحمد طه الذين لم يلتحقوا بالمنشقين وفضلوا العودة الى صفوف الثورة الكُردية والحزب، وبعد مناقشات طويلة أبدى البارزاني رغبة صادقة في التجاوب مع نية الحكومة، وكان البارزاني منذ بداية الثورة- وأعتقد في ثورات بارزان السابقة ايضاً- مستعداً للتجاوب مع أية بادرة سلمية وبالرغم من الظروف القاسية التي عاش فيها وبالرغم مما لاقاه في حياته من النفي والسجن والابعاد والحرمان وبالرغم من انتصاراته الباهرة وخاصةً انتصاره الاخير في معركة هندرين، فأنه كان دوماً

يفضل السلم على القتال ويخطو خطوات امام كل خطوة سلمية نحوه، انه كان بعيداً عن العنف بعكس ما أشيع عنه وانه كان مسالماً جداً اذا لم يعتدى عليه، ولكن في حالة الاعتداء عليه وعلى الشعب الكُردي كان يدافع دفاعاً بطولياً وبكل الاساليب الشريفة المتوفرة لديه، ووافق البارزاني على ايفاد بعض الأخوة للحوار مع الحكم وايجاد حّل معقول وصيغة مقبولة لحل القضية الكُردية.

وكانت قد جرت محاولات أخرى واتصالات كثيرة قبل ذلك في عهد عبدالسلام عارف وبعد مصرعه ولكنها باءت بالفشل بسبب تعنت السلطة وغرور العسكريين وخاصةً في عهد الرئيس عبدالسلام عارف، ففي سنة ١٩٦٥ قدم وفد كبير ومعهم بعض رؤساء العشائر والفرسان لاسيما الذين كانت علاقاتهم جيدة مع الثورة الكُردية أمثال فتاح آغا الهركي رئيس عشيرة الهركي وعثمان ميران، وكان يتقدمهم المرحوم محمد حسن دزه يي الذي كانت علاقاته حسنة بالجانبين ويرغب في ايجاد حّل للقضية الكُردية بطريقة سلمية، وقد التقى الزعيم الراحل مصطفى البارزاني بذلك الوفد وحاول افهامهم رغبة القيادة الكُردية الصادقة من أجل الحوار بعكس التفكير العنصري الجامد والحاقد للمسؤولين وعدم الايفاء بالوعود التي يقطعونها، لذا فأن الثورة الكُردية ستدافع عن نفسها امام هذه النوايا السيئة والاصرار عليها، وكذلك حاول محمد حسن دزه يي مرة ثانية ايضاً وذلك بنقل رسالة من الفريق طاهر يحيى رئيس الوزراء، ولكن دون الاقدام على تنفيذ أي وعد كان يقطعه النظام الحاكم ويظهر بأن الغرض منه كان لكسب الوقت فقط للقيام بجولة أخرى من العدوان.

وفي نيسان سنة ١٩٦٦ أي بعد مقتل عبدالسلام عارف وقبل معركة هندرين جاء المحامي زيد أحمد عثمان وهو من الشخصيات الكُردية الوطنية والقومية ومن مؤيدي الديمقراطية الليبرالية وكان مبعوثاً من قبل رئيس الوزراء عبدالرحمن البزاز ومن قبل بعض الشخصيات الكُردية امثال بابا علي الشيخ محمود وفؤاد عارف وغيرهما ممن لهم مكانة خاصة عند البارزاني ونقل رغبة رئيس الوزراء في حّل القضية الكُردية سلمياً الا ان العسكريين كانوا يهيئون لهجوم كبير كما ذكرت وكانوا لايؤمنون الا بالأساليب العسكرية

والعنف، لذا باءت تلك المحاولات جميعها بالفشل.

وأود أن أضيف هنا بأنه في أواخر مارت أو أوائل نيسان من سنة ١٩٦٦ أي قبل مقتل عبدالسلام عارف بحوالي اسبوعين قدم المرحوم محمود جميل بابان من الاردن عن طريق طهران مبعوثاً من قبل الملك الراحل الحسين بن طلال ملك المملكة الاردنية الهاشمية ورئيس وزرائه المرحوم وصفي التل، ومن قبل بعض الشخصيات العراقية المقيمة في لبنان لأيجاد نوع من العلاقة مع قيادة الثورة الكُردية. والسيد بابان من الشخصيات الكُردية المعروفة وكان وزيراً في آخر وزارة عراقية قبل الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ ومن عائلة بابان العريقة ويمت بصلّة قرابة لوصفي التل، اذ ان والدة الاخير كُردية تنتمي الى أسرة بابان وسآتي على تفاصيل ذلك عند بحث العلاقات مع المملكة الاردنية العاشمية فيما بعد. وكان محمود بابان وبناءً على العلاقات القديمة قد استفسر عن شقيقي أحمد وعني عند أول وصوله ولكنه تعذر علينا مقابلته لبعدنا عن المنطقة آنذاك.

أعود فأقول، بأنه بعد حوار ونقاش طويلين تم الاتفاق مع الوفد الشعبي القادم من بغداد ليلة العشرين من حزيران سنة ١٩٦٦ وفي قرية خلان على ارسال وفد كُردي بعد أيام قليلة الى بغداد لأجل الحوار مع الحكم في بغداد، وفي ساعة متأخرة من الليل اخلد الضيوف الى الاستراحة والرقاد في الغرف المخصصة لهم في مبنى مدرسة خلان.

وبعد مغادرة الضيوف الى غرفهم أجتمع بيَّ البارزاني منفرداً وفي الهواء الطلق خارج المبنى وسألني عن سفري والاشخاص الذين التقيت بهم، ثم عن التحاق شقيقي كاك أحمد بالمنشقين وكان يظهر متألماً جداً عند بحث ذلك الموضوع ولكنه لم يبد أي استياء بل كان يقول بأنه يريد أن يعرف السبب الذي دفع بأحمد بسلوك ذلك الطريق وأنه لم يكن يتوقع ذلك منه، ولم تصدر منه أية كلمة أو اشارة شك حولي بل كان اللقاء طبيعياً جداً وازال كل قلق أو احراج لديَّ، وأنتهى اللقاء كذلك، ثم سلمت المبلغ الى الاخ ادريس البارزاني عند اشتراكنا في غرفة واحدة لقضاء تلك الليلة في قرية خلان.

قضى الوفد الشعبي تلك الليلة، وفي اليوم التالي غادر عائداً الى بغداد بعد أن قضى بضع ساعات أخرى معنا، وأذكر حادثة طريفة صادف وقوعها

في ذلك اليوم، فبعد طعام الفطور جرت لقاءات خاصة جانبية وخاصةً بين الاصدقاء القدامى، وكان من بين أعضاء الوفد المرحوم العقيد رؤوف أحمد قادر وكان أسمر اللون لذا كان يلقب بـ(رؤوف ره ش) أي رؤوف الأسود، وقد جاءنا ضاحكاً، بعد أن اقترب منه أحد شيوخ المنطقة وشاوره ببضع كلمات، وقال لنا رؤوف بأن الشيخ المذكورة قد ظنه عربياً من سحنته الداكنة وأنه أحد المسؤولين الحكوميين فقال له أرجو ان تبلغ محافظ اربيل وقائد الفرقة تحياتي وتؤكد لهم بأنني من مخلصي الحكومة ولا اؤيد المتمردين!!.

بعد مغادرة الوفد عاد كل منا الى مقر عمله على أمل اللقاء في اليومين القادمين لتشكيل الوفد الكُردي الى بغداد، وكان مقرنا قد انتقل الى قرية (چومان) القريبة من الشارع العام ثم الى قرية (ناوپردان) على الطريق العام (طريق هاملتن) حيث بقينا فيها الى يوم نكسة ايلول بعد اتفاقية الجزائر المشؤومة التي تم عقدها في آذار ١٩٧٥ بين شاه ايران والرئيس العراقي صدام حسين الذي كان نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة حينها.

وبعد يومين أو ثلاثة تم تشكيل الوفد برئاسة حبيب محمد كريم سكرتير الحزب وعضوية كل من صالح اليوسفي ونافذ جلال وعلي عبدالله وشخص آخر لا اذكر اسمه الآن، وغادر الوفد الى بغداد.

ويذكر السيد حبيب محمد كريم في صفحة ١٠٨ من كتابه (تأريخ الحزب الديمقراطي الكُردستاني-العراق في محطات رئيسية من سنة ١٩٤٦-١٩٩٣) والصادر سنة ١٩٨٨ والمطبوع في مطبعة خه بات[٩]: (بأن الوفد قد تشكل برئاسة حبيب محمد كريم وعضوية كل من علي عبدالله وصالح اليوسفي ونافذ جلال ومحسن دزه يي)، وللحقيقة والتأريخ أقول بأنني لم أكن عضواً في الوفد المذكور ولم أحضر تلك المفاوضات في بغداد والتي اسفرت عن صدور بيان عبدالرحمن البزاز في التاسع والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩٦٦ لكوني كنت عائداً من ايران تواً، ولكنني قد نُسبت بعد ذلك عضواً في اللجنة العليا للسلام مع الشهيد نافذ جلال ممثلين للثورة الكُردية وكان يرأس اللجنة المذكورة اللواء الركن كمال مصطفى الذي كان من اصدقاء البارزاني ومن اصدقائنا المقربين والذي التحق بالثورة في اوائل سنة ١٩٧٠، وكان في عضوية اللجنة من الجانب الحكومي كل من عبدالمنعم المصرف متصرف

(محافظ) أربيل واللواء الركن زكي حسين حلمي قائد الفرقة الأولى.

وقد وصل الوفد بغداد والتقى رئيس الوزراء والمسؤولين الآخرين وأجرى المناقشات والحوارات اللازمة وتوصل الى صيغة بيان أذيع من قبل رئيس الوزراء عبدالرحمن البزاز في مساء التاسع والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩٦٦ وسمي بـ(بيان البزاز) أو (بيان ٢٩ حزيران).

وكان البيان ينص على بنود تلبي بعض المطاليب الكُردية حسب تلك الظروف الا انه كان يمثل الحد الادنى أو دونه لتلك المطاليب، الا ان سياسة قيادة الثورة الكُردية وسياسة البارزاني الراحل كانت عبارة عن التجاوب مع كل بادرة سلمية وكان البيان يمكن اعتباره اساساً لتلك المطاليب في تلك المرحلة وكان بالأمكان تطويره فيما اذا كان قد نُفذ في حينه وخاصةً بعد ظروف الانشقاق والمناقصة الجارية على الحقوق القومية. (وتجدون نص البيان والملاحق الأخرى في نهاية الكتاب).

بعد أن سافر وفدنا الى بغداد وبعد حوار مع السلطة دام بضعة أيام اذاع رئيس الوزراء عبدالرحمن البزاز مساء يوم ٢٩ حزيران ١٩٦٦ نص البيان من اذاعة الجمهورية العراقية في بغداد.

ولوحظ بأن البيان -كما ذكرت- لم يحتو على الحد الأدنى للحقوق القومية الكُردية ولكنه كان يعتبر اساساً لابأس به في تلك المرحلة وكان يمكن تطويره، خاصةً وأن الجميع كان يرحب بأية هدنة، ومن البنود الجيدة موضوع الانتخابات فكان البزاز أول من أعلن عن الرغبة في أجراء الانتخابات العامة من السياسيين بعد الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ في العراق، وأعتقد شخصياً بأن البزاز كان جاداً في تنفيذ المنهاج الوزاري هذا وأجراء الانتخابات لأنه كان المدني الوحيد الذي تسنم منصب رئاسة الوزارة بعد ثورة تموز ولأن تفكيره مقارنةً بالعسكريين كان ديمقراطياً ليبرالياً ولأن هذه السياسة كانت مقبولة لدى الشعب العراقي بصورة عامة، ولم ترق تلك السياسة للضباط الذين هيمنوا على الحكم في تلك الفترة لعدم أيمانهم بالحياة الديمقراطية والنيابية وكذلك لمصلحتهم في استمرار الاوضاع غير الطبيعية والصيد في الماء العكر. لذا اطاحو بوزارته بعد أقل من شهرين من صدور البيان والذي لم ينفذ بعد ذلك، صحيح أن البيان لم يكن الا جزءاً من المنهاج الوزاري يمكن تطبيق كله

أو بعضه أو لاشيء منه ويمكن تعديله أو التلاعب به متى ماشاءوا، ولكنني أعتقد بأن البزاز كان جاداً في تطبيقه (بالرغم من تصريحه بعد اقصائه) بأن ذلك كان منهج وزارته والوزارات الاخرى غير ملزمة بتنفيذه، وقد التقيت شخصياً به بعد اقالته من الوزارة فقمت بزيارته في داره مع المرحوم نافذ جلال عندما كنّا عضوين في اللجنة العليا للسلام ولمست من حديثه بأنه كان جاداً في تنفيذ ذلك البيان.

ولاشك أنه نتيجة محاولته حل القضية الكُردية وأعلانه عن نيته في أجراء الانتخابات العامة في العراق وتلك السياسة الليبرالية، جعلت منه شخصية سياسية مرموقة في العراق افتقدها الشعب العراقي منذ سنوات عديدة ويتوق الى أمثالها للعودة بالعراق الى الحياة المدنية.

وأورد مثالاً هنا على نظرة العسكريين الى الانتخابات ورأيهم فيها اذكر بأنه في أحدى زياراتنا لرئيس الجمهورية عبدالرحمن عارف أنا ونافذ جلال بأعتبارنا عضوين في اللجنة العليا للسلام نمثل الجانب الكُردي أثير موضوع الانتخابات فلما سألناه عن سبب عدم اجرائها أجاب قائلاً وببساطة:«اذا اجرينا الانتخابات فلاشك بأن أنصار العهد البائد سيفوزون فيها وهذا مانريد تجنبه!».

عارف عبدالرزاق ومحاولتيه الانقلابيتين الفاشلتين

أصبح عميد الجو الركن عارف عبدالرزاق قائداً للقوة الجوية في عهد الرئيس عبدالسلام عارف وكان من الضباط القوميين الناصريين وعلى علاقة جيدة بالرئيس عارف، ثم أصبح رئيساً للوزراء بعد استقالة الفريق طاهر يحيى، وعندما كان الرئيس عارف يشارك في مؤتمر القمة العربية المنعقد في المغرب كان عارف عبدالرزاق وكيلاً لرئيس الجمهورية ورئيساً للوزارة ووزيراً للدفاع بالأضافة الى قيادة القوة الجوية، وقد قام بالتعاون مع عدد من الضباط الوحدويين والناصريين بمحاولة انقلابية واراد السيطرة على القصر الجمهوري ووزارة الدفاع بعد أن سيطر على بعض أقسام دار الاذاعة الا ان الضباط الموالين لعبدالسلام عارف تمكنوا من أفشال المحاولة وهرب عارف عبدالرزاق وعدد من الضباط الى القاهرة وقطع عبدالسلام عارف زيارته وعاد الى بغداد. وفشلت تلك المحاولة بالرغم من أن أكثر المراكز الحساسة كانت بيد عارف عبدالرزاق وتحت سلطته، فكان وكيلاً لرئيس الجمهورية ورئيساً للوزارة ووزيراً للدفاع وقائداً للقوة الجوية ومعه عدد مناسب من الضباط.

وبعد مصرع عبدالسلام عارف في حادث طائرته المروحية في نيسان ١٩٦٦، عاد عارف عبدالرزاق وجماعته الى العراق سراً وأستغل صدور بيان التاسع والعشرين من حزيران سنة ١٩٦٦ وتذمر بعض ضباط الجيش وعدم رضاهم من سياسة حكومة البزاز كونها تضّر بمصالحهم الشخصية، وكذلك ضعف شخصية عبدالرحمن عارف وروحه المسالمة فقام بمحاولته الانقلابية الثانية للأطاحة بحكم عبدالرحمن عارف في اليوم التالي لصدور البيان أي في الثلاثين من حزيران، ولكن سرعان ما تم للرئيس عارف القضاء على المحاولة، وكان عبدالرحمن عارف -رغم هدوئه وبعده عن العنف- له دور كبير ايضاً في أفشال المحاولة الاولى ايضاً.

القي القبض على عارف عبدالرزاق والمتعاونين معه وقدموا -على ما أعتقد- الى المحاكم المختصة ولكن اطلق سراحهم فيما بعد.

روى لي أعضاء وفدنا الذي كان يزور بغداد بعد صدور بيان البزاز بأنهم

كانوا في محل اقامتهم في أحدى دور الضيافة -القصر الاخضر حسبما أعتقد- اذ فوجئوا بدوي القنابل تسقط من الطائرات التي تحاول قصف القصر الجمهوري وأصوات المدافع والرشاشات وحاول أعضاء الوفد الاختفاء الا أن أحدهم وهو السيد علي عبدالله كان بزيه الكُردي كالمعتاد يصعب اخفاءه وسبب حرجاً لبقية الاعضاء وانتظروا بقلق شديد لحين القضاء على المحاولة وعودة الامور الى مجاريها الطبيعية.

يعيش عارف عبدالرزاق الآن بين القاهرة ولندن وهو يعتبر من أقطاب المعارضة الا انه مما يؤسف له بأنه رغم جميع تجاربه ومرور تلك المدة الطويلة والتطورات الحاصلة في العالم لم يطور تفكيره ولم يغير من اعتقاده فيما يتعلق بالقضية الكُردية، فأنا لم أسمع منه قط بأنه يؤمن بالحقوق القومية للشعب الكُردي بل ينظر اليها بشيء من العنصرية وأنه يعتبر الثورات الكُردية ليست الا حركات تمرد وعصيان حرض الانكليز على القيام بها ضد السلطة، وأني رغم احترامي وتقديري العميقين له ولسنه وتجاربه السابقة فقد سمعت منه هذا الرأي شخصياً وبصراحة، وأشير هنا الى أحدى المناسبات التي ادلى بها السيد عارف عبدالرزاق بهذا الرأي، فقد كنا نعود من زيارة رسمية للولايات المتحدة في صيف ١٩٩٢ بعد مؤتمر ڤينا الذي انبثق عنه المؤتمر الوطني العراقي وكان الوفد مكوناً من السادة مسعود البارزاني وجلال الطالباني والدكتور محمد بحر العلوم وعارف عبدالرزاق وأحمد الچلبي وغيرهم، واثناء مرور الوفد بلندن اقام له المرحوم رشدي الچلبي وليمة غداء في داره وبحضور السيد البارزاني ادلى السيد عارف عبدالرزاق بهذا التصريح الذي دفعنا الى الضحك والاشمئزاز من هذا التفكير العجيب وأدى الى استياء الحاضرين. والغريب أن يكون له هذا الرأي وهو من قادة المعارضة ويعمل للعودة الى السلطة فكيف يكون موقفه وهو في الحكم؟ وقد شاهدت السيد عارف عبدالرزاق في برنامج تلفزيوني لقناة الجزيرة وهو برنامج (شاهد على العصر) وكان يحاوره السيد أحمد منصور، وقد أعيدت هذه الحلقة في اليوم الرابع عشر من شهر كانون الثاني سنة ٢٠٠٢ والتي كانت قد بثت في السنة السابقة، ووجدته يناقض نفسه بنفسه عندما يتحدث عن الثورات الكُردية وقال انها نتيجة تحريضات البريطانيين، فيعود ويقول بأن المستشار العسكري البريطاني خاطب قادة الجيش العراقي وقال بأنكم عاجزون عن

القضاء على هذه الثورة، فقامت طائرات القوة الجوية الملكية البريطانية بالأشتراك في عمليات القصف لمساندة الجيش العراقي وهذا ماحدث فعلاً في ثورات الشيخ محمود الحفيد وثورات بارزان.

يقول البريطاني (والاس لاين) الذي عمل في كركوك والسليمانية لمدة طويلة في ذكرياته في ص١٨٩ ومابعدها من كتاب (كورد وعرب وبريطانيون) الذي طبع في سنة ٢٠٠٢ عن ذكريات الموما اليه في العراق من سنة ١٩١٨-١٩٤٤ بعد هزيمة الجيش العراقي في كانون الاول سنة ١٩٣١ تقرر احتلال بارزان، وأرسل رتل من القوات كان يقوده جنرال عراقي ومعه اثنان من الضباط البريطانيين الاركان من البعثة العسكرية البريطانية هي الميجر (الفري) والكابتن (مانسيرف) ومعهما الملازم الطيار (پيلي) من ضباط الخدمات الخاصة والذي اصبح فيما بعد مارشال الجو الأعظم. وكيف ان هذا الرتل قد تعرض لنيران الثوار بقيادة الملا مصطفى البارزاني وكيف اوقعوا فيهم الاضطراب والخلل والرعب وفروا مذعورين. وبعد وصول انباء الهزيمة الى بغداد قام الجنرال (روان روبنسن) رئيس البعثة العسكرية البريطانية بالأنتقال فوراً الى رواندوز والتحق بالرتل، وثم أرسل العقيد (هيدلمان) آمر التدريب في الكلية العسكرية الى رواندوز وكيف أن (لاين) نفسه ذهب بطائرة عسكرية خاصة الى هناك ايضاً كضابط سياسي.

ويستمر (الميجر لاين) في ذكرياته ويقول بأنه تم اعادة تنظيم الرتل وتجهيزه وبدأ الهجوم في حزيران سنة ١٩٣٢ على بارزان والقرى المجاورة بعد أن قصفتها طائرات القوة الجوية الملكية البريطانية وتغطى زحف هذه القوات بشكل مستمر بنشر مظلة عليها وتلقي قنابلها -وبعضها ذات انفلاق بطيء- على قرى البارزانيين لتجعل حياتهم صعبة لاتطاق.

وقد أعترف السيد عارف عبدالرزاق في ذلك البرنامج بأنه كطيار في القوة الجوية العراقية قام بقصف القرى البارزانية سنة ١٩٤٥ بالتعاون مع القوة الجوية الملكية البريطانية وعندما سأله السيد احمد منصور مقدم البرنامج بدهشة عن قصفه للقرى أجاب لأن المقاتلين كانون يختفون بين الاشجار والصخور فنضطر أن نقصف القرى!!.

هذه هي خلاصة آراء العميد الركن عارف عبدالرزاق فيما يتعلق بالقضية الكُردية.

اللجنة العليا للسلام

عاد وفدنا من بغداد بعد يومين أو ثلاثة من فشل محاولة عارف عبدالرزاق الانقلابية، وكنا بأنتظار الخطوات التي يخطوها الحكم لأجل تنفيذ بنود بيان التاسع والعشرين من حزيران سنة ١٩٦٦، وكانت الخطوة الاولى هي الزيارة التي قام بها السادة عبدالمنعم المصرف متصرف لواء أربيل والعميد الركن كمال مصطفى والعميد الركن زكي حسين حلمي قائد الفرقة الاولى التي مقرّها في أربيل -وقد أصبح الاخيران برتبة لواء فيما بعد- وأعربوا عن النية في تشكيل لجنة عليا للسلام وطلبوا تنسيب من يمثل الثورة وكذلك طلبوا اعادة المدافع والاسلحة الثقيلة الاخرى التي استولت عليها قوات الپيشمه ركه في معركة هندرين الحاسمة وكانت تعود الى اللواء الرابع في الفرقة الاولى والذي باشر بالهجوم.

ووعد البارزاني الراحل بأعادة الاسلحة تلك بعد جمعها وكذلك نسّب نافذ جلال ليمثل الثورة في لجنة السلام بأعتباره ضابطاً سابقاً في الجيش ومن زملاء ومعارفي كمال مصطفى والآخرين، كانت اللجنة يرأسها العميد الركن كمال مصطفى ومن أعضائها العميد الركن عبدالمنعم المصرف محافظ أربيل والعميد الركن زكي حسين حلمي قائد الفرقة الاولى وكان الاولان من أصدقاء البارزاني الشخصيين ومن العناصر المسالمة والمحبة لعمل الخير والاستقرار ومن المؤمنين بالحقوق القومية المشروعة للشعب الكُردي ضمن عراق موحد. كما وأن الثالث كان من العناصر الخيرة ايضاً، وبعد بضعة أيام قام كل من العميد الركن كمال مصطفى ونافذ جلال -الذي اصبح عضواً في اللجنة وباشر بمهامه- بزيارة البارزاني وبعد أن بحثوا بعض المواضيع التي تهم الجانبين وبحضور بعض أعضاء المكتبين السياسي والتنفيذي ذكر رئيس اللجنة العليا للسلام كمال مصطفى وكذلك نافذ جلال بأنهم يحتاجون الى عضو آخر لمتابعة تنفيذ قرارات اللجنة بصورة أسرع وقد أمر البارزاني بتنسيبي عضواً في اللجنة المذكورة فأصبحنا أنا ونافذ جلال عضوين دائميين ننتقل بين گلاله وأربيل -حيث كان مقر اللجنة أولاً- وبغداد حيث أصبحت مقراً للجنة فيما

بعد.

كانت اللجنة تنسق مع كل من وزير الدفاع ورئاسة اركان الجيش -كان رئيس اركان الجيش اللواء حمودي مهدي وهو رجل طيب وبسيط- ووزير الداخلية بالأضافة الى رئيس الوزراء.

كانت أعمال اللجنة تسير ببطء نظراً لتراكم المشاكل الكثيرة ونظراً للعراقيل التي كان يخلقها بعض الذين كانوا ضد ذلك الاتفاق وضد قيادة الثورة الكُردية، وكذلك كانت تحدث تجاوزات في بعض الاحيان من الجانبين كنا نعمل على تلافيها وحلّها قبل أن تتطور الى أسوأ منها، ولاينكر بأن السيد كمال مصطفى رئيس اللجنة بذل كل جهوده واستغل علاقاته الشخصية بالمسؤولين لأجل حلّ جميع المشاكل بالشكل الذي يرضي الجميع وكان دوماً موضع تقدير واحترام من قبل قائد الثورة البارزاني والمسؤولين الاخرين في الثورة وكان كثيراً ما يدفع نفقات سفره وبعض المصاريف الأخرى من حسابه الخاص وذلك لكي تستمر الأمور وتسير في مسارها الطبيعي، في الوقت الذي كان هناك كثيرون من الضباط يتمنون استمرار الاوضاع الشاذة لأجل الحصول على مكاسب شخصية أخرى.

زيارة الرئيس عبدالرحمن عارف للبارزاني

استمرت اللجنة في أعمالها كالمعتاد، واستقال عبدالرحمن البزاز من رئاسة الوزارة، أو نستطيع أن نقول بأنه قد أقيل، لأنه يقول في كتاب استقالته الموجه الى رئيس الجمهورية عبدالرحمن عارف (بناءً على طلبكم أقدم استقالتي...). شكل السيد ناجي طالب الوزارة بعده وأقول للحقيقة والتأريخ بأنه كان رجلاً مهذباً ووطنياً ونزيهاً ومسالماً بغض النظر عن تفكيره واسلوب عمله، وكان يعاونه السيد رجب عبدالمجيد كنائب لرئيس الوزراء ووزير للداخلية الذي كان يتميز ايضاً بدماثة الخلق والنزاهة والوطنية، وكان كلاهما من الضباط الاحرار الاوائل الذين اشتركوا في ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ ضد النظام الملكي. كان يشترك معهم في الوزارة العميد المتقاعد أحمد كمال قادر كوزير للدولة للأشراف على أعمار الشمال قبل تشكيل وزارة شؤون الشمال، وهو من أصدقاء الثورة والموالين لها ومن أصدقاء البارزاني الشخصيين، وكان يتميز بالأخلاص والنزاهة والطيبة وكان من الضباط الممتازين في الجيش العراقي.

احتفظ شاكر محمود شكري بحقيبة وزارة الدفاع كما كان في الوزارة السابقة عندما كان يرأسها عبدالرحمن البزاز.

ولابد لي من أن أذكر شيئاً عن شاكر محمود شكري قبل أن أدخل في موضوع زيارة عبدالرحمن عارف. كان العميد أو اللواء شاكر محمود شكري سفيراً للعراق في لندن في عهد عبدالسلام عارف وكان قبل ذلك أحد قادة الفرق أو غيرها من المناصب العسكرية، وبعد مصرع عبدالسلام عارف أصبح شقيقه عبدالرحمن عارف رئيساً للجمهورية في عملية انتخاب شكلية قام بها مجلس الدفاع الاعلى الذي كان يتكون من رئيس الوزراء والوزراء ورئيس اركان الجيش ومعاونيه وقادة الفرق وآمر موقع بغداد، وقد رشح للمنصب كل من عبدالرحمن عارف الذي كان يشغل منصب رئاسة أركان الجيش وعبدالعزيز العقيلي وزير الدفاع وعبدالرحمن البزاز رئيس الوزراء فحصل كل من البزاز وعارف على أصوات متساوية وحصل العقيلي على صوته فقط. وأخيراً

انسحب البزاز من الانتخاب (أو أجبر على الانسحاب) وأصبح عبدالرحمن عارف رئيساً للجمهورية.

كلف عارف البزاز بتشكيل الوزارة الجديدة فأختار شاكر محمود شكري لأشغال منصب وزير الدفاع بدلاً من العقيلي. وما أن اذيع نبأ تشكيل الوزارة الجديدة وبلغ شكري بذلك، حتى قام بالقاء التصريحات قبل ترك مقر عمله وقال بأنه سيتولى وزارة الدفاع وسيقضي على (التمرد الكُردي) بأسرع وقت ممكن!!، فباشر مهام عمله وبعد أيام بدأت الحملة العسكرية بالهجوم على جبل هندرين في بداية شهر مايس من سنة ١٩٦٦ والتي باءت بفشل ذريع في معركة هندرين الشهيرة كما أشرت اليها سابقاً.

قام شاكر محمود شكري بزيارة البارزاني في بداية شهر تشرين الاول سنة ١٩٦٦ أي بعد استلامه وزارة الدفاع بأقل من ستة أشهر وبعد هزيمة الجيش في معركة هندرين بأقل من خمسة أشهر فالتقى البارزاني في الثالث من تشرين الاول حسبما أعتقد في منطقة (برسرين) الواقعة على طريق هاملتن وبحضور لجنة السلام العليا.

كنت قبل ذلك أي في شهر ايلول في بغداد وقد كلفني المحامي زيد أحمد عثمان -ابن خالتي- بنقل شخصين فرنسيين الى منطقة الثورة بناءً على توصية وصلته من كامران بدرخان من پاريس. كان الشخصان هما (جان براديبه) الشاب الذي كان ينوي أن يقيم عدة أشهر في كُردستان وذلك لنيته في أعداد بحث ودراسة خاصة حول كُردستان ولتأليف كتاب في هذا الموضوع، وكذلك الآنسة فرنسواز بورسان الطالبة في كلية الطب والتي رافقته للبقاء في كُردستان بضعة أيام. ولم يكن من السهل نقل الاجانب وهنالك نقاط تفتيش كثيرة في طريق الوصول الى المنطقة المحررة التي كانت تحت سلطة قيادة الثورة، ذهبنا في اليوم التالي لزيارة رئيس الوزراء ناجي طالب لمناقشة بعض الأمور وفي نهاية اللقاء بينت له بأن لي ضيفين فرنسيين وهما من أصدقاء شقيقي عمر الذي كان يتابع دراسته في پاريس، وهما ينويان زيارتي في كُردستان ويحتاجان الى وثيقة عدم تعرض للسفر، فأتصل رئيس الوزراء بمدير الاستخبارات العقيد الركن شفيق الدراجي الذي هيأ لهما الاوراق المطلوبة، ثم رافقاني الى كُردستان وبعد أن مكثنا في أربيل يوماً واحداً سافرنا معاً الى

منطقة گلاله وبعد يومين اردت العودة الى أربيل ولمناقشة بعض الأمور ارتؤي سفري الى بغداد، وعادت معي الطالبة الفرنسية بعد ان قابلت البارزاني والمسؤولين الآخرين، وقد أهدى لها البارزاني بعض المصنوعات اليدوية الكُردية، وعند وصولنا مصيف صلاح الدين توقفنا لتناول الطعام وصلتني مكالمة هاتفية من أربيل من صديقي نافذ حلال الذي كان عضواً معي في لجنة السلام العليا يخبرني بزيارة وزير الدفاع للمنطقة في اليوم التالي، وطلب مني العودة الى منطقة القيادة وأنه سيرافق الوفد في اليوم التالي، فأضطررت للعودة وتركت الفتاة في صلاح الدين بعد أن حجزت لها غرفة في فندق المصايف وأوصيت بتوفير كل ماتحتاجه، وعدت الى المنطقة حيث تم اللقاء في اليوم التالي، وكان وزير الدفاع سعيداً جداً بتلك الزيارة وذلك الترحيب، وقد أهداه البارزاني هدية مناسبة. وقد نقل الوزير رغبة رئيس الجمهورية عبدالرحمن عارف في زيارته للبارزاني الذي ابدى ترحيباً بهذه الزيارة.

عدت في مساء ذلك اليوم الى مصيف صلاح الدين بعد انتهاء زيارة وزير الدفاع، وثم الى أربيل، وذهبت وبرفقتي الضيفة الفرنسية واسمها (فرانسواز) الى دارنا وقدمت لها زوجتي زياً نسائياً كُردياً وبعض المصوغات الفضية، وفي اليوم التالي سافرنا الى بغداد حيث عادت الى فرنسا جواً، أما (جان براديبه) فقد ظلّ في كُردستان لأكثر من ستة أشهر.

قضيت في بغداد عدة أيام وكانت السلطة تجري الاستعدادات اللازمة لزيارة رئيس الجمهورية الى كُردستان.

نوقش موضع اللقاء وكانت رغبة قادة الجيش ان يجري في منطقة قريبة من مناطق نفوذهم في سهل رواندوز الا اننا ابدينا اصرارنا على موقع آخر أقرب الى قواتنا وقد تم الاتفاق على موقع مناسب ونصب الخيام وكانت الحراسة مشتركة مكونة من الجنود وأفراد الپيشمه ركه الذين وقفوا جنباً الى جنب دون أية حساسية أو شعور بالكراهية. وكان يرافق رئيس الجمهورية الى جانب بعض الوزراء والقادة العسكريين عدد من الشخصيات الكُردية والعربية كان من بينهم السادة بابا علي الشيخ محمود وفؤاد عارف والوزير أحمد كمال قادر وهم من أصدقاء البارزاني الشخصيين وكذلك الشيخ ناظم العاصي من رؤساء عشيرة العبيد الذي امتاز بتدينه وطيبته وكان صديقاً لكل من رئيس

الجمهورية والبارزاني وكذلك الحاج شاكر الدوري وغيرهم، وبعد التعانق وتبادل كلمات الترحيب والمجاملة ابدى الطرفان الرغبة في حل المشاكل بالطرق السلمية والاخوية وتنفيذ بنود بيان البزاز الصادر في ٢٩ حزيران، وأعتقد بأن عبدالرحمن عارف كان صادقاً في رغبته وذا نوايا سليمة ولكنه كان طيباً لدرجة لم يكن له أية سلطة حقيقية أو قدرة على رفض رغبة العسكريين، وبعد تناول الطعام دارت احاديث عامة مختلفة في جو ودّي، ثم وجه رئيس الجمهورية الدعوة للبارزاني لزيارة بغداد الذي قبلها شاكراً، ثم غادر الضيوف عائدين الى بغداد ورجعنا نحن الى مقر القيادة في ناوپردان.

عندما عدنا الى مقر القيادة جرى نقاش عام للزيارة فأبدى البارزاني ارتياحه وقال بأنه لم يكن لديه أدنى شك في حسن نية رئيس الجمهورية وطيبته ورغبته السلمية ولكنني لم أكن استبعد احتمال نية بعض الضباط للقيام بمؤامرة للأطاحة برئيسهم واستغلال ذلك الاجتماع، ونكون نحن ايضاً من الضحايا.

وتأكيداً لحسن نوايا عبدالرحمن عارف روى لي صديقي اللواء الركن كمال مصطفى الذي كان رئيساً للجنة العليا للسلام آنذاك أنه في أحدى الجلسات كانت القضية الكُردية موضوع النقاش وكان هنالك بعض المناوشات مع المنشقين المدعمين من بعض ضباط الجيش، قال أحدهم من العسكريين بضرورة تأجيج هذا الخلاف وان الذي يقتل نتيجة ذلك هو الكُردي، قال اللواء كمال بأن رئيس الجمهورية قد نهر ذلك الشخص وقال بأن ذلك (حرام واننا جميعاً مسلمون وأخوان).

اللقاء مع السفير التركي في بغداد

كانت ثورة ايلول بالرغم من طابعها الكُردي وتبنيها المطاليب المشروعة للشعب الكُردي، فقد كانت حريصة في الوقت نفسه على مطاليب الشعب العراقي بصورة عامة، ولا يخفي بأنها قد رفعت شعار (الديمقراطية للعراق) الى جانب شعارها في (الحكم الذاتي للكورد)، وفي كل حوار أجرته قيادة الثورة مع الحكومات العراقية المتعاقبة كانت حقوق التركمان والآشوريين من جملة مطاليبها.

وعلى الصعيد الخارجي، فقد حرصت قيادة الثورة والبارزاني شخصياً على بناء علاقات صداقة وحسن جوار مع الدول الاقليمية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لتلك الدول والاحترام المتبادل معها، وكان البارزاني حريصاً على تجنب كل مايسيء الى هذه العلاقات لذا كانت الحالة على حدود الدول الاقليمية المحاذية لكُردستان العراق تتميز بالهدوء والاستقرار، حيث قَلت الحوادث أو أنعدمت تقريباً، حتى أن حوادث التهريب قد قلّت جداً علماً بأن مثل هذه الحوادث على الحدود بين الدول المجاورة جارية في جميع أنحاء العالم.

كانت تركيا من جملة هذه الدول وساد منطقة الحدود معها جو من الهدوء بعيداً عن الحوادث والمشاكل ولا أظن بأن المسؤولين الاتراك ينكرون هذا الجانب، وقد أشار الى ذلك السيد سليمان ديميريل نفسه سنة ١٩٩٢ عند زيارتنا له مع السيد مسعود البارزاني وكان السيد ديميريل رئيساً للوزراء في النصف الثاني من عقد الستينيات من القرن الماضي.

كانت علاقاتنا مع بعض قادة التركمان وشخصياته علاقات صداقة وذات يوم في أواخر سنة ١٩٦٦ وبينما كنا نافذ جلال وأنا في بغداد بصفتنا أعضاء في اللجنة العليا للسلام اتصل بنا السيد (عزالدين قوجوة) وهو من الأخوة التركمان ومن تجار كركوك ولنا معرفة سابقة معه وأخبرنا بأن السفير التركي

في بغداد وأسمه (بهاء كارتاي) يرغب في لقائنا والتعارف معنا، فأبدينا سرورنا واستعدادنا لذلك.

وفي مساء اليوم التالي اقام دعوة عشاء لنا في دار شقيقه المرحوم (بهاءالدين) الواقعة في حيّ السعدون حضرها بالأضافة الى السفير التركي العميد التركماني (عبدالله عبدالرحمن) ونافذ جلال وأنا عن الثورة الكُردية، وبعد التعارف جرى النقاش حول الاوضاع في المنطقة وتحدثنا عن حرص قيادة الثورة والبارزاني على حسن العلاقات مع الجارة تركيا ومحافظتنا على الهدوء على حدودها وكذلك العلاقات الودية مع الأخوة التركمان، فأبدى السفير سروره لذلك ووعد بنقل هذه المعلومات الى حكومته، كما وقدر بأيجابية حرص قيادة الثورة والبارزاني على استمرار ذلك الهدوء ومنع وقوع المشاكل، وقد أيد كل من العميد الركن عبدالله عبدالرحمن وعزالدين قوجوه ما ذكرناه، وهكذا انتهت تلك المقابلة.

المؤتمر السابع للحزب

مّر على عقد المؤتمر السادس زهاء السنتين والنصف وكان المؤتمر قد عقد في ظروف خاصة ومعقدة انشق فيها جميع اعضاء اللجنة المركزية تقريباً عن الحزب ومعهم عدد كبير من الكوادر والاعضاء ولاشك بأن ذلك الانشقاق قد أثر سلباً على الحزب وعلى الثورة. وقد استغرق رصّ الصفوف واعادة بناء الحزب وتنظيماته وقتاً وجهود كبيرتين.

كان البارزاني من أكثر الناس حرصاً على رص الصفوف وتوحيد الشعب الكُردي وتسخير كل الجهود لخدمة الثورة لذلك فقد أعلن العفو عن المنشقين سنة ١٩٦٥ ودعاهم للعودة وخدمة الثورة واوكل اليهم مهمات عديدة دون أي تفريق وقد عاد الجميع وخدموا في صفوف الثورة، الا ان قيادتهم سرعان ما اجرت الاتصالات السرية مع السلطة المركزية وفي كانون الثاني من سنة ١٩٦٦ انتهى بها المقام في كنف السلطة، وقد تخلف عن ذلك بعض القياديين ولم يوافقوا على تلك الخطوة أمثال نوري صديق شاوه يس وعلي عبدالله عضوي المكتب السياسي للمنشقين ونوري أحمد طه عضو اللجنة المركزية وغيرهم. وكان صالح اليوسفي يعمل في مؤسسات الثورة الا انه كان قد جمّد نشاطه الحزبي آنذاك عند حدوث الانشقاق.

كان من الضروري عقد مؤتمر جديد للحزب للنظر في وضع اولئك الذين فضلوا البقاء في صفوف الثورة والحزب، وكذلك عدد كبير من الاعضاء والكوادر التي كانت تؤيد المنشقين وأخذوا يعيدون النظر في مواقفهم بعد هذه الخطوة، ولما كان الوضع دقيقاً والقتال مستمراً فلم يكن بالأمكان عقد هذا المؤتمر، الا انه بعد اتفاق التاسع والعشرين من حزيران سنة ١٩٦٦ وتجدد هذه الاوضاع تقرر عقد المؤتمر السابع في ١٩٦٦/١١/١٥.

عقد المؤتمر في گلاله في تلك الظروف حيث صادق على بيان البزاز وتقرر اعادة عدد كبير من الاعضاء والكوادر والقياديين الى صفوف الحزب فأعيد كل من نوري شاوه يس وعلي عبدالله وصالح اليوسفي الى صفوفه وانتخبوا أعضاء في اللجنة المركزية فالمكتب السياسي وكذلك الآخرون، وأخذ الحزب طابعاً وزخماً جديدين ورصّ صفوفه وأصبح أكثر قوة وتنظيماً من السابق.

زيارة ادريس البارزاني لبغداد

بمناسبة حلول عيد الفطر في شهر كانون الثاني سنة ١٩٦٧ على ما أعتقد تقرر قيام ادريس البارزاني بزيارة بغداد لتقديم التهاني لرئيس الجمهورية بمناسبة العيد نيابةً عن والده، ورافقناه نحن، نافذ جلال وأنا كأعضاء في لجنة السلام وكان السيد حبيب محمد كريم سكرتير الحزب آنذاك متواجداً في بغداد وكذلك صالح اليوسفي عضو المكتب السياسي للحزب ومسؤول الفرع الخامس (فرع بغداد)، وصلنا بغداد وحللنا ضيوفاً على الحكومة في أحدى دور الضيافة في السعدون وكانت تدعي بـ(القصر الاخضر) وعبارة عن دار اعتيادية تحتوي على اربعة أو خمسة غرف نوم وصالتين اعتياديتين. قمنا بزيارة رئيس الجمهورية وكذلك رئيس الوزراء وبعض الوزراء، وقد قوبلت تلك الزيارة والتي بعدها في عيد الاضحى التي قام بها مسعود البارزاني بكل حفاوة وترحاب وأقيمت الولائم والدعوات من قبل الشخصيات العراقية العربية والكُردية في بغداد وخارجها غير الدعوات الرسمية، وقد أصبحت تلك الولائم شبه تظاهرة وأحدثت ضجة كبيرة في جميع الأوساط واثبتت تلك الاجتماعات مقدار التأييد والتعاون من الشعب العراقي للثورة الكُردية ولشخص البارزاني بالذات، وقد أثارت تلك الولائم غيرة بعض الاوساط وخاصةً العسكرية.

اجرينا في تلك الزيارات عدة لقاءات مع رئيس الجمهورية وفي احداها طلب منه الأخ ادريس السماح له بالسفر الى كربلاء والنجف الاشرف لزيارة العتبات المقدسة وزيارة المرجع الديني الامام السيد محسن الحكيم، فتجهم وجه عارف وقال بأن تلك الزيارة سوف تستغل من قبل الطائفيين، وبعد اصرارنا ابدى الرئيس عارف رضاه وأمر بأتخاذ الاجراءات اللازمة للحراسة والنقل والضيافة، كان الرجل يرغب في حل جميع الامور بسلام وهدوء.

كان الأمام السيد محسن الحكيم تربطه علاقات طيبة مع البارزاني بالرغم من عدم اجراء أي لقاء بينهما، وكانا يتراسلان في بعض الاحيان. وسبق أن أصدر فتوى شرعية في عهد حكم عبدالسلام عارف حرّم فيها محاربة الكُرد،

وكانت له مواقف مشرفة ومؤيدة للثورة الكُردية وللبارزاني.

ذهبنا لأداء الزيارة وكذلك زيارة الأمام الحكيم وكانت له صدى ووقعاً كبيرين في نفوس اخوتنا الشيعة والعراقيين بصورة عامة. وكنت قد طلبت من الأخ ادريس ان يرتدي الزي الشعبي الكُردي لكي يكون أكثر ظهوراً وبروزاً بين الحاضرين وأكثر جلباً للأنظار. وكان ذلك مصدر رضا وأستحسان البارزاني لدى عودتنا.

وبعد أكثر من أسبوع قضيناه بهذه اللقاءات المفيدة قفلنا راجعين الى منطقتنا وكانت الزيارة ناجحة وموفقة جداً رافقتها تغطية اعلامية كبيرة.

زيارة مسعود البارزاني لبغداد

مضت الايام بصورة اعتيادية بعد عودتنا وحل عيد الاضحى المبارك وكان ذلك في آذار سنة ١٩٦٧ على ما أعتقد، فقرر البارزاني ايفاد نجله مسعود الى بغداد لتقديم التهاني لرئيس الجمهورية عبدالرحمن عارف وقد وصل الأخ مسعود اربيل يرافقه صالح اليوسفي والتحقت بهم هناك، اما نافذ جلال فلم يتمكن من مرافقتنا لأنشغاله ببعض الأمور العائلية الخاصة والتحق بنا بعد يومين أو ثلاثة، وقد وصلنا بغداد مساء اليوم نفسه وحللنا في القصر الاخضر ايضاً.

وبعد زيارة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء في اليوم التالي اجرينا اللقاءات مع بعض المسؤولين الآخرين وأقيمت الولائم ايضاً من قبل الشخصيات والاصدقاء. ثم ذهبنا لزيارة العتبات المقدسة وشخص الامام الحكيم وقد قدم له مسعود رسالة من البارزاني ونسخة من المصحف الشريف مهداة من قبله، وكان يرافقنا شقيق مسعود والذي اسمه نهاد وكان آنذاك طفلاً في السابعة من عمره، وبعد أن تعرف عليه الأمام الحكيم قبّله وقدم له قطعة ذهبية عبارة عن ليرة عثمانية.

بعد عودتنا ذهبنا لزيارة المرحوم كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي والشخصية الوطنية العراقية الشهيرة، وكنا مسعود وصالح اليوسفي وأنا خلال تلك الزيارة، فرحّب بنا كثيراً وجرى الحديث عن الوضع في العراق وغياب الديمقراطية وابدى سروره لرفع الثورة شعار الديمقراطية للعراق، وبينما كنا جالسين في غرفة الاستقبال ونواصل الحديث نهض الجادرجي فجأة وترك الغرفة وذهب الى الغرفة المجاورة التي كانت عبارة عن مكتبة، وبعد دقيقتين أو ثلاثة عاد الى الغرفة ثانيةً مستأنفاً الحديث، ويظهر بأنه شعر ببعض الآلام في ذلك الوقت وزرق نفسه بالدواء المخصوص كعادته حيث أنه كان صماباً بمرض قلبي الذي أودى بحياته بعد سنتين أو ثلاث من تلك الزيارة، ودعنا السيد الجادرجي ورجعنا الى محل اقامتنا، وذهبنا مساءً الى دار الطبيب الدكتور كاظم شبر حيث تناولنا طعام العشاء، وفي طريق

عودتنا اوقف السيد صالح اليوسفي سيارته امام باب أحدى العمارات في شارع السعدون، فترجلنا ودخلنا إحدى الشقق وكان فيها المرحوم المهندس شوكت عقراوي والذي كان راقداً في فراشه بعد أن كانت قد أجريت له عملية جراحية وبعد معاودته والمكوث بضع دقائق غادرنا الشقة للعودة الى مقر اقامتنا في القصر الأخضر (في السعدون أو العلوية).

وفي مساء اليوم التالي، اقام السيد مسعود البارزاني حفلة استقبال وعشاء كبرى في فندق بغداد حضرها عدد كبير من الوزراء والعسكريين والشخصيات العربية والكُردية وكذلك ممثلو التيارات السياسية المختلفة وكان رئيس الوزراء ناجي طالب مدعواً ايضاً الى تلك الحفلة لكنه لم يحضر شخصياً وأرسل مدير مكتبه للأعتذار والحضور نيابةً عنه، وفي نهاية الحفل عندما اردنا تسديد قائمة الحساب اذا بمدير مكتب رئيس الوزراء يقول بأن السيد رئيس الوزراء يرجو أن تكون الحفلة على نفقته (نفقة الوزارة) وبعد أخذ وردّ أصر الموما اليه وقال بأنه ليس بأمكانه مخالفة أوامر رئيس الوزراء ونتيجة ذلك الاصرار وافقنا على ذلك.

وكانت لتلك الحفلة صدىً كبيراً في اوساط بغداد لأنها ضمت جميع التيارات والشخصيات الموالية أو المعارضة على السواء حيث لم يجر مثل ذلك الاجتماع منذ سنوات.

بدأنا نتهيأ للسفر والعودة الى كُردستان، وكان الشيخ ناظم العاصي من رؤساء عشيرة العبيد قد اتفق معنا ووعدناه بزيارة قريته في حويجة قرب كركوك في طريق عودتنا. كان الشيخ ناظم رجلاً متديناً وشخصاً طيباً يحب الخير والسلام وكان صديقاً شخصياً للزعيم الراحل مصطفى البارزاني، وكذلك لرئيس الجمهورية، وكان صَريحاً وجريئاً يقول ما يؤمن به ويعتقد فيه، له قول مأثور في البارزاني الراحل فيقول:«بأن ملا مصطفى هو قطعة شرف من قمة رأسه الى أخمص قدميه»، وكان دائماً محل تقدير وأحترام عند البارزاني لصدقه وصراحته -رحمه الله-.

غادرنا بغداد في الصباح الباكر سالكين طريق سامراء وتكريت لنعبر دجلة ونصل الحويجة حوالي الظهر، وكان معنا الشاعر الكبير المرحوم (هه ژار) وكذلك أحد الاطباء الكُرد الايرانيين الدكتور حسن حسامي الذي كان يقيم في

المانيا الديمقراطية وجاء عن طريق بغداد لزيارة البارزاني.

كان الشيخ ناظم رجلاً كريماً فأقام مأدبة غداء كبرى حضرها جمع غفير من الأئمة الاكراد ورجال الدين من كركوك وبعض الشخصيات. وقد سرّ المرحوم الشيخ ناظم بتلك الزيارة كثيراً وكان واقفاً بين ايدينا يخدم الضيوف.

وبعد ذلك غادرنا مضيف الشيخ ناظم شاكرين ووصلنا اربيل مساءً، وقد حللنا في دارنا التي كانت تقع في محلة العرب (استولت مديرية الاستخبارات على تلك الدار واستعملتها كمقر لها لحين انتفاضة آذار ١٩٩١)، ثم جاء السيد عبدالمنعم المصرف متصرف (محافظ) أربيل لزيارة مسعود وأصّر على الانتقال لداره وتناول العشاء هناك، وفي الصباح التالي وبعد أن قمنا بزيارة المتصرف في ديوان المتصرفية رجعنا عائدين الى منطقتنا.

ابدى البارزاني سروره ورضاه لنجاح تلك الزيارة والتي سبقتها وقام بها ادريس، وكنت قد طلبت من الأخ مسعود ايضاً بأن يرتدي الزي الكُردي لدى زيارتنا للعتبات المقدسة والامام الحكيم كما كنت قد أوصيت ادريس بذلك.

نكسة حزيران ١٩٦٧

مرت الايام وكانت العلاقات بين قيادة الثورة والسلطة المركزية في مدّ وجزر ولكنها اتسمت بصورة عامة بالهدوء النسبي عدا وقوع حوادث فردية هنا وهناك كان بالأمكان معالجتها وكذلك بعض المناوشات احياناً مع المنشقين. وكانت سياسة الوزارة التي كان يرأسها السيد ناجي طالب بعيدة عن العنف رغم انها لم تتمكن من حّل المسائل الرئيسية.

وبعد مرور أقل من سنة على تشكيل تلك الوزارة اراد بعض العسكريين وخاصةً الضباط المسيطرون على القصر الجمهوري استبدالها بأخرى أكثر انقياداً لها، وان هؤلاء الضباط المتنفذين كانوا من أمثال العقيد الركن ابراهيم عبدالرحمن الداود آمر لواء الحرس الجمهوري والمقدم الركن عبدالرزاق النايف معاون مدير الاستخبارات العسكرية والمقدم سعدون غيدان آمر كتيبة دبابات الحرس الجمهوري والعميد سعيد صليبي آمر موقع بغداد والعميد صعب الحردان آمر الانضباط العسكري والآخرين من ذوي النفوذ، واستعملوا نفوذهم على الرئيس عبدالرحمن عارف الذي أقتنع برأيهم أو بالأحرى قد أذعن لهم، فطلب من رئيس الوزراء ناجي طالب تقديم استقالته، وصادف أن كنا أنا والمرحوم نافذ جلال في بغداد لقضاء بعض المسائل والأمور المتعلقة بشؤون الثورة الكُردية بصفتنا أعضاء في اللجنة العليا للسلام، وفي أحدى زياراتنا للسيد رجب عبدالمجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية في تلك الاثناء أبدى امتعاضه من تدخل الضباط في أمور الحكومة وطلب تغيير الوزارة، وقال بالحرف الواحد: «يا أخوان هذا حكم عصابات وليس حكم دولة»!!.

وكان رجب عبدالمجيد -كما أشرت سابقاً- من أوائل الضباط الاحرار وكان انساناً نزيهاً وجدياً بالرغم من أسلوبه في التعامل، وقد علمت أنه قد انتقل الى جوار ربه مؤخراً -رحمه الله-.

دعانا في تلك الفترة -أي نافذ جلال وأنا- العميد الركن عبدالغني الراوي لتناول الطعام معه في ظهيرة أحد الايام في مطعم المطعم في شارع السعدون، كان العميد الركن عبدالغني الراوي من الضباط الاحرار النشطين وكان له

أدوار في الانقلابات المتعاقبة منذ الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨، وقد أصبح وزيراً للزراعة بعد أنقلاب الثامن من شباط سنة ١٩٦٣ وكان رجلاً متديناً ونزيهاً وأصبح من أصدقاء الثورة الكُردية فيما بعد، وأثناء تناول الطعام ذكر بأنه مكّلف من قبل الرئيس عارف بتأليف الوزارة وطلب منا الاشتراك معه في تلك الوزارة، وقد أبدينا له شكرنا على ذلك ولكنا ابلغناه بأننا منتسبان الى الثورة الكُردية وعليه مفاتحة البارزاني وقيادة الثورة الكُردية لتنسيب من يرونه مناسباً للأشتراك في الوزارة، وبعد يومين أو ثلاثة علمنا بأن الاتفاق لم يجر بين الضباط على تشكيل الوزارة فقرّ رأي عارف على تأليف الوزارة ورئاستها بنفسه وتعيين نواب للرئيس يمثلون تركيبة الشعب العراقي.

فوتح السيد بابا علي الشيخ محمود الحفيد بالأشتراك في الحكومة بصفة نائب رئيس للوزارة كممثل للشعب الكُردي فأعتذر عن ذلك، وكنا مدعوين مساء أحد أيام شهر مايس سنة ١٩٦٧ في دار المرحوم محمد قاسم الذي كان يدير فندق صلاح الدين في مصيف صلاح الدين –مقر المكتب السياسي الحالي للحزب الديمقراطي الكُردستاني– وكان من اصدقائنا، وقد حضر الوليمة التي اقامها تكريماً لنا كل من السادة بابا علي الشيخ محمود الحفيد وزيد أحمد عثمان وفؤاد عارف وعبدالمنعم المصرف محافظ اربيل والعميد الركن كمال مصطفى رئيس اللجنة العليا للسلام والعميد الركن زكي حسين حلمي قائد الفرقة الاولى والشيخ علي الشعلان رئيس عشيرة الخزاعل في الديوانية وآخرين لا تخطر اسمائهم على بالي، وكان بابا علي يروي لنا قصة استدعائه من قبل رئيس الجمهورية للأشتراك في الوزارة وأعتذاره، وفجأة رنّ جرس الباب وكان الطارق المهندس احسان شيرزاد الذي قال بأنه قد استدعي الى القصر الجمهوري مع السيد فؤاد عارف وبعد أن غادر السيد فؤاد الدار، سمعنا بعد حوالي ساعة من نشرة الأخبار بأن الوزارة قد شكلّت برئاسة عبدالرحمن عارف رئيس الجمهورية وضمت أربعة نواب للرئيس هم الفريق طاهر يحيى والعميد الركن عبدالغني الراوي واسماعيل مصطفى (وهو من الشيعة) وفؤاد عارف (وهو كُردي) وجميعهم من العسكريين، وأشترك في الوزارة عدد من ضباط الجيش والمدنيين وكان المهندس أحسان شيرزاد الذي عين وزيراً للبلديات –حسبما اعتقد– أحدهم، كان ذلك في النصف الأول من شهر مايس من سنة ١٩٦٧، وبدأ الجو بالتوتر شيئاً فشيئاً بين مصر التي كان

يرأسها جمال عبدالناصر وبين اسرائيل، وزاد التوتر في النصف الثاني من ذلك الشهر وأخذت طبول الحرب تدق، وبدأ الطرفان المعنيان بتحشيد قواتهما، وكذلك بدأت بذلك كل من سوريا والمملكة الاردنية الهاشمية، وبلغ التوتر أوجه عندما قامت قوات الرئيس عبدالناصر بغلق مضائق تيران، وأخذت القوات العراقية تستعد للأشتراك في المعارك فيما لو وقعت، وكانت طريقة تعبئة تلك القوات وتحركها بدائية جداً وتظاهرية وأعلامية أكثر من كونها عسكرية ووفق خطط حربية أو لأجل المشاركة في معركة حربية.

كنا في منطقة «گلاله» منطقة قيادة الثورة عندما علمنا بنبأ نية وفد عسكري كبير زيارة البارزاني صبيحة الخامس من حزيران من العام ١٩٦٧ وقد استقبل الوفد في مركز ناحية گلاله من قبل البارزاني وقادة الحزب والثورة، وكان الوفد يضم اللواء الركن ابراهيم فيصل الانصاري قائد الفرقة الثانية واللواء الركن فاضل عباس حلمي والعميد الركن زكي حسين حلمي قائد الفرقة الاولى والعميد الركن كمال مصطفى رئيس اللجنة العليا للسلام والعميد الركن عبدالمنعم المصرف متصرف لواء أربيل وعدد آخر من الضباط.

وحضر مع الوفد الشيخ ناظم العاصي من رؤساء عشيرة العبيد بصفته من أصدقاء البارزاني وقد تحدث الوفد عن الظروف الحالية والتوتر الناجم بين مصر والدول العربية من جهة وبين اسرائيل من جهة اخرى، ونية الجيش العراقي في الاشتراك في المعارك المضمونة النتائج –حسب قول العسكريين–. وكان الضباط العراقيون يقصدون من تلك الزيارة تأمين جانب البارزاني والثورة الكُردية ليتفرغ الجيش للمعركة المصيرية –حسب قولهم– ولم يكن البارزاني في يوم من الايام يحاول استغلال مثل تلك الظروف ولم يكن من الذين يخشى جانبهم في مثل تلك الاحوال، بل كان شخصاً وطنياً يقدر مصالح الشعب العراقي بقدر ماكان حريصاً على مصالح الشعب الكُردي، ولكنه كان انساناً واقعياً بعيد النظر يفهم دقائق مثل تلك الأمور ويقدر قدرة الجيش العراقي والجيوش العربية ويقارنها بتقدم الجيش الاسرائيلي وخاصةً من الناحية التكنولوجية، فتحدث مع الضباط وحاول اقناعهم بأن الوقت غير مؤات بعد وأن الظروف غير ملائمة وطلب منهم الذهاب الى رئيس الجمهورية ومحادثة الرئيس عبدالناصر لثنيه عن الدخول في أية معركة ضد اسرائيل في

الوقت الحاضر وتجنيب الدول العربية كارثة محققة، فردّ الضباط بأسلوبهم العسكري المعروف والذي يتغلب عليه روح الغرور والثقة الفارغة بقدرة الجيوش العربية، ووضحوا للبارزاني بأن مصر تمتلك أسلحة متطورة وحديثة جداً وتمتلك الصواريخ بعيدة المدى من أمثال «ظافر» و«قاهر»، فأشر البارزاني الى المسدس المشدود بجنبه وقال: بأن هذا مسدس عندما يتمكن الشخص من استعماله ليدافع به عن نفسه، ولكنه عبارة عن قطعة من الحديد عند عدم استعماله وقت الحاجة. واستمر في حديثه قائلاً: بأن الاسلحة المتطورة والحديثة بحاجة الى من يتمكن من استعمالها، وأن الجيوش العربية لم تبلغ تلك الدرجة من التقدم والكفاءة بعد فأرجو عدم توريط هذه الجيوش في أية معركة لكي لاتقع الكارثة المحتمة.

وبينما كان الجميع منشغلين بذلك النقاش والحديث وردت برقية للضباط من رئاسة اركان الجيش العراقي تفيد بأن المعركة قد بدأت وعليهم العودة فوراً، فقال البارزاني: لقد جئتم بعد فوات الأوان وستقع الكارثة التي نبهتكم عنها ومع هذا سأعمم برقية على جميع وحدات الپيشمه ركه بأيقاف جميع العمليات ضد الجيش أن وجدت وفسح المجال كاملاً أمامه للمساهمة في المعارك التي ستكون خاسرة مع الأسف.

وهكذا رأينا وبعد ساعات تدمير القوات الجوية للدول العربية المحيطة بأسرائيل بصورة كاملة وحل ما حّل بالجيوش العربية واحتلت شبه جزيرة سيناء والضفة الغربية كاملةً وهضبة جولان والتي لازالت الدول العربية ومنذ أكثر من ثلاثين سنة تطالب بالأنسحاب عنها وعن مقدسات المسلمين دون جدوى وتتمنى أن تتفاوض وتتصالح اسرائيل معها، وأذكر بهذه المناسبة زيارة الحبيب بورقيبة زعيم تونس الراحل للأردن وقيامه بزيارة الضفة الغربية التي كانت تابعة لها سنة ١٩٦٥ أي قبل النكسة بحوالي العامين، حيث القى كلمة في مدينة (أريحا) ونادى بقبول قرارات هيئة الأمم المتحدة فيما يتعلق بفلسطين والقبول بقرار التقسيم فقامت قيامة العرب وخاصةً المتطرفين منهم وأتهموه بالعمالة والجاسوسية والنعوت الاخرى ونادوا بتحرير فلسطين وتدمير اسرائيل وغيرها، وبعد مضي أقل من سنتين شاهدنا ما حل بفلسطين وبالجيوش العربية، والآن وبعد مضي سبع وثلاثين عاماً على خطاب بورقيبة يطالب

الفلسطينيون انفسهم بما ورد فيه ويقدمون يومياً عشرات الضحايا والشهداء من أجل تحقيق ذلك.

وقد صادفت اللواء الركن ابراهيم فيصل الانصاري بعد تلك النكسة وبعد زيارته تلك فأقرّ بأن توقعات البارزاني كانت صحيحة وكان يعلم حقيقة الجيوش العربية وعدم استعداد دولها لدخول المعركة في ذلك الوقت.

وبعد أقل من أربعة اسابيع من نكسة فلسطين استقالت وزارة عبدالرحمن عارف رئيس الجمهورية والتي لم تبق أكثر من شهرين في الحكم وأنيط تشكيلها بالفريق طاهر يحيى نائب رئيس الوزراء في الوزارة السابقة واستحدثت لأول مرة وزارة شؤون الشمال التي انيطت بالعميد عبدالفتاح سعيد الشالي وهو كُردي من محافظة السليمانية.

وكان الفريق طاهر يحيى عندما كان نائباً لرئيس الوزارة السابقة التي رأسها الرئيس عبدالرحمن عارف قد قام بزيارة خاطفة لمصر في الرابع من حزيران سنة ١٩٦٧ وعاد في صباح اليوم التالي وكان يودع في مطار القاهرة صباح يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ عندما شنت اسرائيل هجومها وقد نجا من الموت بأعجوبة.

اجتماع القصر الجمهوري

بعد نكسة حزيران زاد تذمر شعوب البلاد العربية والسّخط على حكامها وأصبحت أنظمة عربية كثيرة مهددة ومعرضة للتغيير، وظهرت آثار الهزيمة بوضوح وكانت الوجوه تعكس تلك الهزيمة، وكان بعض الأنظمة العربية في تخبط مستمر للتغلب على النكسة وازالة آثارها وعار الهزيمة، فكانت تخطو بعض الخطوات غير المدروسة في أحيان كثيرة، وكان العراق من جملة تلك الانظمة، وبعد أشهر من النكسة ولا اتذكر التأريخ ولكنني أعتقد بأنه كان في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٦٧ وكنا نافذ جلال وأنا في بغداد وكنا مقيمين في أحد الفنادق في شارع أبي نؤاس وكنا في غرفتنا عندما رنّ جرس الهاتف وعند رفعي السماعة كان على الطرف الثاني من الخط المرحوم د. سالم الحيدري (وهو غير الطبيب الاخصائي في أمراض النساء ولكنهما يحملان نفس الأسم وينتميان الى أسرة واحدة) وهو من اصدقائي القدماء ومن أهالي أربيل من الاسرة الحيدرية المعروفة وكان يشغل أحد المناصب في وزارة الزراعة، وأخبرني بأنه يتحدث من القصر الجمهوري وأن رئيس الجمهورية يطلب حضوري لأمر خاص، وقد أخبرته بوجوب الاتصال بي من قبل أحد الموظفين الرسميين في القصر رغم صداقتي له. وثم اقفلت الهاتف، ورويت الموضوع للأخ نافذ جلال، وكنا قبل ذلك بيوم أو يومين في القصر الجمهوري والتقينا بالرئيس عارف وأخبرنا بأنه يريد أن يحملنا رسالة خطية خاصة الى البارزاني قبل عودتنا، فكان في اعتقادنا -نافذ وأنا- بأن الرئيس عارف يقصد من حضوري تسليمي الرسالة المذكورة، وعاد جرس الهاتف الى الرنين مرة اخرى ولما رفعت السماعة كان المقدم الركن عبدالرزاق العبيدي سكرتير رئيس الجمهورية على الخط وأخبرني بأن الرئيس قد طلب حضوري القصر مساء اليوم المذكور -لا اتذكر الساعة بالتحديد-، فذهبت الى القصر في الوقت المحدد واستقبلني أحد موظفي التشريفات وقادني الى الصالة الكبيرة المخصصة للأستقبال ولما دخلت دهشت لما رأيت، حيث شاهدت عدداً غفيراً من الحاضرين ومن صنوف مختلفة بينهم عدد من رؤساء المرتزقة الكُرد وكذلك

بعض المنشقين وغيرهم من مختلف الميول والاتجاهات، وأسرع نحوي المرحوم سالم الحيدري، ولما لاحظ اندهاشي اخبرني بأن الرئيس عارف قد جمع هذا العدد للتشاور معهم والانتفاع من رأيهم حول الخطوات الضرورية الواجب اتخاذها بعد النكسة، فنهضت من مقعدي وأخبرته بأني لا أشارك في مثل هذه الاجتماعات وتوجهت نحو الباب مغادراً فتبعني الحيدري وعند الباب صادفت رئيس الجمهورية يدخل الصالة ومعه بعض المرافقين فسلّم عليَّ ومضى في طريقه، وعند ملاحظة المقدم الركن عبدالرزاق العبيدي بأنني في طريق مغادرتي عاد فأستفسر عن السبب، فأجبته بأنني أنتمي الى الثورة الكُردية فأذا كان القصد من حضوري هو اشراك الثورة الكُردية في هذا الاجتماع فعليهم أن يتصلوا بقيادة الثورة لأستطلاع رأيها وفيما اذا كانت توافق على الحضور أم لا؟ واذا كان الغرض هو حضوري بصفة شخصية فأنني لن أشارك في مثل هذه الاجتماعات، وطلبت منه أن ينقل ذلك الرأي الى السيد رئيس الجمهورية وغادرت مسرعاً تاركاً أياه والدكتور سالم الحيدري مبهوتين.

وعدت الى الفندق مباشرةً ورويت ما حدث لزميلي نافذ جلال فضحك ثم غادرنا معاً الى مقر جريدة (التآخي) وكان كل من السادة حبيب محمد كريم سكرتير الحزب وصالح اليوسفي عضو المكتب السياسي ومسؤول فرع بغداد متواجدان هناك وروينا الحكاية لهما فأستحسنا ما قمت به وأيدا الموقف الذي اتخذته، وكان حبيب محمد كريم يعود في اليوم التالي الى كُردستان والى منطقة قيادة الثورة، وعند عودته نقل ماحدث للبارزاني الذي ابدى سروره لموقفي واستحسنه كثيراً، وعند عودتي الى المنطقة ومقابلتي للزعيم الراحل البارزاني قال لي: انني سررت كثيراً لذلك الموقف الذي وقفته.

ثم علمنا بأن أجتماع القصر ذلك لم يؤد الى نتيجة وكان الفشل مصيره كالخطوات الاخرى.

وقبل أن أختم هذه الذكريات وأنتقل الى ذكريات أحداث أخرى ومنها انقلاب السابع عشر من تموز سنة ١٩٦٨ لابد لي أن أشير الى وقوع بعض الاحداث المحلية اما نتيجة تحركات بعض المرتزقة أو تصرفات بعض العسكريين وكانت تقع بين حين وآخر بعض المناوشات ونقوم بحلّها بجهود لجنة السلام وتجاوب البارزاني مع تلك اللجنة وحرصه الشديد على عملية السلام،

وكان يصادف وقوع خسائر بين افراد الپيشمه ركه نتيجة تلك المناوشات من أصابة بعضهم بجروح أو استشهاد البعض الآخر، ولابد أن أشيد بدور بعض أصحابي من الاطباء في منطقة أربيل الذين كانوا يجازفون بحياتهم أو حريتهم نتيجة استعدادهم للسفر معنا الى اماكن حدوث المناوشات ومواجهة المخاطر لتداوي الجرحى والمصابين واذكر منهم الاطباء عبدالرزاق الدباغ وآگوب نيشان وخالد اسماعيل دزه يي ومحمد شيخو ومحمد دزه يي (سه ر سوور) وخورشيد ابراهيم دزه يي، حيث ادوا ذلك الواجب القومي والوطني مشكورين، وقد توفي بعضهم -رحمهم الله- أما الاحياء فأمدّ الله من عمرهم.

انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ وقصة استيزاري

ذكرت بأن الفريق طاهر يحيى قد تولّى رئاسة الوزارة بعد مضي شهر واحد على هزيمة حزيران ١٩٦٧ بعد أن كان نائباً لرئيس الوزراء في وزارة الرئيس عبدالرحمن عارف، وكان طاهر يحيى -والحق يقال- متواضعاً ويريد السلام والهدوء في العراق ولم يكن يرغب -وخاصةً في أيام وزارته الاخيرة- في أستعمال العنف بل حلّ القضية الكُردية بالطرق السلمية بالرغم من أنه لم يخط خطوات ايجابية كثيرة بهذا الخصوص، أو لم يكن مطلق اليدين تماماً وخاصةً من قبل العسكريين، وقد قام يحيى خلال توليه رئاسة الوزارة الاخيرة التي دامت سنة واحدة وبضعة أيام بزيارة البارزاني مرتين وكان في كل زيارة يبدو أكثر تصميماً على المضي في طريق السلام، وفي زيارته الاخيرة للبارزاني والتي حضرتها أنا -كما حضرت الزيارة السابقة- أختلى لبعض الوقت بالبارزاني بعد مناقشة الأمور المتعلقة ببيان البزاز الصادر في ٢٩ حزيران سنة ١٩٦٦ ثم غادر المنطقة عائداً الى بغداد وعدنا أنا ونافذ جلال بعد ذلك بيوم واحد الى أربيل بعد أن ناقشنا نتائج الزيارة في المكتبين السياسي والتنفيذي وبحضور البارزاني، كانت تلك الزيارة الاخيرة في أواخر شهر نيسان أو أوائل شهر مايس، وبعد أيام عاد المرحوم صالح اليوسفي من منطقة قيادة الثورة ماراً بأربيل وحّل ضيفاً في داري وتناول طعام الغذاء ليكمل سفره من بعد الظهر الى بغداد، وكان اليوسفي يحمل رسالة شخصية من البارزاني الى طاهر يحيى وفيها يرشحني انا للأشتراك في الوزارة عند تعديلها، أخبرني بذلك الشهيد اليوسفي، فقد كان الفريق طاهر يحيى قد اخبر البارزاني بنيته في أجراء تعديل في وزارته وطلب منه أن يرشح شخصاً لتولي منصب وزارة شؤون الشمال الذي كان يتولاها فتاح سعيد الشالي والذي كان قد استقال من منصبه.

وبعد يوم أو يومين من مغادرة اليوسفي لأربيل حررّت رسالة للبارزاني وشكرته على ترشيحه وحسن ظنه بي وعبرت عن اعتذاري لقبول هذا المنصب خوفاً من عدم قيام الحكومة بالأيفاء بتعهداتها فيما يتعلق بالقضية الكُردية

فسأكون في ذلك الوقت في موقف حرج وأضطر الى الاستقالة، ولم استلم جواباً من البارزاني رغم مرور اسابيع، فحررت رسالة أخرى موجهة الى الأخوان ادريس ومسعود البارزاني موضحاً نفس الموضوع وراجياً منهما عرض الأمر على البارزاني، وأرسلت الرسالة الاولى والثانية مباشرةً وبيد مرافقي عمر قادر، ولكني لم استلم جواباً على رسالتي الثانية ايضاً، وبعد مرور بضعة أيام ذهبت شخصياً الى مقر البارزاني وقابلته فتحدثنا عن موضوع الترشيح فأصر على ضرورة قبولي ذلك، وقال بأنه يعتقد بعدم جدية الوزارة أو وجود النية في حلّ القضية الكُردية، ولكنه لايريد أن تبدأ القطيعة من جانبنا، وقال بأنه متى ما رأينا من المصلحة انسحابك من الوزارة فسوف نخبرك بذلك، فأقتنعت بقوله.

وبعد أن زرت مقر المكتب السياسي وناقشت بعض الأمور مع زملائي عدت الى أربيل دون أن أتطرق الى موضوع الرسالة والترشيح وقد أخبرت الاخوة هناك بأنني سوف اتغيب عن مدينة أربيل لبعض الوقت لكي أتفرغ للأشراف على أمورنا الزراعية، فكنا في شهر حزيران وعلى أبواب موسم الحصاد، وكنت قد أخبرت الاخوان ادريس ومسعود البارزاني بذلك وذكرت بأنني سوف أكون متواجداً في القرى العائدة لنا فيما لو طرأ أي أمر يقتضي حضوري.

ذهبت الى قرية (جانة) في كنديناوه والتي كانت العشائر العربية قد أخلتها بناءً على طلب البارزاني ذلك من الحكومة، وكانت تلك العشائر قد احتلت زهاء ثلاثين قرية في منطقة كنديناوة بعد استئناف القتال في حزيران سنة ١٩٦٣ ومن جملتها قريتنا (جانه)، وتتمتع هذه القرى بخصوبة اراضيها وانها تقع جميعاً في منطقة ثرية بمخزون النفط وفي بعضها آبار جاهزة. وفي أحدى تلك القرى وهي قرية (دربند ساره لو) قرب الضفة الغربية لنهر الزاب الصغير، يقع أكبر بئر للنفط في العالم حيث يبلغ انتاجه اليومي (مائة ألف برميل)[١٠]، وبعد قضائنا حوالي الاسبوع الواحد أكملنا جمع المحاصيل وتم بيعها وتسويقها ثم غادرنا القرية المذكورة، وكان الفلاحون من أهالي القرية قد عادوا اليها بعد حوالي خمس سنوات واعادوا بناء دورهم وبدأوا بالأنشغال بالأمور الزراعية مجدداً.

ومما يؤسف له بأن مسألة التعريب كانت فكرة قديمة تراود اذهان العنصريين

ومتى ما كانت الفرصة مؤاتية فأن الانظمة الشوفينية حاولت أن تطبق هذه السياسة، فبعد انقلاب الثامن من شباط سنة ١٩٦٣ قامت السلطات بتعريب القرى الكُردية الواقعة غربي مدينة كركوك وهُجر منها سكانها الكُرد. وبعد استئناف القتال من قبل سلطات الانقلاب في العاشر من حزيران من العام نفسه، قامت هذه السلطات بتعريب القسم الاعظم والأهم من منطقة كنديناوه التابعة لقضاء مخمور من محافظة أربيل وأخرج منها ساكنوها الاصليون من الكُرد ولم يتم تخلية هذه القرى الا في خريف سنة ١٩٦٧ بعد الحاح شديد من الزعيم الراحل البارزاني وتهديده السلطات بأن هذه العشائر العربية الساكنة في تلك القرى سوف تُخرج بالقوة في حالة عدم اخلائها.

واستمرت هذه السياسة وأخذت بالتوسع خاصةً بعد نكسة ١٩٧٥ أي بعد اتفاقية الجزائر، فشملت مناطق عديدة حتى الجبلية منها، ورغم ان بعض هذه المناطق قد تم تطهيرها من التعريب بعد الانتفاضة المجيدة في آذار سنة ١٩٩١ الا ان هذه السياسة مستمرة ويجري يومياً تهجير العشرات من العوائل الكُردية من مناطق سكناها الاصلية، ولا أشك في أن هؤلاء سيعودون الى ديارهم في يوم من الايام وأن هذه السياسة ستبوء بالفشل لامحالة ولا أعلم لماذا تقوم هذه السلطات بلوم اسرائيل في احتلال الاراضي العربية وتهجير سكانها وهي تقوم في نفس الوقت بأعمال أبشع منها ؟!!.

أعود الى موضوعنا الاصلي، فبعد الانتهاء من الحصاد في قرية جانة وبعد استراحة وفترة لبضعة أيام، انتقلنا الى قرية (هيلاوه) التابعة لناحية مركز أربيل أي (قوشتپه) والواقعة على مسافة أكثر من ثلاثين كيلومتراً جنوبي غربي مدينة أربيل وقضينا هناك زهاء اسبوع واحد قضيناه في دار الحاج محمد مولود من اتباعنا القدماء والمقربين لنا والذي كان يشتهر بالمرح والنوادر، وهو -رحمه الله- معروف بين أهالي المنطقة، وأنهينا الحصاد ايضاً في تلك القرية وعدنا الى قرية (دوگردكان) مسقط رأسنا ومحل اقامتنا في عهد الطفولة والشباب، ولما كانت دورنا السكنية ودار الضيافة (المضيف) العائدة لنا قد هُدمت واشعلت فيها النيران سنة ١٩٦٣ فأن آثارها وخرائبها كانت ماتزال بادية للعيان فقد حللنا ضيوفاً في دار صديقنا الوفي (كوخا سمايل كوخا أحمد) والذي ندعوه تحبباً كما يدعوه سكان القرية بـ(كاكه سمه)

والذي كان ولايزال من انصار الپارتي (الحزب الديمقراطي الكُردستاني) وكان من أفراد الپيشمه ركَه في سنة ١٩٦٣-١٩٦٤ «كنت آنذاك مع حوالي أثني عشر شخصاً من أفراد الپيشمه ركَه الذين رافقوني اضافةً الى العمال الزراعيين وسائقي المكائن الزراعية، حيث بلغ عددنا أكثر من عشرين شخصاً» -كنا في ذلك الوقت في العاشر أو الحادي عشر من شهر تموز سنة ١٩٦٨- وبعد أجراء عملية الحصاد والخزن وغيرها من الأمور الزراعية انهينا العمل في اليوم السابع عشر من تموز من ذلك العام.

وفي الصباح الباكر من اليوم السابع عشر من تموز كنا قد استيقظنا من النوم تواً واذا بأحد باعة مادة ملح الطعام والذي كان واقفاً أمام أحدى الدور القريبة بسيارته المحملة بالملح ينادي بأعلى صوته بوقوع انقلاب ويطلب الاستماع لإذاعة بغداد، وأسرعنا نحو أجهزة المذياع فاذا ببيانات الانقلاب تبث الواحد تلو الآخر، وكان قد وصل القرية مساء اليوم السابق للإنقلاب إبن عمي المرحوم (حسين علي خورشيد دزه يي) وذلك لزيارتنا والبقاء معنا لبضعة أيام لتسليتنا وكذلك لنقل المعلومات لنا عن الاوضاع في مدينة أربيل وأطلاعنا عليها.

كان في نية الفريق طاهر يحيى القيام بالتعديل الوزاري بعد الانتهاء من احتفالات الذكرى العاشرة لثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ وكان من المقرر أن يكون اعلان التعديل الوزاري في مساء اليوم السابع عشر أو الثامن عشر من تموز، الا ان الانقلاب قد حال دون ذلك.

كانت البيانات المذاعة والاجراءات المتخذة تتّسم بالأعتدال في باديء الامر وكنا نسمع الكلمات نفسها احياناً من الضباط المقربين لرئيس الجمهورية من أمثال عبدالرزاق النايف وابراهيم الداود وسعدون غيدان وكنا نعلم بأن كلمة هؤلاء هي المسموعة من قبل رئيس الجمهورية، أو انهم هم اصحاب الكلمة وكنا نسمع ذلك خلال لقاءاتنا مع هؤلاء في زياراتنا أو في المناسبات والحفلات وكذلك خلال الولائم التي اقاموها تكريماً للأخوة ادريس ومسعود البارزاني عند زيارتهم لبغداد سنة ١٩٦٧، الا اننا كنا نستبعد قيامهم بالأنقلاب وخيانة رئيس الجمهورية.

اسرعنا في ذلك اليوم في اتمام ما تبقى من أعمال خزن المحصول والتوزيع

على المستحقين وكل ما يتبع ذلك، وكنا نستمع بصورة مستمرة الى جهاز المذياع لنكون مطلعين على التطورات الجارية.

مضى الوقت كذلك وحسبما أتذكر بأنه في مساء ذلك اليوم أو في اليوم التالي، تبّين بأن لهؤلاء ضلعاً في الانقلاب أو انهم هم الانقلابيون الاصليون، ولما اذيع اسم احمد حسن البكر كرئيس جديد للجمهورية، حصلت لدينا القناعة بأن حزب البعث العربي الاشتراكي هو شريك في هذا الانقلاب.

وفي ساعة متأخرة من مساء يوم الثامن عشر من شهر تموز سنة ١٩٦٨ اعلنت اذاعة بغداد عن التشكيلة الوزارية التي تألفت برئاسة المقدم الركن عبدالرزاق النايف وشارك فيها عدد من ذوي الكفاءات، وقد ضمت بعض البعثيين من أمثال صالح مهدي عماش وأنور الحديثي وذياب العلكاوي وغيرهم وكذلك الدكتور ناصر الحاني ومحسن القزويني وغيرهما من ذوي الافكار الليبرالية، وضمت أربعة وزراء من الكُرد هم: أنا (محسن دزه يي) ممثلاً للثورة الكُردية ومن أعضائها وأنيطت بي وزارة شؤون الشمال وكذلك المهندس أحسان شيرزاد من مؤيدي الثورة الكُردية وأنيطت به وزارة البلديات أو الاشغال حسبما أتذكر، والدكتور عبدالله النقشبندي وهو رجل مستقل وكفوء في الشؤون الاقتصادية وانيطت به مهام وزارة الاقتصاد لكفاءته في هذا المضمار، وكذلك المحامي مصلح النقشبندي وكان موالياً للحكومات السابقة، ولكنه رجل طيب ومن أصدقائي السابقين وهو ابن عّم المرحوم خالد النقشبندي عضو مجلس السيادة في عهد عبدالكريم قاسم، وبصورة عامة فأن الوزارة كانت لابأس بها وفيها عدد قليل من البعثيين، وكثيرين من ذوي الخبرة والكفاءات، فبعثت ببرقية الى البارزاني وأعلمتهم بأنني سوف أتوجه الى منطقة قيادة الثورة للقائه.

وفي صباح اليوم التالي أي في التاسع عشر من شهر تموز توجهت الى أربيل ومررت على ديوان المتصرفية (المحافظة) وهناك التقيت بالمتصرف صديقنا العميد الركن عبدالمنعم المصرف وقضينا بعض الوقت نناقش الامور المستجدة ثم توجهت (ولازلت بالزي الكُردي) الى مقر اللواء الثالث حيث التقيت آمرها العقيد الركن (جلال الصالحي) ومن هناك اتصلت تلفونياً برئيس الوزراء عبدالرزاق النايف وهنأته على منصبه (الجديد وشكرته على

اشراكي في وزارته الا انني أخبرته بوجوب الحصول على موافقة البارزاني اولاً قبل الاشتراك الفعلي ورجوته أن يبعث بالسيد صالح اليوسفي مسؤول الفرع الخامس للحزب في بغداد للمداولة، وتوجهت الى منطقة قيادة الثورة والتقيت بالبارزاني الخالد فوافق على اشتراكي في الوزارة رغم عدم ثقته بالبعث، وارتأينا وصول صالح اليوسفي قادماً من بغداد للأطلاع من خلاله على الأوضاع الجديدة، وصل اليوسفي في اليوم التالي أي في العشرين من الشهر نفسه الى منطقة القيادة وتم عقد أجتماع مشترك لأعضاء المكتبين السياسي والتنفيذي في مقرهما في قرية (ناوپردان) وحضر الاجتماع البارزاني نفسه وكذلك الاخوة ادريس ومسعود «على ما أظن»، حيث تم بحث الاوضاع الجديدة مع اليوسفي الذي وصفها بأنها هادئة وطبيعية، وكذلك مقابلته لبعض مسؤولي نظام الحكم الجديد ووعودهم بأستعدادهم لحّل القضية الكُردية.

وهنا شرح البارزاني للحاضرين كيفية ترشيحي من البداية للوزارة منذ عهد الفريق طاهر يحيى وكيفية اعتذاري، ثم تكلمت أنا وأوضحت للحاضرين عدم رغبتي في الاشتراك وتحريري رسائل بذلك الى البارزاني نفسه والى الاخوة ادريس ومسعود، واني مستعد للتنازل الآن ايضاً فيما لو رغب ذلك أي فرد آخر من أعضاء المكتبين في اشغال هذا المنصب أو له أعتراض على اشتراكي، وسأرفض أي أعتراض أو انتقاد بعد ذلك. فسكت الجميع ولم يجيبوا بالأيجاب أو النفي، الا ان البارزاني أكدّ على أنه قد الحّ عليَّ في قبول ذلك رغم اعتذاري، وهنا قال المرحوم نافذ جلال بأن هذا اختيار في محله وأنه موافق على ذلك فتبعه الآخرون وأبدوا موافقتهم، رغم أن بعضهم ظهرت على وجوههم ملامح التردد وعدم الرضا.

غادرنا قرية (ناوپردان) صالح اليوسفي وأنا عائدين الى أربيل في اليوم التالي، أي في اليوم الحادي والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٦٨ بعد أن زودني البارزاني برسالة شخصية الى عبدالرزاق النايف، وبعد أن تناولنا طعام الغذاء في دارنا وغيرت ملابسي نقلتنا طائرة مروحية الى كركوك ومنها نقلتنا طائرة خاصة الى بغداد التي وصلناها مساء اليوم نفسه.

توجهت الى الفندق الذي كنت أقيم فيه سابقاً اثناء سفري الى بغداد في السنتين الاخيرتين وهناك اتصلت بوزارة شؤون الشمال ومن حسن الصدف كان

مدير المكتب الخاص للوزير متواجداً، وكان في ذلك الوقت السيد تيمور هورامي وهو من معارفي السابقين وشقيق تحسين هورامي الذي ورد ذكره في الجزء الاول من هذا الكتاب، وبعث لي السيد تيمور السيارة العائدة لوزير شؤون الشمال فذهبت الى بناية المجلس الوطني حيث كان مكتب رئيس الوزراء، فوجدت المقدم الركن عبدالرزاق النايف رئيس الوزراء هناك فدخلت عليه دون سابق موعد وتبادلنا التحية وسلمته رسالة السيد البارزاني، وكان مضمون الرسالة عبارة عن التهاني والتمنيات بالتوفيق والاشارة الى الخطوات اللازمة اتخاذها لأجل حل القضية الكُردية حلاً سلمياً وكذلك الاشارة الى تخويلي -كعضو في الوزارة وكممثل للثورة- الصلاحيات اللازمة لذلك.

وبعد تبادل الاحاديث أبدى النايف استعداد وزارته لتبني بيان البزاز الصادر في ٢٩ حزيران سنة ١٩٦٦ واتخاذ الخطوات المطلوبة لتنفيذ ذلك البيان. ثم اتصل النايف برئيس الجمهورية أحمد حسن البكر وأعلمه بوجودي فطلب البكر حضوري وقد ذهبنا معاً -على ما أتذكر- الى القصر الجمهوري، وهناك قابلت الرئيس البكر وأديت القسم القانوني أمامه كوزير لشؤون الشمال، وكانت الوزارة قد انيطت وكالةً بأحد وزراء الدولة (لوجودي خارج العراق) - كما جاء في الاخبار التي اذيعت من محطة اذاعة بغداد- مع العلم كنت في كُردستان داخل العراق كما هو واضح، وهكذا تم موضوع استيزاري واشتراكي في الوزارة الاولى بعد انقلاب السابع عشر من تموز سنة ١٩٦٨ والذي قام به ضباط الاستخبارات العسكرية وقادة وحدات الحرس الجمهوري الذين كانوا من اقرب الضباط الى الرئيس عبدالرحمن عارف وأكثر الناس اعتماداً عليهم. هذا الانقلاب الذي قدم الحكم للبعثيين كهدية على طبق من ذهب وهؤلاء الشركاء هم الذين اطاحوا بمنفذي الانقلاب بعد اسبوعين فقط من تنفيذه.

هكذا اشتركت في تلك الوزارة وانا شاب في السادسة والثلاثين من عمري وكنت أصغر الوزراء سناً. وداومت في وزارة شؤون الشمال واطلعت على تشكيلاته وبعد يوم أو يومين عقدت جلسة لمجلس الوزراء في ديوان الرئاسة في مبنى المجلس الوطني، وكان ذلك هو الاجتماع الاول وقد حضره رئيس الجمهورية البكر، وكنت أعرف عدداً من أعضاء الوزارة وتعارفنا مع الآخرين، وعند حضور البكر الذي ترأس الجلسة قدمه رئيس الوزراء النايف بكلمة

ترحيبية، ثم طلب منه أن يقدم (كلمة توجيهية) للحاضرين، فبعد كلمات المجاملة الاصولية قال البكر بالحرف الواحد: (انكم انتم الموجهون ولاحاجة لتوجيهكم). ثم ذكر كلمات مختصرة عن اداء الواجب وخدمة المواطنين وغيرها!! وقارن بين هذه الوزارة والتي سبقتها واشاد بالحاضرين وثم ختم كلمته بشكر رئيس الوزراء على دعوته لحضور الاجتماع وغادر المبنى، وبعد برهة قليلة انفض الاجتماع الاول.

وكان ذلك كذر للرماد في العيون اذ كان البعث يعمل في الخفاء وبأسلوب منظم ودقيق وبصورة سرية سريعة للأنقضاض على النايف وزمرته والانفراد بالحكم، وكان هؤلاء -أي النايف وجماعته- فريسة سهلة للبعثيين اذ لم يفكروا في المصير الاسود الذي اوقعوا فيهم أنفسهم والعراق معاً.

وفي السادس والعشرين من شهر تموز عقدت جلسة أخرى لمجلس الوزراء، وقبل ذلك بيوم واحد اتصلت بالأخ حبيب محمد كريم سكرتير الحزب والذي كان في بغداد آنئذ فحضر مساءً في ديوان الوزارة وناقشنا موضوع القضية الكُردية واسلوب حلّها، فقر رأينا على التأكيد على النقاط الواردة في بيان البزاز والمطالبة بسرعة تنفيذها، فهيأت مذكرة بذلك الى مجلس الوزراء وتم ادراجها في جدول أعمال المجلس، وطلبت فيها تشكيل لجنة وزارية لهذا الغرض وكذلك أحياء اللجنة العليا للسلام.

وفي اليوم المحدد للجلسة، حضرت في ديوان رئاسة الوزراء وثم عقد الاجتماع ونوقش جدول الاعمال ووزعت المذكرة على الحاضرين وبعد تلاوتها تكلم المرحوم الدكتور ناصر الحاني وزير الخارجية والذي كان عنصراً نشطاً في الوزارة وذا ميول ديمقراطية وليبرالية فعلّق وقال: «اذا كانت القضية بهذه السهولة كان العرب واسرائيل قد حلّوا مشاكلهم منذ مدة بعيدة!!». ثم تحدثت انا وعبرت عن أسفي لتشبيه الموضوع بما هو بين العرب واسرائيل وقلت اذا كان هذا هو نوع التفكير فلايمكن التوصل الى الحّل نهائياً، فأعتذر الحاني وقال بأنه لم يقصد ذلك.

كان الدكتور الحاني شخصاً ذكياً ومن معتمدي النايف من جهة والبعث من جهة أخرى، وكان قبل ذلك سفيراً للعراق في بيروت وكان هو حلقة التقارب بين البكر وجماعته وبين النايف وجماعته. وكان مطلعاً على الكثير من

اتصالات البعث وعلاقاته، ولديه اسرار كثيرة خافية على الآخرين، لذلك فقد اغتيل من قبل البعثيين بعد أقل من ثلاثة أشهر على سيطرتهم على الحكم وأغتيل قاتل الحاني وهو من البعثيين البارزين وأسمه أو لقبه هو (عبدالوهاب كريم) بعد ذلك بفترة قصيرة في حادث طريق مدبّر لأخفاء معالم الجريمة الاولى واخفاء الاسرار بأجمعها. ولدى التشييع الرسمي الذي جرى لجثمان عبدالوهاب كريم ونشر صورته في الجرائد شخصته ارملة الدكتور ناصر الحاني وقالت بأنه هو الشخص الذي جاء الى دارهم مساء اغتيال الحاني واقتاده الى خارج الدار بدعوى ان رئيس الجمهورية يستدعيه ويطلبه لأمر عاجل!!.

بعد مناقشة القضية الكُردية والتعليقات التي وردت للدكتور الحاني تقرر تأجيل البت في المذكرة لجلسة أخرى، ثم نوقش مقترحات وزير الداخلية صالح مهدي عماش (الذي كان من كبار البعثيين وكان وزيراً للدفاع في حكومة البكر بعد انقلاب الثامن من شباط سنة ١٩٦٣ وكذلك عند استئناف القتال ضد الثورة الكُردية في العاشر من حزيران تلك السنة)، كانت المقترحات عبارة عن تعيين متصرفين بعثيين جدد للألوية (المحافظات) وأحالة عدد من المتصرفين على التقاعد وكذلك عدد من كبار الموظفين وضباط الشرطة من الكُرد، وكان من جملة الموظفين الاداريين الكُرد بايز عزيز دزه يي متصرف السليمانية الذي نقل قبل ذلك بقليل الى أحد الألوية الجنوبية وعبدالقادر الحيدري المفتش الاداري في وزارة الداخلية وعميد الشرطة صالح حسن خوشناو مدير شرطة أحد الألوية الجنوبية، فلم نرَ أي مبرر لذلك وكانوا جميعاً من الاداريين الكفوئين ومن ضباط الشرطة المتمكنين، فعارضت هذا القرار وأيدني فيها جميع الوزراء غير البعثيين والذين كانوا يشكلون أكثرية أعضاء مجلس الوزراء، وهنا ثار صالح مهدي عماش وسحب قراره وقال بأنه سيصدر قراراً بذلك من ماكان يسمى بـ(مجلس قيادة الثورة)، وبعد أجراء المناقشات في الأمور الاخرى جاء دور الوضع المالي والاقتصادي وقدم الدكتور عبدالله النقشبندي شرحاً وافياً وأوضح الفرق بين الوضع المالي السيء للعراق وبين اقتصاديات العراق القوية، وهكذا انتهت الجلسة التي كانت هي الجلسة الاخيرة لتلك الوزارة التي رأسها النايف والتي اطاح بها البعثيون في انقلاب الثلاثين من تموز سنة ١٩٦٨.

بعد يوم أو يومين من ذلك، ذهبت الى ديوان مجلس الوزراء مستصحباً معي العقيد الركن المرحوم طه ياسين آمر اللواء الأول الذي كان مقره قريباً من بغداد وذلك لأجل التعارف ولأجل ملاحظة مغدورية الموما اليه، حيث كان من أصدقائي القدماء ومن مرافقي المرحوم الملك فيصل الثاني في وقت ما. ودخلت على النايف تاركاً طه ياسين في المكتب الخاص وبعد أن تبادلنا بعض الاحاديث ومناقشة بعض الامور المتعلقة بالثورة الكُردية ابديت له ملاحظاتي حول نشاط البعثيين واجرائهم التغييرات في المواقع العسكرية وتقريب الضباط البعثيين في المراكز الحسّاسة، فأبتسم وقال:«انهم اذا خطوا أية خطوة غير سليمة فأنهم سوف يندمون!!»، وكذلك بحثنا سبب عدم التعاون مع بعض الضباط الآخرين ايضاً واشراكهم بالحكم من الذين يتصفون بالوطنية وسمعة طيبة بين المواطنين فأجاب بأنه قد فاته ذلك.

ثم بحثت معه موضوع طه ياسين الذي كان من الضباط الاكفاء فأوعز بأدخاله واستقبله استقبالاً حسناً وأجلسه، ووعده خيراً ثم غادرت الغرفة بعد أن تركتهم منفردين وعدت الى الوزارة.

انقلاب ٣٠ تموز ١٩٦٨

بعد انتهاء الدوام الرسمي في الثلاثين من شهر تموز من العام ١٩٦٨ غادرت مبنى الوزارة وكانت الساعة قد جاوزت الثانية بعد الظهر، وكانت بناية الوزارة تقع في جانب الكرخ أما محل سكناي فكان في منطقة العلوية من جانب الرصافة وفي دار صغيرة استأجرتها بصورة مؤقتة في الفرع الذي يقابل مطعم المطعم، ولاحظت الهدوء في طريق عودتي وخلو الشوارع نسبياً بسبب حرّ بغداد الشديد في ذلك الوقت من السنة، وفي الطريق عرجت على أحد المطاعم في شارع السعدون وتناولت طعام الغداء ثم ذهبت الى داري للأستراحة والخلاص من شدة الحرّ.

وفي الساعة السادسة مساءً خرجت وذهبت الى مخزن (اورزدي باك) لأقتناء بعض الحاجيات وأثناء تجّولي في المخزن المذكور، صادفت المدعو (كوردو نوري باويل آغا) الذي كان من رؤساء المرتزقة والذي لي معرفة سابقة معه تعود الى عهد التلمذة في نهاية الاربعينيات من القرن الماضي، وكان والده المرحوم (نوري باويل آغا) قد التحق بالثورة الكُردية عند اندلاعها وتوفي في أواخر سنة ١٩٦١ أو أوائل ١٩٦٢. وبعد أن حيّاني (كوردو) قال بأنه شاهد وضعاً غير طبيعياً عند مداخل الجسور وان الدبابات تحرس تلك الجسور ويقوم الجنود بتفتيش العابرين، فلم أعر اهتماماً كبيراً لذلك وأكملت جولتي في المخزن المذكور وبعد أن أنتهيت من اقتناء ما أحتاجه غادرت المخزن وعدت الى داري بسيارة الوزارة دون أن الاحظ أية حركة غير طبيعية، وفي المساء عند الساعة الثامنة كنت أستمع للأخبار من جهاز التلفزيون فشاهدت الرئيس البكر يلقي خطاباً ويعلن عن الاطاحة بالنايف وزمرته، شركاؤهم في انقلاب السابع عشر من تموز من العام نفسه، وكان واقفاً خلفه شاب نحيل بالملابس العسكرية دون أية رتبة وبيده بندقية آلية من نوع الكلاشينكوف عرفت فيما بعد أنه صدام حسين الذي اصبح فيما بعد نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة ونائباً للأمين العام للقيادة القطرية، ورئيس الجمهورية الحالي.

بعد ذلك سمعت البيانات اللاحقة والتغييرات التي اجريت في الدولة، وبقيت في داري وكان معي كل من مرافقي عمر قادر والمرحوم علي حسين شه وباش وبعد برهة اتصلت هاتفياً بجريدة (التآخي) وتحدثت مع الشهيد صالح اليوسفي وأخبرته بأني سوف القاهم في مقر الجريدة في اليوم التالي. وحوالي الساعة التاسعة أو بعدها حضر الى داري كل من شقيقي المرحوم كاك أحمد وابن عمي هاوار ابراهيم آغا دزه يي وأبديا قلقهما على مصيري، وأبدى شقيقي استعداده لمعاونتي من الخروج من بغداد، فطمأنتهما وأخبرتهما بأنني أشك في أن يقوم الحكم الجديد بأي أجراء ضدي نظراً لعدم رغبتهم في قطع العلاقات مع قيادة الثورة الكُردية في الوقت الحاضر، وأخذ شقيقي بالتحدث عن عدم الاهتمام بالمناصب وقال بأنني انصحك نصيحة واحدة وهي: (ان لاتترك البارزاني وتبقى معه الى الاخير لأنه قد أعتمد عليك ووضع ثقته فيك)، ولما طمأنته وأبديت عدم اهتمامي بالموضوع وعدم قلقي من أي تغيير ودّعاني راجعين الى فندقهما الذي كانا يقيمان فيه، وفي اليوم التالي ذهبت الى مقر جريدة (التآخي) وهناك التقيت بالأخوة حبيب محمد كريم سكرتير الحزب الذي كان لايزال في بغداد وصالح اليوسفي مسؤول الفرع الخامس في بغداد، ولم الاحظ في طريقي أي شيء غير طبيعي وبعد مدة وعند الظهر غادرنا جميعاً مقر الجريدة على أمل اللقاء مساءً في اليوم نفسه، وعدت الى محل اقامتي وقبل الساعة السادسة مساءً وبينما كنت اتهيأ للخروج رن جرس الهاتف الخاص ولا اتذكر المتحدث وقال بأن الرئيس البكر يطلب حضوري في القصر الجمهوري، وقبل مغادرتي الدار الى جريدة (التآخي) حسب الاتفاق السابق رن جرس الهاتف الخاص للمرة الثانية وكان السيد أحسان شيرزاد الذي كان زميلاً لي في الوزارة السابقة وأخبرني بأنه قد تلّقى نداءً هاتفياً من القصر ايضاً لحضورنا القصر الجمهوري معاً واتفقنا على اللقاء في مقر جريدة (التآخي) للتشاور مع الأخوة الآخرين، فألتقينا هناك وتداولنا الأمر مع كل من حبيب محمد كريم وصالح اليوسفي وأستقر رأينا على تقديم قائمة بأربعة أو خمسة مرشحين للأشتراك في الوزارة بضمنها احسان شيرزاد وانا وكذلك صالح اليوسفي والعميد رؤوف أحمد قادر واللواء مجيد علي[١١] ولامانع من أختيار اسماء أربع من هذه القائمة، ثم توجهنا احسان شيرزاد وأنا الى القصر الجمهوري وبعد لقاء الرئيس البكر والنقاش معه شرح اسباب قيامهم بهذه

الحركة وحسبما قال انهم قد اضطروا في البداية للتعاون مع هؤلاء حرصاً على نجاح الثورة ومصلحتها وانهم ارادوا الآن تصفيتها من العملاء!!، وطلب البكر اشتراكنا في الوزارة الجديدة ولما عرضنا عليه قائمة المرشحين ابدى اعتراضه على الاسماء وطلب مشاركتي واحسان شيرزاد فقط فعارضنا ذلك وطلبنا وجوب اشتراك اربعة وزراء في الحكومة وبعد ذلك طلب من عندنا الانتظار عند السكرتير ريثما يقضي بعض الأمور الاخرى ويتشاور مع رفاقه، وكان مرتدياً الزيّ العسكري ويحمل رتبة عميد في الجيش.

وجلسنا في الغرفة المجاورة الخاصة بمدير مكتب الرئيس وكان حماد شهاب وسعدون غيدان وآخرين موجودين، وكانت الحركة دائبة ويتوافد المرشحون للأشتراك في الوزارة والمبعدين عنها من البعثيين. وهناك التقينا بحماد شهاب وعبدالخالق السامرائي والدكتور جواد هاشم وكان هذا الاخير قد حضر مع حقيبته الدبلوماسية وملابس أنيقة كأن اشتراكه في الوزارة كانت مضمونة. فتحدثنا مع كل من حماد شهاب -الذي كنت أعرفه سابقاً- وعبدالخالق السامرائي الذي تعارفنا هناك وكان يرتدي ملابس بسيطة عبارة عن قميص صيفي ذو اردان قصيرة وسروال (بنطلون) وكان هادئاً ومتواضعاً جداً، اما حماد شهاب فكان حديثه كحديث شخص ريفي بسيط وبأسلوب عشائري والّح كثيراً علينا للأشتراك في الوزارة، اما نحن فقد بقينا مصّرين على موقفنا وشروطنا وبعد انتظار أكثر من ساعة استدعانا البكر مرة ثانية وناقشنا الموضوع وأخيراً تنازلنا عن القائمة كلها وطلبنا اشراك ثلاثة وزراء هم صالح اليوسفي واحسان شيرزاد وأنا، فأخبرنا البكر بأنه سوف يتحدث مع رفاقه وكانت الساعة تقارب الحادية عشر ليلاً وقال بأن التشكيل سوف يؤجل الى اليوم التالي، فتركنا القصر الجمهوري وعاد كل منا الى داره، وفي الساعة الثانية عشر عند منتصف الليلة اعلنت الاذاعة عن تشكيل الوزارة الجديدة التي تضمنت اسمي وأسم أحسان شيرزاد وكذلك طه محي الدين معروف بالنسبة للكُرد، وكانت الوزارة قد ترأسها رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر بنفسه نظراً لظهور الخلاف بين كل من حردان التكريتي وصالح مهدي عماش اذ أراد كل من هذين المتنافسين ترؤس الوزارة وحسم البكر ذلك الخلاف بتلك الطريقة.

اتصلت بكل من حبيب محمد كريم وصالح اليوسفي فتقرر أن نلتقي جميعاً في مقر جريدة (التآخي) ومعنا احسان شيرزاد للمداولة، وكان موعد اداء اليمين القانونية عصراً فبحثنا الموضوع وحصلت لدينا القناعة بأن طه محي الدين معروف هو مرشح من قبل المنشقين الذين لازالوا يدعون بأنهم هم الحزب الديمقراطي الكُردستاني!!، ولم نكن نعترف بهم كقوة سياسة بل كجماعة موالية للحكومات المتعاقبة منذ لجوئهم اليها في كانون الثاني سنة ١٩٦٦، ولما كنا غير مستعدين للأشتراك في أي عمل يكونون هم أحد أطرافه فقد اتفقنا على تبليغ الجانب الحكومي بذلك وعدم حضور حفل اداء اليمين القانونية عند رفض وجهة نظرنا.

اتصلت بالقصر الجمهوري فذهبت انا الى هناك حيث التقيت بالبكر في غرفته منفرداً فبحثت الأمر معه وتكلّم عن اسباب عدم اشراك اليوسفي في الوزارة والذي كان على اتصال مع البعث قبل مجيئهم للحكم وأبدى عدة اسباب واهية ولما بحث موضوع طه محي الدين معروف وكونه مرشح المنشقين نهض من مكانه ووجه لي سؤالاً وقال: هل أنت مسلم؟!! فأجبته: الحمدلله، فمّد يده لنسخة من الكتاب الكريم الذي أمامه على المنضدة وأقسم بأنه لم يكن يعرف ذلك، ثم انتهى اللقاء دون التوصل الى أي حل وتركت الغرفة، وفي غرفة السكرتير وجدت حماد شهاب الذي اجلسني واستفسر عن سبب عدم اشتراكنا، فلما ذكرت له موضوع طه محي الدين أقسم هو ايضاً بعدم معرفته بذلك وقال أنه هو الذي قد رشحه وذلك لأنه عند سفره الى لندن قدم له طه محي الدين الذي كان دبلوماسياً في السفارة العراقية خدمات جليلة، وقال بالحرف الواحد (لما كنت في لندن خدمني كثيراً)!!. اما عبدالخالق السامرائي فكان يتحدث بأسلوب آخر كشخص حريص على المصلحة العامة ويؤكد على وجوب حلّ القضية الكُردية بالطرق السلمية. تركت القصر ولم نحضر مراسم اداء القسم القانوني لا احسان شيرزاد ولا انا، ولابد من الاشارة بأن أحداً لم يعين لأشغال مناصبنا الوزارية بل بقيت شاغرة وثم نسب وزيران آخران وكالةً للقيام بأعمالنا ولم يكونا من الكُرد تجنباً لأية حساسية.

بعد اسبوع واحد دعانا الرئيس البكر مساء أحد الايام لتناول طعام العشاء معه ومرت الجلسة بهدوء وكان صدام حسين حاضراً وشخص أو أثنين آخرين لا أتذكر اسميهما وقد أكد البكر على العلاقات معنا وتأكيده على حّل القضية

الكُردية وكرر طلبه في اشتراكنا فشكرناه واعتذرنا لعدم امكان قبول ذلك، وكان صدام حسين ساكتاً وهادئاً طيلة الوقت وجالساً جنب البكر، وتركنا القصر بعد انتهاء الدعوة.

وبعد أكثر من ثلاثة اسابيع وكنا لانزال نعامل معاملة الوزراء فلم تسحب السيارات ولا التلفونات الخاصة، اتصل بي هاتفياً المرحوم عبدالكريم الشيخلي الذي كان وزيراً للخارجية فذهبت للقائه في ديوان الوزارة وهناك أخذ يتحدث عن نفسه ودوره وكثرة أعماله وكرر الطلب بالأشتراك معهم في الوزارة خدمةً للمصلحة العامة، فأكدت له رأي حزبنا الديمقراطي الكُردستاني وشرحت له بأن القبول بشروطنا دليل رغبة النظام في حل القضية الكُردية.

ولدى خروجي أخبرتني مديرة المكتب الخاص لوزير الخارجية بأن الدكتور ناصر الحاني قد طلبني هاتفياً، وبعد أن كلمته اتفقنا على قيامي بزيارته في دائرته في القصر الجمهوري اذ كان قد عين رئيساً لديوان رئاسة الجمهورية، وعند اللقاء به لاحظت بأنه كان غير راض عن موقعه الجديد فكان تعيينه شكلياً في ذلك المنصب، وأعلمني بأنه عند وقوع انقلاب ٣٠ تموز كان مختفياً في دار الاستاذ محمد علي مصطفى رئيس المفتشين في وزارة التربية الذي هو رجل مسّن وكُردي من أشهر اساتذة الرياضيات في العراق، ومن هناك اتصل برئيس الجمهورية وعاتبه على القيام بأنقلاب ٣٠ تموز فعينه البكر مؤقتاً في ذلك المنصب الى أن أغتيل بعد مدة وجيزة كما ذكرت. وكان اللقاء فقط للمجاملة وابداء عدم الرضا من الوضع الجديد.

وفي أحد الايام، اتصلت هاتفياً بالفريق حردان التكريتي وزير الدفاع في الحكومة الجديدة، وبعد تبادل كلمات المجاملة طلبت موعدا للقائه، فرحب بذلك واستقبلني في اليوم نفسه بحرارة بالغة وكان المرحوم فيصل حبيب الخيزران حاضراً في مكتبه فأبدى مجاملة كبيرة وحملني تحياته للبارزاني وأبدى بصورة غير مباشرة رغبته في التعاون وفي حل القضية الكُردية بصورة سلمية ولاحظت بأنه غير راضٍ من الوضع الجديد ومن سيطرة شباب الحزب على مؤسسات الدولة والتدخل في شؤون وزارة الدفاع.

وكان فيصل حبيب الخيزران يسايره في حديثه ويؤيد آرائه وسمعته وهو جالس على مقعد بجانب منضدته يقول له أنه يؤيده ومعه في جميع خطواته، وأثناء وجودي رنّ جرس الهاتف وبعد تبادل بعض الكلمات تبين بأن اللواء

الركن ابراهيم فيصل الانصاري رئيس اركان الجيش كان على الطرف الآخر من الخط فأخبره التكريتي بوجودي وقال له الانصاري بأنه يريد أن يلقاني نظراً لوجود معرفة سابقة بيننا فذكرت بأنني سوف أذهب الى غرفته بعد انتهاء ذلك اللقاء، وعند مغادرتي مكتب وزير الدفاع مررت على الانصاري الذي كان يشغل غرفة مجاورة لغرفة وزير الدفاع. فرحب بيَّ كثيراً وأبدى حيرته من أمره لعدم وجود صلاحيات له أذ ان مكتب الشؤون العسكرية لحزب البعث العربي الاشتراكي هو الذي يدير أمور وزارة الدفاع، وقد مكثت عنده فترة قصيرة ثم ودعته بعدها وغادرت الوزارة.

وبعد مرور أقل من شهرين علمت بأنه قد أعتقل مع بعض الضباط الآخرين من اصدقائي بينهم صديقي الحميم اللواء الركن كمال مصطفى قائد الفرقة الخامسة -رئيس اللجنة العليا للسلام في عهد عارف- واللواء الركن زكي حسين حلمي قائد الفرقة الاولى والعميد الركن طه ياسين آمر اللواء الاول، وبعد بقائهم أشهراً عديدة رهن الاعتقال دون قيامهم بأي عمل ضد السلطة أطلق سراحهم وأحيلوا جميعاً على التقاعد، وقد التحق فيما بعد كل من اللواء الركن كمال مصطفى والعميد الركن طه ياسين بالثورة الكُردية، أما اللواء الركن زكي حسين حلمي فقد عين مديراً عاماً للموانيء العراقية ثم توفي سنة ١٩٧٠ على أثر نوبة قلبية عند زيارة صدام حسين له في داره فجأة في البصرة.

كان الفريق حردان التكريتي يحاول قدر الامكان التودد الى الثورة الكُردية وقائدها البارزاني، ففي شهر كانون الثاني من سنة ١٩٦٩ أصيب المرحوم الشيخ أحمد البارزاني الزعيم الروحي لعشائر بارزان والشقيق الأكبر للبارزاني بمرض عضال نقل على أثره الى بغداد حيث وافاه الاجل، وكان لهذا الانسان العظيم منزلة كبيرة عند الكُرد بصورة عامة وعند البارزاني بصورة خاصة فكان موضع احترام وتبجيل عظيمين لديه، وتركت وفاة هذه الشخصية الكبيرة أثراً مؤلماً في نفس كل من عرفه وذلك لخصاله الحميدة وسمو اخلاقه ونزاهته وعدله واستقامته، وقد قام الفريق التكريتي بأبداء التسهيلات الممكنة وهيأ طائرة مروحية خاصة لنقل جثمانه الطاهر من بغداد الى بارزان، كان ذلك العمل محل شكر وتقدير كبيرين عند البارزاني الراحل، ففي بداية المفاوضات حول اتفاق الحادي عشر من اذار ١٩٧٠ وعند سفر وفدنا الى بغداد في

الاسبوع الثاني من شهر كانون الثاني العام ١٩٧٠ أوصاني البارزاني بنقل تحياته وشكره الى الفريق التكريتي على ذلك العمل، وقمت بذلك فعلاً عند لقائنا في أحدى الجلسات وانفرادي به.

كنا في نهاية شهر آب أو أوائل شهر ايلول من تلك السنة حين التقينا (احسان شيرزاد وأنا) وبعد مناقشة الوضع ودراسة الأمور لاحظنا بأننا لازلنا نتمتع بأمتيازات الوزير وأن رواتبنا قد أعدت في الوزارة -رغم عدم استلامنا لها- لذلك قرّ رأينا على تقديم استقالاتنا والطلب رسمياً من رئيس الجمهورية قبول الاستقالة من الوزارة. وقد قدمنا طلباً مشتركاً وبأسلوب معقول ومعتدل الى الرئيس أحمد حسن البكر بينا فيها قناعتنا بعدم وجود الرغبة الجدية للنظام في حّل القضية الكُردية وقابلنا البكر وقدمنا له كتاب الاستقالة وقال بأنه سيدرسها مع قيادة الحزب وغادرناه ولم نستلم أي جواب على طلبنا ولم يبت في الامر لحين توقيع اتفاقية الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧٠.

كنت الاحظ بعد ذلك بأن رجال الأمن والمخابرات يرصدون تحركاتي ويتبعوني اينما ذهبت ولكن دون أي أعتراض أو اعاقة لتحركاتي ودون أي تدخل في أموري، وكنا في منتصف شهر ايلول أو النصف الثاني منه حين وصلني خبر نية قيادة الثورة الكُردية في عقد اجتماع لمجلس قيادة الثورة الكُردية لمناقشة الاوضاع الراهنة والتطورات الجديدة خاصةً بعد المعارك العنيفة التي دارت في منطقة (گه رميان) بمحافظة كركوك ضد المنشقين تساندهم قوات الحكومة بصورة غير مباشرة وبعد أن أصيب اولئك بهزام نكراء، ولما كنت عضواً في ذلك المجلس وفي المكتب التنفيذي المنبعث عنه كنت أرغب في الاشتراك في الاجتماعات المذكورة ولكني قد ترددت في ذلك لتوقعي منعي من الخروج من بغداد، فحررت رسالة بهذا المعنى الى الأخ ادريس البارزاني وذكرت له تحفظاتي وبينت بأنني سوف أغادر بغداد في أول فرصة ممكنة وأحاول الاشتراك في اجتماع مجلس قيادة الثورة الكُردية المنوي عقده قريباً وبعثت الرسالة مع المرحوم علي حسين شه وباش احد مرافقي آنذاك والذي كان يرافقني مع عمر قادر في بغداد.

زيارة ممثل الرئيس ديغول لكُردستان

كنت اتردد خلال السنتين الاخيرتين على نادي الجمعية البغدادية في محلة الصليخ ببغداد، وكان نادياً جميلاً وهادئاً يديره جمع من الشباب المثقف بضمنهم رفعت كامل الجادرجي ومحمود أحمد عثمان (ابن خالتي وصديق الصفولة) وغيرهما من اصحاب الشهادات العالية والمثقفين، ويتردد على ذلك النادي خيرة القوم.

في أواخر شهر آب أو أوائل ايلول من سنة ١٩٦٨ أتصل بي صديقي وأبن خالتي المحامي زيد أحمد عثمان هاتفياً عندما كنت في الدار وأخبرني بأنه يريد لقائي فذهبت الى داره وجلسنا سوية بوجود شخص أجنبي فأخبرني بأنه قد استلم رسالة من الشخصية الكُردية المعروفة الدكتور كامران بدرخان وهو استاذ اللغة الكُردية في أحدى جامعات باريس، وقال بأن بدرخان قد بعث اليه بهذا الشخص الفرنسي ويريد أن يساعده لأيصاله الى كُردستان ومقابلة البارزاني. وقدم لي الشخص المذكور على أنه (برنارد دوران) ويعمل موظفاً دبلوماسياً في وزارة الخارجية الفرنسية وهو مبعوث شخصي للرئيس الفرنسي شارل ديغول وذلك للأطلاع شخصياً على حقيقة الاوضاع في كُردستان، وكان الرئيس ديغول مهتماً بقضايا الشعوب التي تكافح لنيل حقوقها وحريتها، كما وأرسل مبعوثاً آخر الى بيافرا (نيجيريا) لهذا الغرض، وقد طلب مني زيد العمل لأجل تسهيل ايصال الشخص المذكور الى كُردستان وقال بأن محل اقامته في مقر جمعية الشبان المسيحيين في الباب الشرقي ومساءً ذهبنا معاً وبعد برهة قصيرة انصرف زيد الى موعد آخر وذهبنا معاً الى الجمعية البغدادية وتناولنا هناك طعام العشاء ولقيت الرجل مطلعاً اطلاعاً واسعاً ودبلوماسياً قديراً وبعد تفكير طويل رأيت من المخاطرة في مثل تلك الظروف ايصال مثل ذلك الشخص الذي جاء لذلك الغرض الهام وقد نصحته بأن يسافر الى طهران وهناك يلتقي بممثل الثورة ويكون ارساله الى كُردستان بسهولة وقد زودته برسالة شخصية الى ممثلنا هناك السيد شمس الدين المفتي وهو من اصدقائي القدماء وبرسالة أخرى الى البارزاني، وأعتقد أنه كان يحمل رسالة أخرى من الدكتور بدرخان الى البارزاني، وقد سافر المسيو (دوران) في اليوم

التالي وهناك التقى بالمفتي حسب العنوان الذي زودته به ومن هناك سافر الى كُردستان.

التقى (دوران) بالبارزاني وحّل ضيفاً عنده وأمضى هناك حسبما أعلم بضعة اسابيع، ولكن عند عودتي الى كُردستان في شهر تشرين الاول كان قد غادر ولم أراه ثانيةً الا في صيف سنة ١٩٧٤، علمت بأنه بعد عودته الى باريس قد قدم تقريراً مفصلاً وايجابياً جداً الى الجنرال شارل ديغول.

في نيسان ١٩٧٤ سافر وفد كُردي ضم سامي عبدالرحمن وأنا الى خارج كُردستان للأتصال بالأمم المتحدة والولايات المتحدة والدول الأوروبية وسأذكر تفاصيل تلك الزيارة فيما بعد عند البحث في عودة القتال سنة ١٩٧٤ لكني اورد هنا مايتعلق بفرنسا وبرنارد دوران مبعوث الرئيس شارل ديغول، فبعد العودة من الولايات المتحدة وزيارة الأمم المتحدة سافرنا سامي عبدالرحمن وأنا الى فرنسا وبعد اجراء الاتصال ببعض الاحزاب والمنظمات والصحف اقام لنا الصحفي الشهير (اريك رولو) الذي كان يعمل في جريدة (لوموند) الفرنسية مأدبة عشاء في داره حضره جمع كبير من الصحفيين والشخصيات السياسية وكذلك بعض المسؤولين وقان بترتيب بعض المقابلات التلفزيونية، وفي أحد اللقاءات مع الامير الكُردي كامران بدرخان ورد ذكر المسيو (دوران) الذي كان قد أصبح سفيراً لفرنسا في طوكيو، ومن حسن الصدف انه كان متواجداً آنذاك في باريس في اجازة خاصة وأتصل به بدرخان وتواعد معه في اليوم التالي، ولما كنا على موعد آخر مع وزارة الخارجية في هولندا ذلك اليوم فقد سافر سامي عبدالرحمن وبقيت أنا في باريس للقاء (دوران). وقد سبق وأن طلبنا من الحكومة الايرانية بعض الصواريخ المتقدمة ضد الدروع وضد الطائرات فأحتجت ايران بأنها لاتملك مثل تلك الاسلحة وانها لاتمانع من الحصول عليها في مكان آخر ونقلها من خلال ايران، وتمكننا من العثور على أحد تجار الاسلحة الفرنسية فوعدنا بتجهيزنا بما نحتاجه فيما اذا وافقت السلطات الفرنسية على ذلك، قابلت المسيو (دوران) في اليوم التالي ومعي زيد أحمد عثمان الذي كان مقيماً آنذاك في باريس ويؤدي بعض الاعمال للثورة الكُردية، رحّب بنا المسيو (دوران) كثيراً وتحدث عن لقائنا الاول في بغداد وسفره الى كُردستان وذكر انه يبذل جهده لمساعدتنا قدر الامكان وقال بأنه سوف يجري الاتصالات اللازمة ويلقانا ثانيةً. في مساء اليوم نفسه،

اتصل بنا المسيو (دوران) وقال بأنه قد رتّب اجتماعاً في صباح اليوم التالي مع الجنرال لاكاز (معاون رئيس اركان الجيش الفرنسي) والذي اصبح فيمابعد رئيساً للمخابرات الفرنسية وثم رئيساً لهيئة اركان الجيش في فرنسا، ذهبنا أنا وزيد أحمد عثمان ومعنا المسيو (دوران) لمقابلته في الموعد المذكور، ودام اللقاء أكثر من ساعة اطلعناه على الوضع في كُردستان والقتال الدائر هناك وتفاصيل الموقف، ويظهر بأنه كان مطلعاً بعض الشيء على تلك الاوضاع وكذلك بحثنا موضوع الاسلحة وزودناه بأسم الشركة والتاجر فوعد بأنه سيدرس الموضوع ويعلمنا النتيجة وحدد لنا موعداً آخر خلال أقل من اسبوع لمقابلته ثانيةً، اتصلت بسامي وأخبرته بالموعد الجديد لكي يعود على أن تكمل زيارة هولندا فيما بعد.

عاد سامي في اليوم التالي، وبعد يوم أو يومين اتصل بنا المسيو (دوران) ثانيةً وذهبنا للقاء الجنرال (لاكاز) في مكتبه ومعنا كل من زيد والمسيو دوران وبعد تبادل بعض الاحاديث اخبرنا بحصوله على الموافقة على اقتناء الاسلحة المطلوبة وبسعر زهيد ومناسب جداً، وكان هذا انجازاً كبيراً لم تكن نتوقع ان نحققه بتلك السهولة فشكرناه على جهوده ثم شكرنا المسيو (دوران) على مساعدته الكبيرة لنا، اتصل بنا التاجر الفرنسي وذكر بأن الاسلحة جاهزة وانه ينتظر اسم الميناء الذي سوف يتم الاستلام فيه، اتصلنا بالحكومة الايرانية فأبدى المسؤول استغرابه ولم يكن يتوقع قطّ بأننا سوف نعثر على هذه الاسلحة مؤخراً وأن تكون هناك دولة تزودنا بها، وذكر بأنهم قد حصلوا على تلك الاسلحة مؤخراً وانها سوف تصل ايران قريباً فلاحاجة لأقتنائها من مكان آخر وسوف تزودنا بها ايران مجاناً. ايقننا بأن في ذلك لعبة ايرانية وانها لاتريد حصولنا على تلك الاسلحة وانما تتماطل، اذ انها -اي الاسلحة- لم تصل الينا مطلقاً!! التقيت بالمسيو (دوران) فيما بعد كثيراً حيث عين سفيراً لفرنسا في لندن في نهاية سنة ١٩٩٠ وكان لقائنا بصورة مستمرة نظراً للأوضاع التي استجدت في العراق بعد غزو الكويت، وقد رحب دوران بالسيد مسعود البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكُردستاني عدة مرات في السفارة الفرنسية وفي داره وفي كل مرة اقام له الولائم رافعاً علم كُردستان وكان يستقبله استقبال رؤساء الدول، وكنت الاحظ انه كان فرحاً وفخوراً بتلك اللقاءات ويحاول أن يقدم أية خدمة ممكنة للبارزاني لما لقيه من تقدير وأحترام

وحسن ضيافة في كُردستان اثناء زيارته لها العام ١٩٦٨ من قبل الزعيم الراحل مصطفى البارزاني ومن الجميع.

وفي تموز سنة ١٩٩٤ عندما اندلع القتال الداخلي المؤسف بين حزبنا والاتحاد الوطني، استضافت فرنسا في عهد الرئيس فرنسوا ميتران مؤتمراً بين وفدي الحزبين لمدة أسبوع كان يشرف عليه السيد دوران -الذي كان قد نقل الى وزارة الخارجية- واشترك فيه شخصيات رسمية من الحكومة الفرنسية والولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة (بريطانيا)، وبقي دوران معنا الى نهاية المؤتمر.

أعود الى موضوعنا، ففي أواخر شهر ايلول سنة ١٩٦٨ طلبت هاتفياً مقابلة الرئيس البكر فأستدعيت في اليوم التالي وبعد مناقشة الاوضاع ابدى رغبته في تقديم بعض الخدمات العامة لمناطق الثورة وقال بأنه لامانع لديه من قيام افراد من الپيشمه ركه بتنفيذ الاعمال المذكورة دون المساس بأعمالهم الاعتيادية ودون طلب تسليم أو وضع أسلحتهم ولامانع من الاحتفاظ بها اثناء تنفيذ تلك الاعمال، ولما طلبت منه أن يبعث برسالة شخصية الى البارزاني بهذا المضمون، امتنع عن ذلك وقال بأنه سيخولني بنقل هذا الكلام الى البارزاني وابلاغه تحياته، واضاف -مازحاً- انه يرجو من البارزاني ان يبعث له ببعض التبوغ المحلية الجيدة. ولما كنت أبحث عن حجة لمغادرة بغداد، فقد كان غرضي الرئيسي من ذلك هو الحصول على تلك الحجة الرسمية فقلت بأنني سوف أقوم بنقل رسالته الشفوية تلك، وعدت الى مقر أقامتي وهيأت نفسي لمغادرة بغداد والعودة الى كُردستان في اليوم التالي.

كنت قد استأجرت الدار التي كنت أقيم فيها بصورة شهرية وكنت قد دفعت مقدماً بدل الايجار الى نهاية تلك السنة، وفي الصباح الباكر لليوم التالي غادرت بغداد بسيارتي الخاصة من نوع لاندروفر يقودها مرافقي عمر قادر وعند وصولي نقطة السيطرة في مدخل كركوك لاحظت بأن الجنود ورجال الامن المرابطين في السيطرة على علم بوصولي وأخبروني بأن متصرف اللواء -المحافظ- ينتظرني في ديوان المتصرفية، فتوجهت اليها حيث استقبلت استقبالاً رسمياً وجلست مع المحافظ مدة نصف ساعة تقريباً نتبادل الاحاديث العامة، وأغتنمت هذه الفرصة فقمت بزيارة نائب المحافظ الشيخ أحمد الشيخ عبدالقادر النقشبندي زميل دراستي وصديق الطفولة، وبعد مضي بعض الوقت

غادرت ديوان المحافظة بتوديع رسمي نحو أربيل.

بعد وصولي أربيل قمت بزيارة ديوان المحافظة حيث التقيت بالسيد أحمد المفتي الذي كان يتولى منصب متصرف أربيل وكالةً في غياب المتصرف عبدالمنعم المصرف الذي كان يتمتع بأجازة طويلة أحيل بعدها على التقاعد، وكان نائب المحافظ سعيد زيني قد نقل الى أحد الألوية الجنوبية ثم أحيل على التقاعد ايضاً، وبعد ذلك ذهبت الى داري للتهيؤ للسفر بعد يوم أو يومين، وقد رافقتني سيارة مسلحة للشرطة لحين وصولي مناطق الثورة، وكانت تلك هي الزيارة الاخيرة لأربيل والمناطق التي تقع تحت نفوذ الحكومة لحين توقيع الاتفاق مع النظام في الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧٠ أي بعد حوالي ثمانية عشر شهراً تقريباً.

وصلت منطقة القيادة في شهر تشرين الاول من العام ١٩٦٨ وكان مجلس قيادة الثورة الكُردية قد انتهى من عقد جلساته وأجتماعاته ولم يجر التطرق الى أسمي سلباً أو ايجاباً لعدم اشتراكي في الجلسات أو حرصاً من القيادة على مصيري بعد التحفظات التي ابديتها للأخ ادريس في رسالتي المنوه عنها اعلاه. وقد جرى اضافة اسمي الى المكتب التنفيذي بقرار من المكتب السياسي وحسب رغبة البارزاني كعضو انيط بي القسم العدلي (القانوني) كالسابق.

وهكذا عدت الى حياتي السابقة الطبيعية كعضو في قيادة الثورة وسكنت مناطق القيادة وبدأت بممارسة أعمالي المعتادة.

وكانت باكورة أعمالي هي تشكيل محكمة التمييز في الثورة الكُردية وترأسها المحامي جرجيس فتح الله من القانونيين البارعين الاوائل الذي كان قد التحق بالثورة حديثاً بعد اطلاق سراحه من السجن بعد انقلاب السابع عشر من تموز، وضمت المحكمة في عضويتها المرحومين هادي رشيد الجاوشلي[١٢] وهو من الاداريين القدماء الاكفاء وكان وكيل وزارة الداخلية في عهد عبدالكريم قاسم ومن القانونيين القدماء، وكذلك المحامي عمر جلال الحويزي -شقيق الشهيد نافذ جلال- من ضباط الشرطة القدماء ومن الحقوقيين. وكان الاخيران يزاولان مهنة المحاماة في بغداد قبل التحاقهما بالثورة الكُردية.

وهكذا مرت الايام كان القتال يشتد وتحرز الثورة انتصارات هائلة على قوات النظام وجميع الموالين لها.

وقامت قوات النظام بشن الهجمات معززة بالقوة الجوية في جبهات مختلفة دون احراز أي تقدم. وكانت طائرات النظام الحربية تشن غاراتها على كافة الاهداف المدنية والعسكرية دون تمييز موقعة خسائر كبيرة في المدنيين، وخلال احدى الغارات على قصبة گلاله (مركز ناحية باله ك) تعرضت سيارتي الشخصية لخسائر بالغة عندما كانت في طريقها الى المكان المذكور لأقتناء بعض الحاجيات ونجا مرافقي عمر قادر الذي كان يقود السيارة بأعجوبة.

في الاشهر الاولى من سنة ١٩٦٩ ونتيجة للهجمات البربرية من قبل النظام قامت قيادة الثورة الكُردية بالتخطيط والاستعداد لعملية كبيرة وجريئة وموجعة للحكم، وقد استغرق ذلك شهرين أو ثلاثة جرى فيه العمل بكل دقة وسرّية لم يطّلع على تفصيلاتها أحد ولم تتسرب المعلومات الى الجانب الحكومي فكانت مفاجأة كبرى لها عندما وصلت قوات الپيشمه رگه الى قلب كركوك لتنفيذ أكبر عملية ضد أهداف حساسة. ففي ليلة ١٩٦٩/٣/١ كان موعد تنفيذ عملية ضرب منشآت النفط في محطة K1 (كي وان) بمدينة كركوك، وقد قامت قواتنا بضرب تلك الاهداف وقصفها بالهاونات والاسلحة الثقيلة واصابتها بدقة واشعلت فيها النيران وأوقعت فيها خسائر مادية كبيرة تقدر بملايين الدولارات علاوةً على توقف العمل في ضخ النفط وفي تلك المنشآت لعدة اسابيع، وقد اشترك في تلك العملية خيرة قادتنا العسكريين في مناطق أربيل وكركوك وباله ك مع خيرة قطعات الپيشمه رگه يقودهم المهندس سامي عبدالرحمن عضو المكتب السياسي للحزب، وعادت جميع تلك الوحدات الى مقراتها سالمة.

جنّ جنون النظام بعد تلك العملية فلم تكن تتوقع أن تصل قوات الپيشمه رگه الى تلك المناطق المحّرمة والمحروسة حراسة شديدة والربايا العسكرية منتشرة حواليها، وفي اليوم التالي قامت طائرات النظام بشنّ غارات عشوائية على مناطق القيادة والمناطق الأخرى العائدة للثورة انتقاماً لتلك العملية البطولية، وأستمرت بعدها الهجمات من قبل قوات الحكومة والمرتزقة في مختلف المناطق دون جدوى والى أواخر العام ١٩٦٩ عند ذاك وبعد أن اتبع النظام كافة الطرق العسكرية وفشلت في احراز أي تقدم التجأت الى الطرق السياسية التي تمخضت عن اتفاق الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧٠ والتي سآتي على ذكر تفاصيلها فيما بعد.

عملية أنقاذ السيد مهدي الحكيم

عرفت الشهيد السيد مهدي الحكيم منذ سنة ١٩٦٦ والتقيت به عدة مرات وعرفته انساناً مهذباً ومرحاً جداً ومطلعاً على الأمور السياسية اضافةً الى معلوماته الكثيرة في الأمور الدينية، كان انساناً عصرياً ومؤمناً بالحياة الديمقراطية الليبرالية، كما كان له آراء ايجابية جداً في القضية الكُردية وكان يؤمن بحق تقرير المصير للشعب الكُردي، وكان له اصدقاء كثيرون بين مختلف الاتجاهات السياسية وله علاقات صداقة مع العديد من الشخصيات العراقية، وكان ذا مركز مرموق في المجتمع، فبالأضافة الى كونه من انجال العلامة الكبير الأمام والمرجع الديني الاعلى للجعفرية السيد محسن الحكيم، فأنه كان يتميز بتلك الصفات الحميدة وكان ذا شخصية محبوبة ومحترمة. زرته عدة مرات في داره وفي أحدى المرات زرناه مع المرحومين علي الشعلان وزيد أحمد عثمان المحامي.

بعد انقلاب السابع عشر من تموز سنة ١٩٦٨ ومجيء حزب البعث للحكم تعرض للمراقبة والملاحقة نظراً لشخصيته ومكانته، وكان نصيب أكثر زائريه والمترددين عليه أما الاعتقال أو الاعدام أو المطاردة، أضطّر السيد مهدي الحكيم ازاء ذلك الموقف العدائي للأختفاء وقد صدر عليه غيابياً حكم الاعدام، وفي أوائل صيف ١٩٦٩ استدعاني الزعيم الراحل مصطفى البارزاني وطلب مني الاتصال ببعض الاصدقاء بصورة سرية من الذين كانوا على علاقة جيدة بالثورة الكُردية وفي الوقت نفسه كانوا محسوبين أو موالين للنظام وذلك للعمل على انقاذ السيد مهدي الحكيم الذي كان مختفياً في أحدى المدن الجنوبية ومحاولة تهريبه اما الى مناطق الثورة الكُردية أو خارج العراق. وقد زودني البارزاني بأسم الشخص الذي يعلم مكان اختفاء الحكيم وكلمة السّر الخاصة بينهما، وزودني برسالة شخصية الى الشخصين الذين سيقومان بذلك العمل وهو المرحوم اسعد فتاح هركي والشيخ جيتو السيد طه النقشبندي.

وسافرت الى منطقة أربيل ووصلت الى مقر قوات الپيشمه ركه في المرتفعات القريبة من أربيل، ولم يطلع أحد على المهمة التي كنت بصددها عند

ارسالي سوى البارزاني الذي أمر بقيامي بتلك المهمة والأخوان ادريس ومسعود، وخوفاً من تسّرب الخبر فأني لم أطلع أحداً حتى أن فارس باوه قائد قوات الپيشمه ركه في منطقة اربيل لم يطلع على السبب الحقيقي لزيارتي غير رغبتي في لقاء اسعد هركي.

كان القتال على أشّده وكان المدعو محمد أمين فرج[١٣] أحد المنشقين متصرفاً (محافظاً) لأربيل يتخذ كل الاجراءات ضد أي شخص يشتبه في كونه متعاطفاً مع الثورة الكُردية وقيادتها وحتى أنه كان يشترك شخصياً أحياناً مع قوات الجيش في حملاتها على القرى والأماكن التي كانت يشتبه وجود الپيشمه ركه فيها.

وقد أثار وجودي في المنطقة تكهنات كثيرة وخاصةً بين مسؤولي الحزب والپيشمه ركه في المنطقة وراح الجميع يحلل سبب وجودي حسبما يروق له وكيفما يشاء ولم تتطرق الشكوك بأي حال من الأحوال الى مهمتي الأصلية.

وأرسلت في طلب أحد الأشخاص الذي كان يسكن في قرية قوريتان (- جنوبي أربيل بحوالي ١٠-١٥ كيلومتراً- وتعود هذه القرية الى أحد أعمامي وهو المرحوم جوكل آغا) كان الشخص المطلوب هو أحمد رسول الملقب بـ(كاكو) الذي أعرفه معرفة جيدة فكان يعمل سابقاً لدى عمي المذكور وأولاده، وكان على علاقة جيدة مع أسعد هركي فكان يعمل لديه كوكيل ومعتمد لأدارة أعماله في المنطقة.

وصل (كاكو) الى مقر اقامتي فأبديت له رغبتي في لقاء أسعد بصورة سرية، ولأمر هام، عاد كاكو بعد أن ابلغ أسعد هركي بذلك فأظهر رغبته في اللقاء ايضاً، ولكنه كان حذراً جداً ولايريد أن تشك السلطات في ولائه وعلمها بوجود أية علاقة له بقيادة الثورة الكُردية، ولحرصه على عدم تسرب الخبر الى سلطات النظام اجاب أسعد بوجوب ذهابي الى المنطقة بصورة سرّية. تهيأت للسفر في أحدى الليالي ومعي أربعة أو خمسة مسلحين وكذلك الوسيط والدليل كاكو، غادرنا المقر سيراً على الأقدام وعبرنا طريق صلاح الدين-أربيل (طريق هاملتون) عند الفجر قاطعين وادي بستورة. وكانت هنالك تلّة مشرفة على الطريق العام وعليها ربيئة عسكرية لحراسة الطريق وفيها افراد مسلحين من المرتزقة الهركية العائدين للمرحوم أسعد هركي.

فصعد كاكو التلة المذكورة قاصداً الربيئة بينما ابتعدنا نحن عن الطريق العام منتظرين عودته، وبعد تبادل بضع كلمات وبعد أن أنفرد كاكو بمسؤول الربيئة، عاد متجهاً نحونا وأخبرنا بالتحرك وقال بأن أسعد متواجد في مصيف صلاح الدين وأنه أوصى الشخص المذكور بالذهاب اليه وطلب العودة منه الى قريته (مير آخور) التي كانت على بعد عدة ساعات بصحبة الشيخ جيتو، أسرعنا في السير، وبعد حوالي الساعتين وصلنا الى بيت شعري لأحد أصحاب الماشية وكان ينتمي الى عشيرة الهركي، وكنا متعبين كثيراً وبعد أن كلمه كاكو سراً، رحب بنا صاحب الخيمة كثيراً وفرش لنا اذ غلبنا النوم، وبعد أكثر من ساعة نهضنا وأعد لنا افطاراً لذيذاً من اللبن والخبز الحار والشاي، وبعد تلك الاستراحة توجهنا الى قرية ميراخور فوصلناها حوالي الظهر وهناك رحب بنا وكيل اسعد وهيأ لنا طعاماً شهياً وفور الانتهاء من تناول طعام الغذاء، وصلت سيارة جيب امريكية وفيها أسعد والشيخ عزالدين السيد طه النقشبندي الملقب بـ(شيخ جيتو) وأكرم قادر الهركي ابن عم أسعد والذي أعرفه سابقاً ومعهم بعض المسلحين، وقد سلمتهم رسالة البارزاني وأطلعتهم على مهمتي وطلبت منهم القيام بتنفيذها مهما كلّف ذلك وبأية طريقة يرونها مناسبة وأخبرتهم بأنني سوف أعود الى مقر قواتنا بأنتظار النتيجة، فوعودني خيراً وأخبروني بأنهم سوف يسافرون بأسرع وقت الى تلك المدينة وسيتصلون بالشخص الوسيط ويزودونه بكلمة السّر وانهم يبذلون كل جهودهم للقيام بتلك المهمة وتنفيذها، وكان الشيخ جيتو جريئاً ومتحمساً ومستعداً للسفر الى كربلاء وتنفيذ المهمة بنفسه رغم المخاطر.

أصبح الوقت عصراً وطلب أسعد مغادرتي القرية فوراً قبل أن يتسرب خبر وصولي الى السلطات فبدون شك انها -أي السلطة- ستقوم بتحريك قواتها للقبض عليَّ حياً أو ميتاً، فذكرت بأننا متعبون جداً وسنمكث تلك الليلة هناك وسنغادرها في اليوم التالي عند المغيب، فأعترض أسعد والّح على وجوب مغادرتنا فأشترطت عليه نقلنا بسيارته الى ما وراء الطريق العام فأحتار في الأمر وعندها تعهد ابن عمه أكرم بأنه سيقوم بمهمة نقلنا آمنين الى المكان الذي تصل اليه السيارات.

وبعد أن ودعنا أسعد وصحبه استقلينا سيارة أكرم التي كان يقودها بنفسه

وبدأ بقطع الطريق الى أن وصل الى الطريق العام فأعترضتنا مفرزة للجيش وبعد اطلاعهم على هوية أكرم فسحوا لنا الطريق وواصلنا السير قاطعين وادي بستورة الى أن أوصلنا الى المناطق الخاضعة لنفوذنا ثم ترجلنا وأكملنا سفرنا وعاد أكرم الى حيث أتى بعد أن ودعنا.

كان المرحوم أسعد ذكياً وفطناً ويحسب حساب جميع الامور فكان يتوقع أن يتسرب الخبر ولابد أن تعلم السلطات بعد يوم أو يومين بمجيئي وتجنباً للمساءلة والتحقيق فقد طلب مني تحرير رسالة شخصية الى قائد الفرقة الاولى العميد عمر الهزاع الذي كنت أعرفه سابقاً لكي يدعي أن سبب وجودي هو طلب ايصال تلك الرسالة التي كانت شكلية ومليئة بالمديح والمجاملات طالباً منه بأعتباره عنصر خير ان يلعب دوراً جيداً لأجل العمل على حل القضية الكُردية سلمياً. وقد برر أسعد موقفه بتلك الرسالة وتمكن من اقناع قائد الفرقة الذي قدرّه على ذلك الموقف.

عدت الى مقرنا ووصلته في ساعة متأخرة من الليل وأنتظرت بضعة أيام أخرى فوصل كاكو في أحد الايام حاملاً رسالتين أحداها من أسعد وشيخ جيتو والثانية من الشخص الوسيط المتواجد في كربلاء التي اختفى فيها السيد الحكيم، وأخبرت بأنه قد تم انقاذه وأوصل سالماً الى خارج الحدود وأخبرني بمكان وجوده في ذلك الوقت، وكان دولة عربية خليجية. قمت بأرسال برقية للبارزاني بهذا الخصوص وبدأت بالعودة في اليوم التالي متجهاً نحو مقر القيادة، وأستغرقت مهمتي تلك من يوم ابلاغي بها لحين عودتي حوالي شهر واحد وقد اقام السيد مهدي الحكيم مدة في دول الخليج ثم انتقل الى ايران وأخيراً استقر في بريطانيا، وأسس هناك في بداية الثمانينات من القرن الماضي بالتعاون مع الدكتور السيد محمد بحر العلوم الشخصية الدينية والسياسية المعروفة مركزاً كبيراً بأسم (مركز أهل البيت) يقوم ولغاية اليوم بمختلف الانشطة السياسية والدينية ويستعمل مقر المذكور لمختلف المناسبات الاجتماعية والدينية والسياسية، وقد أقمنا فيه في شباط من سنة ١٩٨٧ مجلس الفاتحة على روح الشهيد المرحوم ادريس البارزاني لمدة ثلاثة أيام كما وأقام المركز المذكور مجلساً خاصاً للفاتحة بهذه المناسبة.

ومن جميل الصدف أنني وبينما كنت أنتظر الجواب في مقر قواتنا أعلنت

الاذاعات العالمية مساء يوم ١٩٦٩/٧/٢١ عن هبوط أول أنسان على سطح القمر وكذلك المكالمة الهاتفية التي جرت بين الرئيس الامريكي ريچارد نيكسون وبين آرمسترونگ الذي كان أول انسان تلمس قدماه سطح القمر.

واستشهد السيد مهدي الحكيم في شهر كانون الثاني من سنة ١٩٨٨ في السودان عند حضوره مؤتمراً اسلامياً وقد اغتاله غدراً النظام العراقي، كان رحمه الله على علاقة جيدة بالثورة الكُردية وقيادتها بصورة خاصة بالسيد مسعود البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكُردستاني وبالشهيد ادريس البارزاني وكانت له علاقات قديمة معنا شخصياً. وأقيم مجلس الفاتحة على روحه الطاهرة في مركز أهل البيت الذي أسسه بنفسه كما آنفت وكانت أيام الفاتحة تظاهرة سياسية كبيرة عبرت فيها الجماهير المغتربة بمختلف مذاهبها وقومياتها عن غضبها على النظام وحزنها الشديد على استشهاد السيد الحكيم.

اشتداد المعارك

في صيف وخريف سنة ١٩٦٩، بلغت شده المعارك أوجها وأستخدم النظام جميع امكاناته وحاول استغلال جميع انواع المرتزقة ولكنه فشل في أحراز أي نصر، وتمكن من التقدم في بعض المناطق بصورة مؤقتة ولكن سرعان ما أندحر وأصيب بهزيمة نكراء. دارت معارك حامية في مناطق (مرگه) و(سه رگه لو) و(سه نگه سه ر) ومدخل دولي شهيدان في منطقة پشده ر وفي مناطق پينجوين وحلبجة وغيرها من مناطق كوردستان.

وأذكر في عصر أحد الايام في أواخر صيف ١٩٦٩ أو أوائل الخريف وردت برقية الى البارزاني الراحل تفيد بأحتلال (سه نگه سه ر) ومدخل (دولي شهيدان)، وتقع هذه المناطق بين مدينتي رانية وقلعة دزه وأن الاخير أي (دولي شهيدان) عبارة عن واد وعر جداً وفي مكان استراتيجي واحتلاله يجعل مناطق عديدة قريبة من منطقة القيادة في خطر، فأوعز البارزاني الى أحد مرافقيه الشخصيين وهو الشهيد عمر آغا الذي كان من حرسه الخاص ومن المقاتلين البارزين الذين رافقوه في مسيرته الى الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٤٧، أوعز اليه بمعالجة الموضوع فأخذ عمر آغا الامر بكل بساطة وأختار عدداً من الرجال لايتجاوز عددهم الخمسين وتحرك فوراً وفي الليلة التالية تمكن عمر آغا من تدمير قوات العدو وتحرير المنطقة والمناطق الاخرى التي تقع خلفها وذلك في حركة التفاف ومباغتة سريعة وشجاعة فهاجم الربايا الخلفية بطريقة اربكت قوات النظام في الربايا الأمامية التي انسحبت ووقعت في الكمائن كما لاحقتها قواتنا فأنهزمت شر هزيمة ولم تجرأ على الهجوم مرة اخرى. ولم يكن حظ القوات في المناطق الاخرى أفضل بكثير فأصيبت بالهزائم في مناطق (مرگه) و(سه رگه لو) وغيرها. وكانت قد احرزت بعض التقدم في جبال شنروي خلف مدينة حلبجة واستشهد أحد قادتنا الابطال وهو الشهيد الملازم عزيز الاتروشي ولكن سرعان ما جمعت قواتنا شملها فاصابت العدو بهزيمة نكراء وحاسمة مما اضطرتها للبحث عن طرق أخرى غير اتباع الطرق العسكرية!!.

زيارات المعارضين لكُردستان

بعد اشتداد المعارك وفقدان كل أمل في التوصل مع السلطة الى حّل سلمي وبعد أن أصبحت الثورة الكُردية هي الأمل الوحيد للمعارضين العراقيين وللشعب العراقي بصورة عامة، بدأت الاتصالات تجري مع القيادة الكُردية وبدأ سيل المعارضين يتدفق على كُردستان، وفي الحقيقة لم يتمكن أي منهم من تقديم أي دعم للثورة بل بالعكس حاول الجميع أن يصل الى أهدافه من خلال الثورة والاستعداد للتعاون معها، فالثورة الكُردية كانت القوة الوحيدة التي يمكن من خلالها التأثير على النظام، وكانت نقطة الضعف الوحيدة للنظام هي استمرار القتال ضد الشعب الكُردي وعدم حّل قضيته سلمياً، وكان أول الزائرين هو الدكتور حسن الچلبي القانوني الكبير والاستاذ في جامعة بيروت، ولأن الدكتور الچلبي شخص ضرير فقد رافقه شقيقه الشاب أحمد الچلبي الذي كان في حوالي منتصف العشرينات من عمره وكان قد تخرج حديثاً من الجامعة وأحرز درجة الدكتوراه، والدكتور حسن الچلبي (كان استاذاً لي في كلية الحقوق في بغداد في أوائل الخمسينات من القون الماضي) رجل فاضل ومهّذب جداً وقانوني بارع أبدى استعداده الكامل للتعاون مع قيادة الثورة -رغم محدودية امكاناته- وقد أمضيا يوماً واحداً في حاج عمران وأجتمعا بالبارزاني وحضر الاجتماع كل من ادريس ومسعود البارزاني والمرحوم زيد احمد عثمان وحبيب محمد كريم والدكتور محمود علي عثمان ونافذ جلال وأنا وثم رجعا عن طريق ايران بصحبة زيد. ذكر الموما اليهما عن نية وفد عراقي آخر في زيارة المنطقة، وكنا في أواخر الربيع من سنة ١٩٦٩ في ذلك الحين.

بعد مضي فترة وجيزة علمنا بأن اللواء الركن عبدالغني الراوي وعبدالرزاق النايف يرومان زيارة كُردستان، كان عبدالرزاق النايف برتبة مقدم ركن ويشغل منصب معاون مدير الاستخبارات العسكرية في عهد الرئيس عبدالرحمن عارف ومن أقرب ضباط الجيش اليه مع عدد قليل آخر من الضباط أمثال ابراهيم عبدالرحمن الداود الذي كان آمراً للواء الحرس الجمهوري وسعدون

غيدان آمر كتيبة دبابات الحرس، وكان حزب البعث العربي الاشتراكي قد تمكن من تضليله وخدعه وأقنعه بالقيام بأنقلاب عسكري ضد الرئيس عارف، وكان المقدم سعدون غيدان متفقاً مع البعث أو عضواً في الحزب قد شجعهم على ذلك، وكان للسفير ناصر الحاني الذي كان في سفارة بيروت تأثيراً على النايف ووسيطاً بينه وبين البكر، وقد تمكن هؤلاء من الاطاحة بالرئيس عارف بسهولة في انقلاب السابع عشر من تموز ١٩٦٨ كما جاء ذكره سابقاً. وبعد أقل من اسبوعين اطاح البعث بالنايف والداود في انقلاب الثلاثين من تموز من نفس السنة ونفيا الى خارج العراق.

وصل الراوي والنايف كُردستان في حزيران سنة ١٩٦٩ قادمين من ايران واستقبلا عند الحدود، وجرت الاجتماعات في حاج عمران بحضور الزعيم الراحل البارزاني والآخرين الذين ذكرتهم اعلاه عند زيارة حسن الچلبي، وقد حضر مع الضيفين مندوب عن الحكومة الايرانية وهو الجنرال (منصور پور) الذي أحضر معه جهازاً لتسجيل الصوت ووضعه في وسط غرفة الاجتماع لتسجيل ما يدور هناك!!.

تحدث النايف عن كيفية تعاونه مع البعث وكيف انهم قد خانوه -كما خان هو الرئيس عارف- ونكثوا بعهودهم وخالفوا اتفاقهم معهم، وقال بأنه يريد الانتقام منهم وأدعى بأن له مؤيدون وأنصار كثيرون داخل الجيش وأنه سيتصل بهؤلاء لتدبير انقلاب ضد البعث!!، كما قال بأنه على أتصال بجهات خارجية عديدة ويتمكن من كسب التأييد للثورة الكُردية، وقد كرر الراوي نفس الاقوال وبالتأكيد أنه كان ضد نظام البعث منذ البداية وأحد الذين تعاونوا مع الرئيس عبدالسلام عارف للأطاحة بالبعثيين في حركة تشرين الثاني سنة ١٩٦٣، وقد كان له من المؤيدين في صفوف الضباط أكثر بكثير من النايف بالأضافة الى رتبته العالية وجرأته وحبّه للمغامرة.

لم يؤخذ كلام النايف بكثير من الجدية لأنه قد سلّم الحكم للبعث على طبق من ذهب ولولاه ولولا الداود لما وصل البعث للسلطة مطلقاً، ورغم ذلك فأن القيادة الكُردية لم تبدِ أي اعتراض على اقواله بل أستمع اليه بكل تأن وصبر، الا ان نافذ جلالَ وأنا -بحكم معرفتنا السابقة وصداقتنا معه- كنا نوجه له اللوم عند انفرادنا به خارج الاجتماعات على ثقته بالبعث وعمله

الخاطيء، فكان يعترف بخطأه ويبدي ندمه ويوجه أشد اللوم الى سعدون غيدان.

غادر الضيفان كُردستان مع المندوب الايراني في اليوم التالي عائدين الى طهران واعدين بأنهم سيعودون في زيارة أخرى.

في نهاية صيف تلك السنة عاد الزائران الى كُردستان ولم أكن موجوداً آنذاك حيث كنت خارج المنطقة فلم أحضر تلك الاجتماعات الا انني علمت فيما بعد بأن كل من النايف والراوي وكان معهم هذه المرة كل من المرحوم باباعلي الشيخ محمود وسعد صالح جبر والدكتور أحمد الچلبي وضابط آخر مع عبدالغني الراوي وآخرين ممن لاتخطر اسمائهم على بالي حسبما سمعت من زملائي في المكتبين السياسي والتنفيذي. وحسبما علمت بأنهم لم يتوصلوا الى أية نتيجة يذكر بل اختلف بعضهم حول عدد من الأمور ومنهاج العمل وغيره وعلى المناصب.

وكان الراوي قد اجرى بعض الاتصالات مع عدد من الضباط الا ان السلطة قد كشفت ذلك ودست أحد الضباط بينهم وهكذا أعلنوا عن اكتشاف مؤامرة مزعومة ولو أن أية خطوة عملية لم تجر لأجل ذلك، فبطشت بعدد كبير من الضباط والمعارضين ومن اشخاص كانوا رهن الاعتقال منذ أشهر عديدة وجرت عملية اعدامات كثيرة لتصفية كل من يشتبه في معارضته للبعث. ومن جملة الضباط الذين أعدمهم النظام وكنت على معرفة معهم العميد الركن محمد رشيد الجنابي الذي التقيت به في دار السيد مهدي الحكيم وقد أعدم وهو رهن الأعتقال منذ أشهر عديدة، وكذلك الرائد الركن عبدالستار عبدالجبار وغيرهما.

اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠

استنفذت السلطة المركزية كل طاقاتها العسكرية لأحراز الانتصارات وأتبعت جميع السبل وحاولت لأكثر من سنة بمختلف الطرق العسكرية وبالأستفادة من جميع الموالين والمرتزقة ولكن دون جدوى ودون أي تقدم. كان النظام هشاً وفي بدايته لم يستقر ولم يتم تصفية خصومه بعد، كانت الخلافات الداخلية ولعبة المحاور والمنافسة داخل النظام على أشدها علاوةً على المؤامرات الخارجية والداخلية، كانت الثورة الكُردية من أهم عوامل اضعاف النظام ونخر عظامه وهدر امكاناته، وكان انشغال السلطة بمحاربة الثورة الكُردية تفسح المجال أمام الخصوم لتمرير مؤامراتهم، كل ذلك جعل النظام الجديد يفكر جدياً في مصيره والبحث عن سبل تثبيت اقدامه وبقائه في الحكم.

جرت اتصالات خفية وبصورة غير مباشرة ثم تطورت تلك الاتصالات فأخذت شكلاً وطابعاً آخر. ففي بيروت جرى اتصال بين ميشيل عفلق والشهيد دارا توفيق الذي كان من مؤيدي الحزب الديمقراطي الكُردستاني ومن معتمدي الزعيم الراحل مصطفى البارزاني المقربين (وقد أصبح فيما بعد عضواً في اللجنة المركزية للحزب حيث تم انتخابه في المؤتمر الثامن سنة ١٩٧٠).

أبدى ميشيل عفلق رغبة حزبه في حّل القضية الكُردية سلمياً فنقل دارا توفيق تلك الرغبة لقيادة حزبنا ولشخص البارزاني الذي رحب بالفكرة -كما عمل دوماً- فيما اذا كانت النية صادقة وفيما اذا كانت المطاليب القومية للشعب الكُردي تّلبى، ثم انتقلت تلك الاتصالات الى بغداد وأجتمعت عدة مرات باللواء فؤاد عارف، وبعث النظام موفداً سرياً هو سمير عزيز النجم مع كل من السيد فؤاد عارف الشخصية الكُردية المعروفة ومن أصدقاء البارزاني الشخصيين وكذلك رافقهم دارا توفيق وذلك لمقابلة البارزاني والاطلاع على رأيه فيما اذا كان يوافق على اجراء المفاوضات؟! ولما كان البارزاني يرحب بأية يد تمتد للسلام منذ بداية ثورة ايلول سنة ١٩٦١، وحتى في ثورات بارزان السابقة لو امعّنا النظر في كتب التأريخ حول ذلك، ولما كان حريصاً على

مصالح الشعب الكُردي والشعب العراقي بصورة عامة، ورغم انه كان في مركز قوة وأن قوات الحكومة العراقية قد اصيبت بالهزائم وان النظام كان غير مستقر بعد، ورغم عدم ثقته بحزب البعث فقد رحب بالفكرة وحصل الموفد على ضوء أخضر منه لأرسال وفد كبير من الجانب الحكومي لمنطقة الثورة الكُردية.

تبينت استقلالية البارزاني من تلك الخطوة الجريئة، فرغم محاولات شاه ايران ونظامه ورغم الوعود والمغريات فأنه قد فضّل مصلحة الشعب على ذلك وأثبت وطنيته واخلاصه لشعبه ووطنه فقرر الاستمرار في طريق السلام الذي كان يفضّله دائماً على طريق العنف والقتال لذا ابدى استعداده للترحيب بأي وفد حكومي اذا كانت هنالك جدّية في الرغبة لحّل القضية الكُردية سلمياً.

وصل القيادة خبر مفاده رغبة الحكومة المركزية في ارسال وفد كبير لزيارة البارزاني وقيادة الثورة الكُردية وتحدد يوم ١٩٦٩/١٢/٣١ لذلك، جرى الاستعداد لأستقبال الوفد المذكور فذهب معظم اعضاء القيادة والمكتبين السياسي والتنفيذي وكذلك كل من الاخوين ادريس ومسعود البارزاني الى نقطة الاستقبال في جنديان قرب رواندوز، وصل الوفد العراقي وكان برئاسة الفريق حماد شهاب رئيس أركان الجيش الذي اصبح وزيراً للدفاع بعد اسابيع خلفاً للفريق الركن الطيار حردان التكريتي الذي عين بمنصب نائب رئيس الجمهورية، وضم كل من عبدالخالق السامرائي عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي والفريق سعدون غيدان آمر موقع بغداد الذي أصبح فيما بعد وزيراً للداخلية وعبدالله سلوم السامرائي وزير الاعلام وغيرهم ممن لايخطر اسمائهم في ذاكرتي، وكنت شخصياً على معرفة سابقة مع أكثر أعضاء الوفد، وقد جرى ترحيب حّار بالجميع وتعانق الطرفان عند اللقاء وكأن شيئاً لم يحدث في السابق، لم نكن نملك اماكن ملائمة لأقامة الضيوف أو حتى لسكننا فأنها لم تكن تتجاوز بيوت من غرفة واحدة أو غرفتين مبنية باللبن والطين وفيها مدافيء خشبية على الطريقة القديمة، لذا فقد تم اخلاء أحدى تلك الدور وكانت عبارة عن غرفتين وصالة صغيرة بينهما وحل الوفد هناك وأتخذه مكاناً للأقامة والاجتماعات معاً، حضر مع الوفد كل من السيدين فؤاد عارف وعزيز شريف وهما من اصدقاء البارزاني الشخصيين،

وبدأت الاجتماعات بين الجانبين وكان البارزاني حاضراً في جميعها، وكانت العقدة الرئيسية هي قضية كركوك فقد حاول الجانب الحكومي بكل الطرق عزل لواء كركوك عن المنطقة الكُردية والحصول على اعتراف من الجانب الكُردي بذلك، ولم أكن أنا شخصياً حاضراً اثناء ذلك ولكن علمت فيما بعد بأن البارزاني قد نهر بشدة عبدالله سلوم السامرائي على موقفه عندما اراد انكار كُردية مدينة كركوك وترك الاجتماع محتجاً على ذلك الموقف قائلاً: بأنه من المحال أن يعترف بذلك فأن مدينة كركوك كُردية وقلب كُردستان ولايحق له أو لغيره أن يتنازل عن هذه الحقيقة وعن أي جزء من كُردستان، كركوك هي مدينة في كُردستان وتبقى كُردية وحتى لو لم يبق فيها كُردي واحد.

بعد تلك المناقشة وذلك الموقف التأريخي الرائع من البارزاني تأزم الموقف واكفهر جو الاجتماع ثم اعيد البارزاني بعد التوسل من فؤاد عارف وعزيز شريف واستؤنف النقاش وطرحت مواضيع مختلفة وأخيراً تم الاتفاق على سفر وفد من الجانب الكُردي الى بغداد لأكمال الحوار وايجاد الحلول للمشاكل الطارئة.

وفي صباح اليوم التالي وبعد تناول طعام الفطور وقبل مغادرة الوفد، التمس رئيس الفريق حماد شهاب، البارزاني طالباً اطلاق سراح أحد الطيارين الاسرى لدى الثورة والذي كانت طائرته الميگ قد اسقطت بين منطقة جبل سفين وبيتواته من قبل قوات الپيشمه رگه، فلبى البارزاني طلبه وأمر بأحضار الطيار الذي كان في معتقل رايات للأسرى وبعد حوالي الساعة، حضر الطيار وما أن شاهد أعضاء الوفد حتى طالب بأطلاق سراح أحد ضباط الصف المعتقلين معه، فأستجاب البارزاني لطلبه وأمر بأحضار الشخص المذكور ايضاً، وحاول الضابط أن يستغل الوضع فطالب بأطلاق سراح شخص آخر من العسكريين، عند ذلك نهره الفريق حماد شهاب وقال له (لاتثخنها عاد)، أي لاتلح كثيراً، ثم جرى توديع الوفد الى نقطة جنديان من قبل أعضاء وقيادة الحزب على أن يذهب وفدنا الى بغداد خلال اسبوع واحد.

وبعد توديع الوفد، جرى اجتماع للقيادة برئاسة البارزاني جرى تقييم الزيارة ومناقشة المسائل التي طرحت في الاجتماعات، وتقرر عقد اجتماع عام للمكتبين السياسي والتنفيذي والكوادر المتقدمة المتواجدة في منطقة القيادة

لأختيار الوفد وكذلك لأطلاع الجميع على الحوار الذي جرى مع الوفد.

ولا ادري لماذا جرى اختيار اعضاء الوفد بتلك الطريقة اذ ان العلاقات الشخصية قد لعبت دوراً اساسياً في تلك العملية، في الوقت الذي كان من الممكن تحديد اسماء الاعضاء من قبل القيادة ومن قبل شخص البارزاني من الذين لهم خبرة وممارسة وكفاءة في مثل هذه الامور.

وعلى كل حال، فقد جرى عقد الاجتماع وحضره حوالي خمسين شخصاً من اعضاء المكتبين السياسي والتنفيذي والكوادر المتقدمة للحزب، ونوقشت المسائل التي كانت قد بحثت مع الوفد الحكومي وعبّر كل من الحاضرين عن رأيه ثم جرى اختيار الوفد بترشيح الاسماء وأخيراً تم الاتفاق على تشكيل الوفد الكُردي من السادة التالية اسمائهم:

١- د.محمود عثمان- عضو المكتب السياسي.

٢- المهندس نوري صديق شاوه يس- عضو المكتب السياسي.

٣- صالح اليوسفي- عضو المكتب السياسي.

٤- المهندس محمد محمود عبدالرحمن- عضو اللجنة المركزية وعضو المكتب التنفيذي وعضو المكتب السياسي فيما بعد.

٥- المقدم نافذ جلال حويزي- عضو المكتب التنفيذي.

٦- محسن دزه يي- عضو المكتب التنفيذي.

٧- المهندس دارا توفيق- من مؤيدي الحزب الديمقراطي الكُردستاني (أصبح عضواً في اللجنة المركزية في المؤتمر الثامن في ١٩٧٠/٧/١).

عرضت الاسماء على الرئيس البارزاني الذي وافق عليها وفي الليلة التي سبقت موعد سفر الوفد في ١٩٧٠/١/٨ اجتمع أعضائه بالبارزاني ونوقشت الامور بالتفصيل وبعد أن تسلم الوفد التوجيهات اللازمة، اختار فيما بينه الدكتور محمود علي عثمان رئيساً له، وفي صباح اليوم التالي وصلت طائرات مروحية الى رواندوز حيث تم نقل أعضاء الوفد الى القاعدة الجوية في كركوك ومن هناك تم نقلهم الى بغداد بأحدى الطائرات الخاصة، حيث استقبله في مطار الرشيد عدد من كبار المسؤولين العسكريين والمدنيين ومسؤولي حزب

البعث يتقدمهم الفريق حماد شهاب، وبعد زيارة قصيرة للقصر الجمهوري حيث قابل الوفد الرئيس أحمد حسن البكر وتبودلت كلمات الترحيب ثم انتقل الوفد الى محل اقامته في القصر الابيض. قوبل الوفد بترحاب بالغ وزاره في محل اقامته كبار المسؤولين وخصصت له وسائل النقل والحماية اللازمة.

وفي صباح اليوم التالي عقد أول اجتماع بين الوفدين وشارك في المحادثات من الجانب الحكومي الفريق الركن الطيار حردان التكريتي وعبدالكريم الشيخلي وزير الخارجية ومرتضى سعيد عبدالباقي وغيرهم من المسؤولين كما وحضر الاجتماعات كل من فؤاد عارف وعزيز شريف، وكان الطلب الاول لوفدنا مشاركة الجهات الاخرى في المباحثات وخاصةً الحزب الشيوعي العراقي، الا ان الجانب الحكومي لم يوافق على ذلك وأصّر على الحوار بين طرفي النزاع فقط، وامام اصرارهم فقد وافق وفدنا على ذلك ولكنه كان يجري اجتماعات جانبية بيننا وبين ممثلي الحزب الشيوعي بعد كل جولة من المفاوضات مع الوفد الحكومي وكان يجري اطلاعهم -أي الحزب الشيوعي- على سير المحادثات والاستماع الى آرائهم وكان يمثل الحزب الشيوعي عدد من قادتهم هم السادة عزيز محمد سكرتير اللجنة المركزية للحزب ومكرم الطالباني وعامر عبدالله وكريم أحمد وغيرهم.

جرى النقاش لمدة اسبوع تقريباً صباحاً ومساءً دون التوصل الى أي اتفاق، وكان من جملة المسائل المطروحة منح التركمان والآشوريين الحقوق الثقافية والحريات الديمقراطية في العراق كافة الا ان هذه المطاليب قوبلت بالرفض من الجانب الحكومي، وبعد مغادرة وفدنا الى بغداد بعد الجولة الاولى اذاعت الحكومة من جانب واحد بياناً اقرت فيه الحقوق الثقافية للتركمان، كان الغرض من تلك العملية عدم اظهار ذلك بأنه من مطاليب الوفد الكُردي بل خطوة اتخذها حزب البعث من تلقاء نفسه.

وأذكر هنا حادثة طريفة لها علاقة بهذا الموضوع، بعد اعلان الجانب الحكومي عن منح الحقوق الثقافية للتركمان -حسب مفهومها- وكخطة تاكتيكية بدأ المسؤولون ذوو العلاقة العمل على تنفيذ تلك الخطة، وكان المرحوم خالد عبدالحليم متصرف (محافظ) اربيل يتردد احياناً على النوادي

للأطلاع على آراء الناس والاستماع الى ما يدور في تلك النوادي والمجالس، وكان من ضمن الذين يترددون على نادي آزادي في أربيل مجموعة من الأشخاص تربطهم صداقات قديمة وقد توفي أكثرهم -رحمهم الله- وكانوا جميعاً من أصدقائي الشخصيين بينهم كل من اسماعيل اليعقوبي المحامي وجودت أحمد ناجي وشيخيل الحاج حسن وسامي نورالدين ورؤوف محمد وغيرهم، وكان من عادة هؤلاء أن يتحدثوا أحياناً فيما بينهم باللغة التركمانية بالرغم من أنهم من الاكراد الاقحاح وجميعهم كانوا من مؤيدي الحزب الديمقراطي الكُردستاني، وفي أحدى تلك المرات صادف وجودهم زيارة خالد عبدالحليم للنادي، فسمعهم يتحدثون باللغة التركمانية واستفسر عن اسمائهم فسجلها لديه، وفي صباح اليوم التالي ابلغ مدير الشرطة الشهيد حسين شيرواني بأحضارهم لديه، ولما حضروا رحبّ بهم وقال لهم: سمعتم بأن حزب البعث قد قرر منح التركمان الحقوق الثقافية وأنتم كتركمان!! عليكم تأييد هذه الخطوة وأننا مستعدون للتعاون معكم وتأسيس النوادي والجمعيات الثقافية لكم وصرف المساعدات المالية اللازمة لذلك. فضحك هؤلاء الأخوة فتحدث أحدهم وهو المرحوم سامي نورالدين الذي لم يكن يجيد اللغة العربية اجادة تامة، قائلاً:«استاذ انت كلش ياغنيش أحنا أكراد » أي بمعنى «استاذ أنك واهم جداً فأننا من الكُرد ». فأصيب المتصرف بخيبة أمل وصرفهم، وهذا مثل واحد لكثير من افراد العوائل العريقة في أربيل والتي اعتادت على استعمال اللغة التركمانية ولكن في الحقيقة أنهم أكراد وينحدرون من أحدى العشائر أو العوائل الكُردية القديمة في منطقة كُردستان، كعوائل العزيري والچاوشلي والدوغره مچي وغيرها. وهنالك كثير من افراد هذه العوائل الكريمة من مؤيدي الحزب الديمقراطي الكُردستاني أو من منتسبيه وأن جميع هذه العوائل وغيرها وبدون استثناء كانوا من مؤيدي الثورة الكُردية وشخص البارزاني، وقد اثبتت الانتخابات العامة التي جرت سنة ١٩٩٢ صحة هذا الرأي.

بعد عودة وفدنا مباشرةً، اعلنت الحكومة عن أكتشاف مؤامرة مزعومة ونفذت احكام الاعدام بعدد كبير من الضباط والمدنيين وكان بعضهم رهن الاعتقال منذ عدة أشهر، وكانت تلك المؤامرة حجة للقضاء على ذلك العدد من

الخصوم الذين كان ذنبهم الوحيد أنهم لم يكونوا بعثيين.

وتبين بأن النظام كان ينوي تنفيذ هذه العملية منذ أيام الا ان وجودنا في بغداد قد أجّل ذلك لحين عودة وفدنا.

وبعد أقل من اسبوع، وصل كُردستان وفد آخر رفيع المستوى ايضاً برئاسة الفريق الركن الطيار حردان التكريتي ومعه عدد من كبار المسؤولين في النظام، وبعد اجراء جولات من المناقشة انتهت الزيارة دون التوصل الى أية نتيجة، وتقرر قيام وفدنا بزيارة أخرى الى بغداد بعد بضعة أيام من الزيارة الثانية للوفد الحكومي. كان الغرض من ارسال تلك الوفود الى كُردستان وعقد تلك الجولات المتعددة من المفاوضات اظهار عجز قادة الحزب والعسكريين في التوصل الى حل للقضية الكُردية وترك الامر لصدام حسين نفسه للقيام بذلك الانجاز، وفي اعتقادي أن الأمر كان متفقاً عليه بين البكر وصدام، لأفهام الرأي العام العراقي والكُردي بأن في مقدورهما وحدهما حلّ المشاكل.

سافر وفدنا في زيارة ثانية الى بغداد في كانون الثاني أو أوائل شباط سنة ١٩٧٠ وحلّ ثانيةً في القصر الابيض الذي كان يعتبر من دور الضيافة الحكومية الرئيسية بعد قصر الزهور آنذاك، ولقي الوفد كالسابق ترحيباً حاراً وكان المسؤولون وبضمنهم صدام حسين، يؤدون الزيارات المتكررة للوفد في محل اقامته بعد الانتهاء من الاجتماعات.

وأذكر انه في أحدى الزيارات وبينما كان صدام حسين متواجداً همس الينا الفريق الطيار حردان التكريتي راجياً منا، أن نطلب من صدام حسين اطلاق سراح الفريق طاهر يحيى الذي كان رهن الاعتقال وتعرض لأنواع التعذيب، وقد طلبنا ذلك فعلاً الا ان صدام حسين لم يعطنا جواباً كافياً أو وعداً قاطعاً بذلك.

ومرت هذه الجولة والخلافات تزيد بين الجانبين وحتى أن النقاط التي بحثت سابقاً وتم الاتفاق عليه قد تراجع عنها الجانب الحكومي مما أثار دهشتنا.

وفي أحد الايام وفي الوقت المحدد للأجتماع تأخر الجانب الحكومي عن مرافقتنا الى مكان الاجتماع وبعد مضي أكثر من ساعة تم اخبارنا بأن الاجتماع قد تأجل الى مابعد ظهر ذلك اليوم، وعند حلول الوقت تأخر عقد

الاجتماع ايضاً، فأصبحنا نضرب أخماساً بأسداس وساورتنا الشكوك والقلق الى ساعة متأخرة من النهار، وقبل غروب الشمس بساعة واحدة تقريباً حضر الى مقرنا الفريق الركن صالح مهدي عماش مبتسماً وأخبرنا بأن (السيد النائب صدام حسين قد عاد لتّوه من زيارة خاطفة للبارزاني وسيصل مقرنا قريباً)!!.

بعد أقل من نصف ساعة وصل مقر اقامتنا في القصر الابيض صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة مبتسماً، وبعد تبادل كلمات الترحيب قال بأنه كان في زيارة للبارزاني وقال بالحرف الواحد: (سبحان الله ان هذا الرجل هو تماماً بعكس ما صوروه لنا، فهو رجل وطني مخلص ومتواضع جداً). ثم بدأ بسرد تفاصيل زيارته وما لقيه من حفاوة وترحيب، وتكلم عن وجود حسن النية والجدّية لأجل التوصل الى حل سلمي للقضية الكُردية، وكان بيده مبسماً خشبياً من صنع يدوي كُردي وقال بأنها هدية من البارزاني. وقد أبدى بعضنا أعتراضه على السفر دون اطلاعنا ليرافقه عدد من أعضاء الوفد ولكن يظهر ان ذلك كان متعمداً وأن الوفد احتفظ به كرهينة دون علمه لحين عودته من تلك الزيارة.

استؤنف الاجتماع في الايام التالية دون التوصل الى أي حّل بل بعكس ذلك لاحظنا تعنتاً وتشدداً من الجانب الحكومي مما دفعنا الى طلب العودة والتشاور مع البارزاني وبقية أعضاء القيادة الكُردية.

وصل الوفد كُردستان وبعد الأجتماع مع البارزاني والقيادة وبحث الأمور بالتفصيل وما وصلت اليه المفاوضات من طريق شبه مسدود، تقرر قطع الحوار وعدم السفر الى بغداد، ومضى حوالي الشهر على ذلك تخللته بعض المناوشات في مناطق مختلفة وأحرزت الثورة الكُردية في جميعها انتصاراً منقطع النظير وتكبدت القوات الحكومية والمرتزقة خسائر كبيرة.

وفي أوائل شهر آذار من تلك السنة أخبرنا آمر موقع رواندوز العقيد الركن طارق (الذي لا اتذكر اسم ابيه وكان ذا سمعة حسنة عند قيادة الثورة الكُردية) بأن متصرف (محافظ) أربيل خالد عبدالحليم يرغب في التوجه الى منطقة الثورة ولقاء البارزاني والقيادة، فكان ردّ القيادة ايجابياً وأبدت

الترحيب، ووصل في اليوم التالي محافظ أربيل الذي كان عضواً بارزاً في حزب البعث ومعه مدير شرطة أربيل الشهيد العقيد حسين شيرواني والمرحوم محمد حسن دزه يي والعقيد الركن طارق المنوه عنه اعلاه ومدير الأمن الذي كان قد حّل محل مدير الأمن السابق عبدالجبار الدليمي الذي نقل الى أحد الألوية الجنوبية لأنه كان رجلاً مسالماً ومن اصدقائنا وقد التحق فيمابعد بالثورة.

وبعد الترحيب التقى الوفد بالبارزاني والقيادة في مقر المكتب السياسي في قرية ناوپردان (منطة بالك- قضاء چومان) وتحدث عن رغبة النظام في استمرار الحوار وحلّ القضية الكُردية ثم تكلم عن رغبة (السيد النائب صدام حسين) في زيارة المنطقة على رأس وفد اذا كانت لدى الجانب الكُردي تلك الرغبة ايضاً، وأبدى البارزاني والقيادة بصورة عامة ترحيبه بذلك حتى في حالة عدم التوصل الى أي أتفاق.

عاد متصرف أربيل والوفد المرافق له بعد تناول طعام الغذاء حاملاً تلك الرسالة الشفوية الى صدام حسين وقيادة البعث.

في اليوم الثامن من شهر آذار سنة ١٩٧٠ استلمنا برقية من آمر موقع رواندوز مفادها أن (السيد النائب صدام حسين) سيصل صباح اليوم التاسع على رأس وفد، وفي اليوم المذكور وصل صدام حسين ومعه كل من الفريق الركن صالح مهدي عماش (وزير الداخلية ثم أصبح نائباً لرئيس الجمهورية)، ومرتضى سعيد عبدالباقي الحديثي الذي كان وزيراً للاقتصاد ثم أصبح وزيراً للخارجية فيما بعد، وآخرين لا اذكرهم، حلّوا جميعاً في بناية مدرسة ناوپردان التي كانت من أنسب الأماكن المتوفرة وفيها أربعة أو خمس غرف، وكان مع الوفد كل من فؤاد عارف وعزيز شريف ايضاً كوسطاء بين الطرفين، وكلاهما من الشخصيات المعروفة ويتمتعان بمكانة خاصة وتقدير وأحترام كبيرين عند شخص البارزاني وبقية أعضاء قيادة الحزب والثورة.

استمرت المحادثات والمناقشات على نقاط الخلاف لمدة يومين بلياليهما وقد أقّر الجانب الحكومي خلال تلك الاجتماعات حق الكُرد في التمتع بالحكم الذاتي، وكان ذلك يعتبر مكسباً كبيراً في ذلك الوقت. وكانت نقاط الخلاف

هي كركوك بالدرجة الرئيسية وبقية المناطق الكُردية الأخرى التي لم يعترف الجانب الحكومي بضمها الى مناطق الحكم الذاتي، وأخيراً استقر الرأي على اجراء أحصاء سكاني في المناطق موضوعة الخلاف خلال سنة واحدة من تأريخ صدور الاتفاق. وكان خطأً من الجانب الكُردي اذ كان بالأمكان الاصرار على ذلك المطلب والمطالب الاخرى وحسمها سلفاً دون تركها للمستقبل.

عقد الجانب الكُردي اجتماعاً منفرداً للتشاور برئاسة البارزاني وحضره اعضاء المكتبين السياسي والتنفيذي وأعضاء الوفد بالأضافة الى الأخوان ادريس ومسعود البارزاني. جرى في ذلك الأجتماع تقييم الوضع والمحادثات وكان رأي أكثرية الحاضرين التوقيع على الاتفاق، اما البارزاني فقد ابدى تحفظه وعدم ثقته بحزب البعث ولكنه قرر مسايرة الاكثرية وخاصةً بسبب الأعتراف بحق الكُرد في الحكم الذاتي. عاد الجانب الكُردي الى الاجتماع بالوفد الحكومي وكان الوقت قريباً من منتصف ليلة العاشر من شهر آذار سنة ١٩٧٠، وبعد الانتهاء من الصيغة النهائية للأتفاق جرى التوقيع عليه بعد منتصف ليلة ١٠-١١/٣/١٩٧٠ وسط تصفيق الحاضرين وهتاف الشهيد فرنسو الحريري الذي كان واقفاً عند الباب بحياة الاخوة العربية الكُردية، وبعد أن وقع كل من البارزاني وصدام حسين على نسختين من الاتفاق احتفظ كل منهما بنسخة واحدة ونهضا من مكانيهما وتعانقا وتبادلا التقبيل.

اتصل العسكريون المرافقون للوفد بالجهات المختصة لأحضار أربع طائرات مروحية صباح اليوم التالي في جبل سپيلك حيث معسكر للجيش هناك، ويقع في نهاية مضيق (گلي علي بك) عندما تتوجه من جهة رواندوز.

وفي صباح يوم ١١/٣/١٩٧٠ وبعد تناول طعام الفطور وبعد أن أنضّم الى وفدنا كل من السادة حبيب محمد كريم سكرتير الحزب وادريس ومسعود البارزاني عضوي اللجنة المركزية للحزب ونجلي الزعيم الراحل مصطفى البارزاني وعدد من افراد الحماية غادر الجميع قرية ناوپردان بالسيارات الى المكان المحدد، وكان الجو ممطراً والارض موحلة وعند وصولنا موقع المروحيات استقبل الجنود الوفد بفرح بالغ وعندما اخبرهم الفريق عماش بأن الاتفاق قد تم وأن المشكلة قد انتهت، رفعه الجنود على أكتافهم هاتفين بحياة البارزاني

والبكر فرحين مهللين، وشاهدت بين الجمع صديقاً قديماً وزميل دراستي في المتوسطة وهو خالد لفتة وكان برتبة مقدم أو عقيد وآمر الوحدة المرابطة هناك ولما شاهدني تعانقنا ورحّب بيَّ كثيراً وأبدى فرحه الشديد للأتفاق.

توجه الوفدان الى كركوك حيث تناولنا طعام الغداء ثم توجه الجميع الى بغداد بطائرة خاصة وبعد السلام على رئيس الجمهورية توجه الجميع الى فندق بغداد الذي اختير محلاً لأقامة الوفد نظراً لكثرة عددنا وسعته، وقد تخلف الدكتور محمود علي عثمان وأعتقد الأخوان ادريس ومسعود البارزاني وذلك لصياغة البيان الخاص الذي يعلن بموجبه الأتفاق. وقد طلب الجانب الحكومي بأن الرئيس البكر سيعلن نص الاتفاق مسبوقاً بمقدمة خاصة توضح جهود البعث وانجازاته، ثم يلي ذلك القاء بيان تأييد من البارزاني يتلوه الدكتور محمود عثمان يؤكد فيه الاتفاق، وسيذاع كل ذلك في الساعة الثامنة من مساء يوم الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧٠، وأعلنت الاذاعة قبل ذلك مراراً بأن بياناً هاماً سوف يذاع قريباً فيه مصلحة الشعب العراقي.

عند صدور البيان واعلان الاتفاق، امتلأت الشوارع بالجماهير بصورة عفوية وكان أكثرها من الاكراد وأبدت فرحها بالمناسبة وأستمرت تلك الاحتفالات الى ساعات الفجر والدبكات تقام في الشوارع والساحات العامة.

في صباح اليوم التالي، أي في يوم ١٢ آذار سنة ١٩٧٠ نظمت مسيرة كبرى في شوارع بغداد وقد وصلت الوفود من كافة الالوية وخاصةً من كُردستان وتوجهت بعد اعلان نبأ الاتفاق مباشرةً، ووصلت العاصمة للمشاركة في ذلك الحدث السعيد، أجتمع قادة البعث وعلى رأسهم البكر وصدام حسين مع الوفد الكُردي في الباب الشرقي على المنصة الخاصة بمناسبات الاحتفالات ومرت الجماهير الفرحة أمام المنصة وهي ترقص وتغني وتوزع الحلوى والقى البكر كلمة بهذه المناسبة وقد وقف الى جانبه كل من ادريس ومسعود البارزاني شابكين الايدي المرفوعة، ثم القى الدكتور محمود علي عثمان كلمةً بهذه المناسبة.

كان الوفد الكُردي يستقبل يومياً آلاف الاشخاص من المهنئين وخاصةً من الكُرد وأستمر ذلك عدة أيام، أقيمت الولائم في القصر الجمهوري، وكذلك

دعوات خاصة للوفد كل يوم في دار أحد المسؤولين، وكذلك نظمت جولات الى بعض الألوية شارك فيها عدد من أعضاء الوفد مع عدد من كبار المسؤولين الحزبيين والحكوميين.

كان الوفد فيما عدا الولائم يقوم ببعض الزيارات الى بيوت المسؤولين، وفي أحدى زياراتنا عصر أحد الأيام الى دار عبدالخالق السامرائي الذي كان عضواً في القيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي ومن أكثر الحزبيين شعبية قاطبةً، كانت الدار متواضعة جداً بعكس دور كبار المسؤولين وكانت دون دور الطبقة الوسطى تحتوي على آثاث قديم ومتواضع جداً وكان عبارة عن مقاعد خشبية مغطاة بغطاء أبيض كالتي تستعمل في الدور القديمة أو المقاهي، وعند تقديم الشاي أخذ السامرائي يقوم بتوزيعه بنفسه دون وجود خادم أو معين وكانت اقداح الشاي قليلة العدد بحيث لاتكفي لعدد الزوار واضطررنا الى شرب الشاي بالتناوب وعلى وجبتين أو أكثر، كان عبدالخالق السامرائي شخصاً نزيهاً وحزبياً صادقاً لايتهم بمال أو جاه أو منصب لذا كانت شعبيته كبيرة وكان يفوز بأكثرية الاصوات قاطبة ثم يتنازل للبكر عن مركزه، وكان صادقاً في ضرورة حل القضية الكُردية سلمياً ومؤمناً بحقوق الشعب الكُردي. وعندما ترأس لجان التحقيق في التآمر على حياة البارزاني كان يعترف دائماً بمسؤولية حزبه ويبدي اشمئزازه وامتعاضه من تلك الطريقة.

بسبب كل ذلك أخذت المؤامرات تدور حوله للخلاص منه فأتهم في مؤامرة ناظم گزار سنة ١٩٧٣ وحكم عليه بالسجن المؤبد ولم ينج نهائياً، ففي سنة ١٩٧٩ عندما تولى صدام حسين رئاسة الدولة بعد البكر اتهمه بالمشاركة في المؤامرة المزعومة فأعدم مع عدد كبير من قادة حزب البعث والكوادر المتقدمة رحمه الله.

بعد الانتهاء من تلك الاحتفالات والتي دامت زهاء اسبوعين بدأت المشاورات لتشكيل الوزارة الجديدة وكان الاتفاق قد جرى على اشتراك خمسة وزراء من الكُرد في الوزارة المركزية.

قبل مغادرة وفدنا منطقة قيادة الثورة الكُردية الى بغداد لأعلان الاتفاق، جرى التشاور مع البارزاني على اسماء المشتركين فزود البارزاني الوفد بقائمة بالأسماء المرشحة التالية حسب التسلسل الذي ورد في ورقة الترشيح وبخط البارزاني نفسه:

١- محسن دزه يي.
٢- احسان شيرزاد.
٣- حبيب محمد كريم.
٤- صالح اليوسفي.
٥- علي عبدالله.

قبل تقديم أسماء المرشحين كانت تجري لقاءات جانبية وشبه سرية بين بعض أعضاء الوفد وعلمت أخيراً بأن هناك تلاعباً بالقائمة وتغييراً في بعض الأسماء الواردة فيها دون الحصول على موافقة البارزاني أو الرجوع اليه، كما علمت منه فيما بعد، ولا ادري ان كان الاخوان ادريس ومسعود مطلعان على هذا الأمر أم لا وأخيراً قدمت قائمة المرشحين الى البكر مستبدلين كل من محسن دزه يي وحبيب محمد كريم وعلي عبدالله وحل محلهم في القائمة كل من محمد محمود عبدالرحمن (سامي) ونوري شاوه يس ونافذ جلال.

في الواقع لم أكن مهتماً كثيراً بأشتراكي في الوزارة أم لا وكنت قد رفضت ذلك المنصب ايضاً سنة ١٩٦٨ لولا اصرار البارزاني، كما وأن التحاقي بالثورة منذ البداية لم يكن دافعه منصب أو جاه لأنه لو كانت هذه هي الحقيقة لكان بالأمكان الحصول على ذلك بطرق أخرى، ولكن الدافع القومي هو الذي دفعني للألتحاق، ولكن آلمتني تلك الطريقة الملتوية، ولو كنت قد أخبرت صراحةً لما ترددت في التنازل اذا كانت المصلحة العامة تقتضي ذلك، أو اذا كان الآخرون أشد رغبة في الوصول الى هذا المنصب.

وفي اليوم السابع والعشرين على ما أظن كان الاخ ادريس البارزاني قد قرر العودة الى كُردستان، فقررت العودة معه رغم أن بعض زملائي من أعضاء الوفد ظنوا بأنني سوف أذهب لمقابلة البارزاني وأعمل على تغيير القائمة وكانوا خائفين على مناصبهم المنتظرة. غير اني اصريت على العودة الى منطقة القيادة الكُردية، كان الاخ مسعود البارزاني قد عاد قبل ذلك بطلب من البارزاني، وعدت مع ادريس وكذلك عاد كل من حبيب محمد كريم والدكتور محمود عثمان وعند نزولنا في كركوك دعانا علي سنجاري والذي كان مسؤولاً لفرع الحزب الديمقراطي الكُردستاني في كركوك لحضور الاحتفال الجماهيري المقام قرب كركوك، بمناسبة عيد نوروز فحضرنا جانباً من الاحتفال ثم أكملنا السفر الى منطقة ناوپردان بطائرة مروحية فوصلناها عصراً.

ذهبت لمقابلة البارزاني فرحب بي وأطلعته على سير الامور وكذلك قصة تغيير اسماء المرشحين للوزارة وعندما اراد أن يبعث ببرقية للمسؤولين بذلك، رجوته أن لايفعل ذلك لكي لانصبح موضع سخرية أمام الجانب الحكومي وأوضحت له بأن المناصب غير مهمة ولكن المهم أن يخدم الشخص في أي حقل ممكن، وتألّم البارزاني كثيراً وقال بأن هذه ليست هي المرة الوحيدة التي تخالف فيها تعليماته بل اراد البعض القيام ببعض الأمور دون رغباته، وشكرته على ترشيحه لي في أول الأمر وثم ودعته عائداً الى مقري، والتقينا مساء اليوم نفسه في مقر اقامة عقيد الشرطة الشيخ رضا گولاني -الذي اصبح فيما بعد مديراً لشرطة أربيل- وتناولنا طعام العشاء عنده مع حبيب محمد كريم والدكتور محمود عثمان، وأمضيت بضعة أيام في مقري ولم يكن هناك أي عمل نزاوله غير النظر في طلبات التعيين في الوظائف الحكومية بعد اعلان الاتفاقية، وعدت بعد زهاء اسبوع الى أربيل بقصد الاجازة والاستراحة وكنت التقي ببعض المسؤولين خلال زياراتهم لأربيل، وأطلعت في أحد الايام وكان في الاسبوع الاول من شهر نيسان على خبر تعييني سفيراً في وزارة الخارجية، فلم اندهش كثيراً لأن من حلّوا مكاني في الوزارة ظنّوا أنني مستاء من ذلك التصرف فأرادوا تعويضي، سافرت الى مقر قيادة الحزب في ناوپردان وذهبت لمقابلة البارزاني في اليوم نفسه واطلعته على الخبر وعدم رغبتي في اشغال أي منصب حكومي ولكن البارزاني قد شجعني على قبوله وقال بأننا قد نحتاجك في خارج كُردستان، وقال اقضي بعض الوقت في هذا المنصب واذ لم يرقك محل عملك، فبأستطاعتك الاستقالة، فرأيت في ذلك فكرة جيدة وخاصة وأني كنت أنوي السفر الى خارج العراق لبعض الوقت.

سافرت الى بغداد وباشرت بعملي في وزارة الخارجية كسفير وكنت أقضي بعض الوقت في بعض ايام الاسبوع في الصالة المخصصة للسفراء دون مزاولة أي عمل، وصدر أمر تعيين كل من اللواء المتقاعد عبدالرحمن القاضي[١٤] واللواء المتقاعد معروف الشيخ محمد غريب الحفيد[١٥] كسفراء في وزارة الخارجية، وقد استقال هذا الاخير بعد بضعة اسابيع لأن مقدار مرتب تقاعده كان يزيد على راتبه الجديد الذي يقبضه كسفير.

تعييني سفيراً للعراق في براغ

بعد مضي اسبوعين على تعييني سفيراً في ديوان وزارة الخارجية التقيت في حفلة أحدى السفارات بالفريق سعدون غيدان وزير الداخلية (حل محل صالح مهدي عماش الذي اصبح نائباً لرئيس الجمهورية) وأبدى سروره بتعييني وقال بأنه في النية ارسالي الى جيكوسلوفاكيا كسفير للعراق في براغ، وأخذ يمتدح ذلك البلد وتلك المدينة فقد زارها قبلاً، ولم أكن قد زرت البلد المذكور قبلاً ولما أخبرته بوجود السيد اسماعيل العارف كسفير هناك، أجابني بأنه سوف يحال على التقاعد، وأنتظرت مرة أخرى ولم آخذ الكلام محمل الجّد، الى أن قابلت وزير الخارجية كريم الشيخلي فسألني عن رأيي في تعييني سفيراً للعراق في براغ فأيدت الفكرة، وبعد حوالي أسبوع زرت مدير الذاتية في الوزارة فأخبرني بصدور قرار نقل اسماعيل العارف الى ديوان الوزارة، وأن أسمي قد قدّم الى الحكومة الجيكوسلوفاكية كسفير جديد للحصول على موافقتها حسب الاصول الدبلوماسية.

بعد حوالي الشهر التقيت في أحدى المناسبات بالسفير الجيكوسلوفاكي في بغداد الدكتور (هروزا) الذي أخبرني بأن الموافقة الاصولية قد وردت من وزارة الخارجية الجيكوسلوفاكية وسألني عن موعد السفر واستلام السفارة، وعن الموعد الذي اختاره لأقامة حفلة الاستقبال التي جرت العادة على اقامتها تكريماً لأي سفير جديد من قبل سفير تلك الدولة التي قد انتدب اليها، فشكرته وقلت بأنني لست على عجلٍ فهناك المؤتمر الثامن للحزب الذي يعقد قريباً وعليَّ حضوره وكذلك لفسح المجال أمام السفير السابق اسماعيل العارف لأكمال عمله، وعلى كل فقد حددنا موعد اقامة الحفل في شهر تموز أي بعد الانتهاء من أعمال المؤتمر، وقد أصبح السفير (هروزا) فيما بعد وكيلاً لوزارة الخارجية الجيكوسلوفاكية وتعمقت الصداقة بيننا واستمرت تلك الصداقة حتى بعد نقلي من براغ.

المؤتمر الثامن للحزب

كان قد مضى ما يقارب الاربع سنوات على عقد المؤتمر السابع للحزب، لذا اتجه التفكير الى عقد المؤتمر الثامن نظراً لمرور تلك المدة ونظراً للظروف المستجدة بعد اتفاقية آذار، وكانت تلك المدة هي التي تفصل عادةً مؤتمرين عن بعضهما تقريباً، لذا تقرر عقد هذا المؤتمر في ١٩٧٠/٧/١، أي بعد مضي أقل من أربعة أشهر على اتفاقية آذار، وانسجاماً مع الجو السلمي الذي عمّ كُردستان بعد الاتفاقية والتقارب الحاصل بين الحزب من جهة والسلطة المركزية وحزب البعث العربي الاشتراكي من جهة أخرى، فقد سمي المؤتمر بـ(مؤتمر السلام والوحدة الوطنية) وعقد تحت هذا الشعار، عقد المؤتمر في قرية ناوپردان وحضره ما يقرب من خمسمائة مندوب حزبي يمثلون مختلف التنظيمات الحزبية ومختلف الفئات وحضر جلساته رئيس الحزب الزعيم الراحل مصطفى البارزاني والقى كلمة مطولة، رحب بالحاضرين واشاد فيها بالأتفاقية الجديدة وطلب العمل والتعاون لتنفيذها ونسيان سلبيات الماضي وغيرها من النصائح، وقد حضر المؤتمر وفود كثيرة من داخل العراق وخارجه ووفود من بعض الاحزاب الكُردستانية الحليفة، وقد حضر حزب البعث بوفد كبير على مستوى رفيع رأسه أحد أعضاء القيادة القومية وكان سودانياً أسمه محمد سليمان وسمير عبدالعزيز النجم وغيرهما من البعثيين البارزين، وكذلك حضر وفد كبير عن الحزب الشيوعي العراقي الذي انتقد في كلمته موقف البعث والنظام من معاملة الشيوعيين، وحضر كذلك ممثلون عن الحزب الوطني الديمقراطي والحركة الاشتراكية العربية وممثلون عن الكُرد المقيمين في لبنان وعن منظمات الحزب وجمعية الطلبة الاكراد في اوروپا والولايات المتحدة وكذلك الشخصية الكُردية المعروفة (الدكتور كاميران بدرخان والسيدة عقيلته) اضافةً الى عدد كبير من قادة الپيشمه رگه والشخصيات الاخرى.

واستمر المؤتمر عدة أيام تليت خلالها التقارير الحزبية عن الاعمال السابقة ومنهج المستقبل، وأجري التعديل على منهاج الحزب حسب التطورات الاخيرة، وأنتخب المؤتمر لجنة مركزية جديدة مكونة من أكثر أعضاء اللجنة المركزية

السابقة مضافاً اليها الاخوان ادريس ومسعود البارزاني وبعض قادة الپيشمه رگه وشخصيات أخرى جديدة كما جرى منح الثقة بالمكتب السياسي السابق وهكذا انتهى المؤتمر الثامن.

قبل عقد المؤتمر بأيام قليلة دار الحديث حول الترشيح لعضوية اللجنة المركزية وضرورة كون كل من يشغل المناصب العليا أن يكون في صفوف تنظيمات الحزب. ذهبت لمقابلة البارزاني واستفسرت منه فيما اذا كان ذلك هو رغبته، فأبدى رأيه في ذلك وقال بأنه لايفرق بين كل من يقوم بخدمة شعبه بأخلاص سواء كان من ضمن تنظيمات الحزب أو خارجه وان المقياس الحقيقي هو خدمة الشعب وأن الانضمام الى تنظيمات الحزب هو أحد الوسائل لأداء تلك الخدمات عن طريقه، فقررت عدم الانضمام بصورة رسمية الى هذه التنظيمات، ولازال ولغاية اليوم يجري التساؤل حول كوني حزبياً أم لا؟ وأقول بصراحة اذا كانت الحزبية تعني الانضمام الى أحدى الخلايا والمنظمات واللجان المحلية -أي على الطريقة الكلاسيكية القديمة- فأني قد أجتزت هذه المرحلة منذ عقود طويلة ولست بحاجة اليها، ولكنني أوجه أنا سؤالاً الى القاريء الكريم، اذ ماذا يعني اشتراكي في ثورة شعب وأنضمامي الى صفوفها والعمل فيها لأربعين عاماً وأن تلك الثورة يقودها الحزب الديمقراطي الكُردستاني وشخص رئيسه مصطفى البارزاني وبعد رحيله رئيسه مسعود البارزاني؟ وكذلك العمل كل هذه المدة الطويلة في صفوفها وقيادتها التي هي قيادة الحزب، اذا لم يكن كل ذلك هو قبولاً بالحزب وقيادته فماهي الحزبية اذن؟!! أنني مؤمن بالحزب ايماناً كاملاً وعملت تحت قيادة رئيسه كل هذه المدة الطويلة التي لابد وأن تصدر عن قناعة كاملة.

سفري الى براغ كسفير جديد للعراق

بعد انتهاء المؤتمر ببضعة أيام اقام سفير جيكوسلوفاكيا في بغداد حفلة استقبال لي في دار السفارة في حي العلوية ببغداد، وقد حضرها جمع غفير من الاكراد يتقدمهم ادريس البارزاني الذي كان متواجداً في بغداد وجميع الوزراء الاكراد والحزبيون والشخصيات الاخرى اضافةً الى جميع السفراء والدبلوماسيون المقيمون في بغداد، كان ذلك في حوالي النصف الثاني من شهر تموز سنة ١٩٧٠ وقد تعرف السيد ادريس البارزاني على عدد كبير من الدبلوماسيين ومندوبي السفارات الاخرى حيث كان موضع حفاوة وترحيب الجميع.

بعد ذلك الحفل أخذت بالتهيؤ للسفر وحددت موعداً لذلك في الاسبوع الثاني من شهر آب من تلك السنة، ذهبت لزيارة البارزاني للأستئذان منه بالسفر في أواخر تموز وكان الاخ ادريس قد عاد من بغداد، وأجتمعت به في حاج عمران في أحدى الدور التي كانت قد شيدت خلال فترة الهدنة سنة ١٩٦٧ وكانت داراً متواضعة ولكنها تعتبر مناسبة بالنسبة للدور الاخرى التي اعتاد الجميع على الاقامة فيها ايام القتال.

وقد كنت املك بندقية كلاشينكوف شخصية كانت من أنظف وأجمل البنادق الموجودة في الثورة -سبق وأن أشرت اليها- وقد قدمتها للبارزاني ليتصرف بها كيفما يشاء وكذلك كانت بحوزتي سيارة (لاندروڤرستيشن) هي ملك الثورة فأعدتها للقيادة، وبينما كنت جالساً مع البارزاني في تلك الدار وعلى مقعد بجواره شاهدت موقفاً يدل على كرم البارزاني وتواضعه وحرصه على تقديم يد المساعدة لكل من يحتاجها ودليل على درجة عفوه عند القدرة، كان الوقت قبل غروب الشمس ونحن قبالة الباب الخارجي للدار في جلوسنا فرأينا خارج الدار شيخاً مسناً يرتدي الملابس العربية ومعه امرأة عجوز كانت ترتدي الزي الريفي العربي، فأمر البارزاني فوراً بأحضار الرجل وايصال المرأة الى الحريم، وحضر الرجل وكان يمشي بصعوبة فأخليت له مقعدي وجلس جنب البارزاني وكانت يداه ترتجفان ولا ادري ان كان ذلك بسبب مرض أو شيخوخة

أو بسبب ارتباكه. وبعد ان رحب به البارزاني واشعل له سيجارة قدم له الشاي وقبل تناوله اياه وجه كلامه للبارزاني وقال انا والد عبدالعزيز العقيلي وهو ولدي الوحيد والآن هو رهن الاعتقال ومحكوم عليه بالأعدام فجئت راجياً مساعدتي وانقاذ حياته، هدأه البارزاني وطلب منه تناول الشاي وقال أن العقيلي كان من أشد المناوئين للثورة الكُردية ومن الّد أعداء الشعب الكُردي وكانت له دوماً مواقف متشددة ومعادية ولو قدر لنا لقائه عندما كان في الحكم لقتلناه ولكن الله لم يوفقنا، ولكن الآن مادمت في محنة ومادام هو في هذا الموقف فسأبذل كل مايمكنني من الجهود لأنقاذ حياته فأرجو أن تطمئن، وسأرسل غداً ولدي ادريس الى بغداد مع رسالة شخصية الى رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر لهذا الغرض، فشكره الرجل ودعا له بالعمر المديد والتوفيق.

وكان البارزاني عند وعده فقد أرسل نجله ادريس الى بغداد مع الرسالة، وقابل البكر وأخذ منه وعداً بتخفيف العقوبة وبعد بضعة أيام صدر قرار بتخفيض عقوبة الاعدام الى السجن لمدة عشر سنوات، وعلمنا أن العقيلي قد مات في السجن بعد سنوات ولا ادري فيما اذا كانت الوفاة طبيعية أم أنه قد قتل في السجن -رحمه الله وسامحه-.

استأذنت بالسفر من البارزاني وأوصاني بالجّدية في عملي الجديد كما تمنى لي الموفقية وقال لي: أرجو ان لاتنسى شعبك المظلوم، تركت البارزاني وقضيت تلك الليلة في مقر المكتب السياسي وسافرت الى أربيل في اليوم التالي وبقيت فيها يومين أو ثلاثة وبعدها توجهت الى بغداد، وقابلت كل من الرئيس البكر ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين للأستئذان بالسفر، وقد زودت بأوراق الاعتماد وهي رسالة خاصة من رئيس الجمهورية العراقية موجهة الى الرئيس الجيكي وفيها عبارات التخويل والتفويض كسفير معتمد للعراق في براغ، وثم قابلت وزير الخارجية وفي اليوم العاشر من شهر آب (أغسطس) من سنة ١٩٧٠ غادرت بغداد متوجهاً الى بيروت يصحبني ولداي شيروان الذي كان يبلغ الخامسة عشر من عمره تقريباً وبارزان الذي كان في الثانية عشر تقريباً.

وفي اليوم الذي يسبق سفري وصل الى بغداد عدد كبير من اصدقائي ومعارفي وخاصةً من زملائي ورفاق دربي في الثورة الكُردية من افراد

الپيشمه ركه وبصورة خاصة من قوات منطقة أربيل يتقدمهم قائد تلك القوات البطل فارس باوه وأمراء أفواج تلك القوة الابطال من أمثال سيد كاكه وعثمان يوسف وسمكو علي ومحمد عزيز به ر به يار وغيرهم وكذلك اصدقائي الآخرين من أربيل وأطرافها وجاوز عددهم المائة شخص، وفي المساء اقيمت لي حفلة توديع شعبية كبرى من قبل هؤلاء الاصدقاء والاقارب في حديقة فندق العراق الحديث في شارع السعدون والذي كان يعود لصديقنا المرحوم (عبد متي) وكانت الحفلة رغم بساطتها ممتعة جداً تتميز بطابع الحب والمودة والصداقة الحقيقية.

وفي اليوم التالي عند سفري رافقني ذلك الجمع الكبير الى مطار بغداد لتوديعي وكانت تظاهرة اندهش بسببها مودعي الرسميين من وزارة الخارجية العراقية ومن ممثلي السفارة الجيكوسلوفاكية، وان ذلك من الذكريات العزيزة عندي.

سفيراً في براغ

وصلت بيروت وقضيت فيها ثلاث أو أربعة أيام التقيت فيها بالشخصية الكُردية المعروفة السيد بابا علي الشيخ محمود الذي كان يقيم هناك وقضينا معاً بعض الوقت وكذلك التقيت بأصدقاء آخرين وزرت السفارة العراقية والتقيت بالسفير عبدالفتاح الياسين، والتقيت في بيروت بأبن عمي وصديقي محمد حسين ملا دزه يي الذي كان موظفاً في وزارة الزراعة وكان في لبنان لعدة أيام ولا أدري ان كانت زيارته خاصة أو في مهمة رسمية، والتقيت كذلك في مصيف عاليه بصديقي (الحاج هادي الراوي) الذي كان مفتشاً في وزارة الداخلية وكان من الناس المرحين جداً وقضينا معاً وقتاً ممتعاً.

غادرت بيروت قاصداً ڤينا في الخامس عشر من شهر آب وهناك استقبلني السفير العراقي الدكتور حمد دلّي الكربولي وعقيلته الدكتورة سعاد مجيد سهيل التي كانت زميلة دراستي في كلية الحقوق وكذلك صديقي القديم مالك عبدالحميد الياسري الذي كان يعمل في السفارة العراقية بڤينا.

اتصلت بسفارة براغ هاتفياً وتقرر أن اسافر اليها يوم الثامن عشر من الشهر وكلمت من ڤينا كل من السادة طارق العاني مدير الحسابات في السفارة وثامر الاعظمي السكرتير الثالث في السفارة الذي كان قائماً بالأعمال. وعندما كنت في بغداد وقابلت وزير الخارجية طلبت منه نقل هاني توفيق النائب الذي كان سكرتيراً أولاً الى براغ لكونه زميل دراستي في كلية الحقوق، كما أن زوجته السيدة سراب بابان هي كريمة آخر رئيس وزراء في العهد الملكي أحمد مختار بابان وهي ايضاً ابنة شقيقة صديقي محمود بابان. الا ان وزير الخارجية لم يوافق على ذلك ووعدني بأن ينقل شخصاً آخر يحظى برضاي ايضاً. وفعلاً فقد تم بعد اسابيع نقل السيد عبدالقادر القلمچي من المغرب الى براغ وكنت أعرفه سابقاً ايضاً وبقي معي طيلة عملي في براغ تقريباً وقد نقل الى بغداد قبل تركي براغ بفترة قصيرة.

توجهت الى براغ في الثامن عشر من شهر آب وصادف ذلك الذكرى الثانية لدخول الجيش السوڤياتي واحتلال جيكوسلوفاكيا بعد حركة دوپتشيك في سنة

١٩٦٨ وانتحار أحد الطلبة وهو (يان پلاخ) بحرقه نفسه احتجاجاً على ذلك، ولم يكن اختيار ذلك اليوم مقصوداً من قبلي بل كان صدفة وعن دون علم، لذا كانت المدينة هادئة ذلك اليوم، ورجال الأمن يجوبون الشوارع، أستقبلني في المطار مدير التشريفات في وزارة الخارجية (الدكتور روشكوت) الذي أصبح فيما بعد من اصدقائي المقربين وبعض السفراء العرب وكذلك جميع أعضاء السفارة وملحقياتها يتقدمهم الملحق العسكري العقيد الركن عبدالرحمن الناصر الذي كنت أعرفه سابقاً اذ كان سكرتيراً للواء رشيد مصلح عندما كان حاكماً عسكرياً عاماً ووزيراً للداخلية في عهد عبدالسلام عارف سنة ١٩٦٤.

اما صديقي القديم عبدالستار الدوري الملحق الثقافي فكان خارج براغ في أحد المصحات للأستجمام (أصبح فيما بعد سفيراً في كوبا ويقيم الآن في اوروپا)، وبعد مراسيم الاستقبال أوصلني مدير التشريفات وأعضاء السفارة الى محل اقامتي والدار المخصصة كسكن للسفير واستقبلني هناك المستخدمون المحليون والعاملون والعاملات في السكن وبعد استراحة قصيرة غادر المستقبلون.

حُدّد اليوم السادس والعشرين من شهر آب موعداً لتقديم أوراق اعتمادي لرئيس الجمهورية الجيكوسلوفاكية حضر الدار مدير التشريفات في وزارة الخارجية ورافقني بسيارة خاصة الى محل اقامة رئيس الجمهورية في (قصر هاراچاني) وهي من القصور الملكية القديمة وتحتوي على لوحات وتحفيات نادرة جداً يزورها السواح بكثرة وهي من معالم براغ الشهيرة.

وقد وصل قبلي بعض موظفي السفارة من الدبلوماسيين والملحقين العسكري والثقافي وكانوا ينتظرون في صالة خاصة، وكان حرس الشرف مصطفاً في ساحة القصر وبعد اجراء المراسيم الاصولية والتحية المتبادلة انتقلت الى القصر وكان رئيس تشريفات القصر ينتظر لدى الباب ودخلنا الصالة الخاصة باستقبال السفراء يتبعني موظفو السفارة وهناك في نهاية القاعة وقف رئيس الجمهورية (الجنرال سفوبودا) وبعد السلام عليه قدمت له أوراق الاعتماد، ثم القيت كلمة مختصرة بالمناسبة تؤكد حسن العلاقات بين القطرين والقى الرئيس كلمة ايضاً رداً على كلمتي، ثم قدمت له أعضاء السفارة واحداً واحداً وثم انتقلنا

الى غرفة أخرى مجاورة وأقتصر العدد على رئيس الجمهورية ورئيس التشريفات وأنا.

كان رئيس الجمهورية رجلاً مسناً ومن الجنرالات العسكرية وأحد أبطال المقاومة ولم يكن له أي مركز حزبي ولا أعتقد بأنه كان يؤمن بالشيوعية أصلاً ولكنه أختير لأشغال ذلك المنصب الشكلي والبروتوكولي لتمتعه بأحترام الجميع ولسنه ودوره السابق، تبادلنا بعض الاحاديث القصيرة وكان على علم بأنني كُردي وكان قد سمع بالبارزاني ويعرفه من بعيد بالرغم من عدم اللقاء به وكان على علم بمرور البارزاني بجيكوسلوفاكيا سنة ١٩٥٨ في طريق عودته الى العراق من الاتحاد السوفيتي رغم مضي تلك المدة الطويلة.

وبعد أن أنتهت مراسيم تقديم اوراق الاعتماد عدنا الى الدار المخصصة لأقامة السفير ورافقني بسيارتي رئيس التشريفات في وزارة الخارجية، وقد أكتسبت الصفة الرسمية بعد تلك المراسيم مباشرةً، فرفع العلم العراقي على السيارة وعلى دار السفير. وبعد قضاء مدة قصيرة وتناول بعض المرطبات والكعكة الخاصة بهذه المناسبات تفرق الجميع وتوجهت أنا الى دار السفارة وباشرت بعملي بصورة رسمية. وأول عمل قمت به توجيه الرسائل الروتينية الى جميع رؤساء البعثات الدبلوماسية المعتمدة في براغ لأعلامها بتقديم أوراق اعتمادي بصورة رسمية.

ونلاحظ أن المدة بين تأريخ وصولي براغ وتقديم أوراق اعتمادي هي اسبوع واحد فقط، وهذا دليل على العلاقات الحسنة بين الدولتين العراقية والجيكوسلوفاكية، وفي العادة تتم هذه العملية وتطول أو تقصر مدتها حسب نوع هذه العلاقات فقد تستغرق اسابيعاً أو أياماً، وبعد توجيه تلك الرسائل بدأت بالزيارات الاعتيادية لرؤساء البعثات حسب الاصول وكانت تتم بحسب علاقات دولة الممثلين مع العراق أو حسب القدم وبمعدل زيارتين في اليوم الواحد. وثم بدأت عملية ردّ الزيارات لي وقد استغرقت عمليات تبادل الزيارات أشهراً.

كان عميد السلك الدبلوماسي هو السفير السوفيتي وأسمه (چرنينكو) وكان يقيم في أحدى الدور المجاورة لداري وكانت العلاقات جيدة جداً بيننا. أما عميد السلك الدبلوماسي العربي فكان السفير المصري (مجدي حسنين)

وكان من ضباط الجيش المصري ومن أصدقاء الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، وكان قد قضى مايقرب من ثمانية سنوات في عمله المذكور في براغ وكان في الحقيقة نشطاً واجتماعياً، يقيم الولائم والدعوات بكثرة في دار السفارة. كما كان من السفراء الذين يجاوروني في السكن السفير اللبناني (حاج توما) وثم حل محله (جان اسكندر ريّاش) وكان كلاهما من اصدقائي والسفير الايراني (هوشنگ صفي نيا).

بعد وصولي براغ كثرت تنقلات السفراء العرب فبعد وفاة جمال عبدالناصر بمدة قصيرة جرى نقل السفير المصري وحل محله (سعدالدين المتولي) الذي كان عسكرياً ايضاً وانتقلت العمادة العربية الى السفير السوري (الدكتور اديب) وبعد تسلم الرئيس حافظ الأسد السلطة، زار جيكوسلوفاكيا وزير الخارجية آنذاك عبدالحليم خدام، وبعد فترة قصيرة جرى نقل السفير وحل محله (السيد علوش) وهكذا فقد استمرت التنقلات ولم تمض الا سنة واحدة حتى أصبحت عميداً للسلك الدبلوماسي العربي.

كانت علاقتي جيدة مع الجميع وتمكنت من بناء الصداقات سواء بين افراد البعثات الدبلوماسية أو بين المسؤولين الجيكوسلوفاكيين، وكونت بعض الصداقات حتى مع الاوساط غير الرسمية من أمثال المهندسين والاطباء واساتذة الجامعة، ولا اجانب الحقيقة اذا قلت بأنني كنت واحداً من السفراء الناجحين وقد أقّر بذلك وزراء الخارجية الذين عملت معهم وخاصةً عبدالكريم الشيخلي ومرتضى الحديثي. وكان هذا الأخير شخصاً مهذباً جداً وصديقاً مخلصاً وكانت علاقاتي مع وكلاء الوزارة نعمة النعمة وبعده شاذل طاقة – الذي اصبح وزيراً للخارجية فيما بعد– جيدة جداً وخاصةً مع هذا الاخير، رحمهم الله جميعاً.

كانت الحياة بصورة عامة ممتعة في براغ ولكنها كانت متعبة، فرغم جمال البلد وطبيعته ورغم بخس تكاليف الحياة، فكانت متعبة بالنسبة لنا، فكانت العلاقات جيدة بين بلدينا مما أدت الى كثرة العمل والطلبات، وكانت الزيارات الرسمية والخاصة للوزراء فما فوق كثيرة جداً كما وكثرت زيارات الوفود، حتى ان زيارة البلدان الاشتراكية الاخرى أو بعض بلدان الشرق الاقصى كانت تتم عبر براغ فكانت السفارة في التزامات دائمة بمثل تلك الأعمال. ولكن مع

ذلك كان لي فريق عمل جيد في السفارة متعاونين ومنسجمين وكذلك بعض الشباب النشطين من الدبلوماسيين فرغم حداثتهم كانوا جادين ومهذبين في تعاملهم.

بعد وصولي براغ بأسابيع التحق السكرتير الأول عبدالقادر القلمچي بالسفارة وقد نقل من السفارة العراقية في (الرباط) وكان نعم المساعد والصديق ثم تلاه الآخرون من أمثال طه الداود(١٦) الذي عين ملحقاً تجارياً وعامر رشيد السامرائي كملحق صحافي بالأضافة الى الملحق الثقافي عبدالستار الدوري من أصدقائي السابقين وأشرت اليه فيما سبق، وكان الجميع يعملون بأنسجام.

بعد أشهر قليلة من المباشرة بعملي اتصلت وزارة الخارجية الجيكوسلوفاكية بالسفارة العراقية وذكرت بأن هنالك ضابطاً كبيراً في مطار براغ برتبة (جنرال) ويقول بأنه قد عيّن ملحقاً عسكرياً في براغ وأنه لايحمل حتى أي جواز سفر. ولما اطلعت على الخبر بعثت (بالقلمچي) الى المطار لتقصي الخبر. وكان الملحق العسكري الأول العقيد الركن عبدالرحمن الناصر قد غادر براغ بسبب نقله ولم يعين أحد مكانه بعد، والمتبع في العرف الدبلوماسي أنه عند تعيين أي ملحق عسكري في دولة ما فيجب الحصول على موافقة تلك الدولة مسبقاً قبل أن يباشر الملحق مهام عمله شأنه شأن السفير في مثل هذه الحالة، ولكن لم يحدث كل ذلك في تلك الحالة.

بعد مرور مدة اتصل بي هاتفياً من المطار السكرتير الاول في السفارة وأعلمني بأن الشخص المذكور هو العميد الركن حميد السراج مدير الحركات العسكرية في وزارة الدفاع وأنه لايحمل أية وثيقة سفر.

وعملنا على السماح له بالدخول بصورة مؤقتة ريثما ينجلي الأمر. وصل السراج مع السكرتير الاول وكنت أعرفه معرفة بسيطة فقد سبق أن التقيت به سنة ١٩٦٤ في أربيل عندما كان يعمل بأمرة العميد الركن كمال مصطفى في اللواء الثالث.

وقد ظهر منهكاً ومتعباً وبعد تبادل التحية واستراحة قصيرة قال بأنه لايعرف شيئاً عن نقله بل أنه وضع عنوة داخل الطائرة وقيل له بأنه قد عين ملحقاً عسكرياً في براغ دون فسح المجال له حتى لتجهيز ملابسه أو حقيبة

سفره ولم يزود بأية وثيقة رسمية. وتبين بأنه كان من كبار الضباط في وزارة الدفاع ومن المقربين للفريق حردان التكريتي الذي كان وزيراً للدفاع ثم نائباً لرئيس الجمهورية الذي أرسل بمهمة رسمية الى الخارج ولم يسمح له بالعودة وأغتيل بعد أشهر قليلة في الكويت، ويظهر بأن السراج كان من ضمن المحسوبين على التكريتي فأبعد تحسباً لحدوث أية حركة مناوئة للنظام وبعد الاتصالات اللازمة مع وزارتي الخارجية العراقية والجيكوسلوفاكية حصلنا على الموافقة بتعيينه ملحقاً عسكرياً في السفارة العراقية وزودناه بجواز سفر دبلوماسي.

في شهر كانون الاول من تلك السنة وصلتني أخبار من كُردستان ومن بغداد من أن مؤامرة قد حيكت في بغداد لأغتيال ادريس البارزاني، فقد اطلق وابل من الرصاص على سيارته، ومن حسن الحظ انه لم يكن فيها وكان قد استدعاه البارزاني الراحل وعاد في نفس ذلك اليوم الى كُردستان. وكان يستقل سيارته كل من محمد عزيز قادر مدير ادارة مقر المكتب السياسي وحميد برواري أحد قادة الانصار الابطال ويقود السيارة السائق حسين كاواني، الذي كان يحمل وحده سلاحاً خفيفاً، وتمكن من المقاومة فترك المتآمرون في مكان الحادث بندقية من نوع كلاشينكوف ولدى تدقيق رقمها تبين انها مزودة من مخازن الحكومة لأحد المرتزقة من عملاء النظام الذي كان من المقربين لكبار مسؤولين. وقد اصيب حميد برواري اصابات بالغة نتيجة اطلاق الرصاص وأصيب بشلل جزئي لايزال يعاني منه، وبعد مكوثه في أحد المستشفيات لعدة اسابيع جرى ارساله الى بريطانيا للعلاج وقضى فيها عدة أشهر ولدى عودته مرت طائرته من براغ وقد اتصل بي تلفونياً من لندن ممثلنا هاوار كاكه زياد فسارعت الى المطار واستقبلته هناك وكان يعاني من جروحه ويستعمل كرسياً متحركاً فشجعته وطلبت منه العودة الى براغ لدخول أحد المصحات الخاصة بمثل تلك الحالات. وفعلاً فقد عاد حميد برواري بعد أشهر لأكمال العلاج وحاولت أنا وصديقي عزيز شيخ رضا التخفيف عنه وبذلنا كل الجهود الممكنة لذلك وكنا نزوره يومياً عندما كان في أحد مستشفيات براغ. وعند زيارته الثانية ادخلناه مصحاً خاصاً يقع خارج براغ قرب الحدود البولونية يسمى بـ(كوناپشتا) وكنت أذهب لزيارته في جميع العطلات الأسبوعية. وقد تحسنت صحته كثيراً وكان اسلوب المعالجة مفيداً جداً. كان حميد برواري يستحق كل أهتمام ومساعدة

فقد لعب دوراً بطولياً في ثورة ايلول وأنه كان دوماً في المقدمة في جميع المعارك التي شارك فيها وكان النصر حليفه دائماً. لذا كان واحداً من الابطال خلال الثورة الكُردية يشار له بالبنان. فكان له مكانة خاصة عند البارزاني وموضع اعتزاز ومحبة الجميع، اضافةً الى خلقه الشخصي القويم وتعامله الحسن والمهذب.

خلال عملي في براغ اصبحت علاقاتي حسنة مع جميع المعارضين ومن خلالي تحسنت علاقاتهم بالسفارة وخاصةً مع الشيوعيين العراقيين، عملت على اعادة جوازات السفر الى جميع من سحبت منهم جوازاتهم وكذلك تجديد جوازات السفر للذين رفضت السفارة تجديد جوازاتهم الا في حالات خاصة كتزوير واضح أو غير ذلك. وحتى أن بعض الطلبة السوريين من الكُرد كانت قد سحبت جوازاتهم من قبل الحكومة السورية، فرجوت وزير الخارجية السوري الجديد عبدالحليم خدام عند زيارته لبراغ أواخر سنة ١٩٧٠ بشأن الموضوع فعمل على اعادتها لهم. كما أن بعض معارضي النظام من غير الساكنين في العراق جددت لهم جوازات سفرهم. وكان الجميع ومن كل الميول والاتجاهات يدعون الى حفلات السفارة كما كنت أحضر حفلات تلك الجهات في بعض المناسبات.

اذكر هنا حادثة طريفة ففي بداية سنة ١٩٧٢ ذهبت صباح أحد الايام كعادتي الى دار السفارة فوجدت الصالة مليئة بالشباب، ولما استفسرت عن ذلك قيل لي بأنهم طلبة شيوعيون قد احتلوا صالة السفارة ولديهم مذكرة احتجاج موجهة الى الرئيس البكر على سوء معاملة النظام للشيوعيين واعتقال أحد رفاقهم وهو (ثابت العاني) في بغداد. فأوعزت برفض استلام المذكرة منهم والطلب منهم مغادرة مبنى السفارة بهدوء، وعند ذلك طلب وفد منهم مقابلتي فطلبت منهم مغادرة السفارة اولاً ثم مقابلة الوفد، ونظراً للعلاقة الحسنة معهم ولأنهم كانوا يكنون التقدير والاحترام لي -والحق يقال- فقد غادر الجميع المبنى عدا ثلاثة منهم الذين استقبلتهم فيما بعد ونقلوا لي مضمون مذكرتهم التي رفضت استلامها ووعدت بنقل مادار من الحديث الى السلطات في بغداد ثم تركوا مبنى السفارة شاكرين. بعد حوالي أشهر ثلاثة وعندما زار رئيس الوزراء السوفياتي الكسي كسجين بغداد في نيسان من

سنة ١٩٧٢ وعندما عقدت معاهدة الصداقة مع السوفيات حضر اولئك الطلبة الى السفارة حاملين معهم هذه المرة برقية تهنئة الى الرئيس البكر بهذه المناسبة!!! ضحكت كثيراً من هذه المواقف المتناقضة واستلمت منهم البرقية هذه المرة وبعثتها الى بغداد وسبحان مغير الاحوال.

عدت الى بغداد في كانون الثاني سنة ١٩٧١ فأقتنيت بعض المسدسات الصغيرة رقم (٥) وزعتها على اصدقائي وكذلك بعض بنادق الصيد وبندقية صيد من حجم صغير كهدية للبارزاني، وكانت هذه الانواع من الاسلحة تباع للدبلوماسيين وبأثمان رخيصة جداً وكذلك سافرت الى بريطانيا قبل ذلك وأقتنيت معطفاً مناسباً للبارزاني بالشكل واللون والحجم المقبول عنده وقد أعجبه ذلك وكان مطابقاً لرغبته. رافقني في عودتي الى براغ أبن عمي كاكه عبدالقادر ومرافقي الوفي عمر قادر لقضاء بضعة أسابيع معي. وأوصاني كذلك البارزاني بأن فارس باوه أحد قادة البيشمه ركه البارزين سوف يأتي الى براغ لغرض المعالجة والاستجمام وأوصاني بالأهتمام به.

عدت الى براغ عن طريق لبنان ومعي كاكه و عمر، أما فارس باوه فكان من المقرر وصوله فيما بعد قضينا بضعة ايام في بيروت ثم توجهنا الى براغ حيث حل كل من كاكه وعمر في داري -التي كانت داراً واسعة جداً من ثلاث طوابق- كما وصل فارس باوه بعد ايام وقضينا وقتاً طيباً وسافرنا معاً الى المانيا الشرقية والمانيا الاتحادية وثينا وهناك عرضت فارس باوه على الاطباء وهكذا مرّ الوقت، وبعد حوالي الشهرين غادر براغ ضيوفي الشخصيين وعادوا الى بغداد.

خلال وجود ضيوفي وفي أواخر مارت سنة ١٩٧١ أقامت جمعية الطلبة الأكراد التي كان يرأسها طارق عقراوي حفلة بمناسبة عيد النوروز حضرها جمع كبير من الطلبة من الكُرد ومن القوميات الأخرى ومن جميع الاتجاهات وحضرها المرحوم علي صالح السعدي الزعيم البعثي السابق ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية بعد انقلاب الثامن من شباط سنة ١٩٦٣ وهو من أصل كُردي ومن منطقة دزه يي بالذات وان اقاربه يعيشون في أربيل في الوقت الحاضر.

جلس السعدي بيننا وأخذ يلوم نفسه على أخطائه السابقة وانكاره قوميته

الأصلية وكنا نمزح معه ونتبادل الحديث وفجأة توجه بعض الشيوعيين نحو مائدتنا ووجهوا له بعض الكلمات غير اللائقة وحاولوا اثارته للأعتداء عليه فنهرتهم على ذلك وطلبت من رئيس الجمعية ابعادهم وفي حالة استمرارهم الطلب منهم مغادرة القاعة، وفي الحقيقة امتثل هؤلاء لهذه التعليمات وهدأوا لحين انتهاء الاحتفال ومغادرتنا القاعة.

بعد ذلك بأيام وصلتني تعليمات من رئاسة الجمهورية بأصدار جوازات سفر عراقية لكل من عبدالرحمن قاسملو وزوجته الجيكوسلوفاكية (ايلين) التي أشتهرت بين الكُرد بـ(نسرين) وكذلك تزويدهما بالتذاكر وتسفيرهما الى بغداد. وقاسملو من كُردستان ايران وكانت لي معرفة قديمة معه تعود الى سنة ١٩٥٩ عندما جاء مع زوجته المذكورة الى كُردستان العراق لزيارة البارزاني. أصبح أميناً عاماً للحزب الديمقراطي الكُردستاني في ايران ومن الزعماء المعارضين للنظام الايراني الحالي فأغتيل سنة ١٩٨٩ في ڤينا عاصمة النمسا اثناء اجرائه الحوار مع بعض المسؤولين الايرانيين.

أعود فأقول كانت نية الحكومة العراقية في ذلك كسبه نحوها بأعتباره معارضاً لنظام الشاه آنذاك. زودته بجوازات السفر والبطاقات وسافر الى بغداد وبقي فيها لحين قيام الثورة الاسلامية في ايران، وبعد خلافه مع النظام الجمهوري عاش في المناطق الحدودية مدعماً من العراق لحين أغتياله في ڤينا.

كان الأخ عزيز شيخ رضا الذي كان مهندساً كهربائياً متخرجاً من جيكوسلوفاكيا وعاد بعدها الى براغ ثانيةً للأختصاص، دائم التردد عليَّ وكان -والحق يقال- خير صديق ونديم ومساعد، فلم أكن أشعر بالوحدة بوجوده وكنت أستصحبه معي في زيارات رسمية عديدة للقيام بالترجمة من اللغة الجيكوسلوفاكية الى الكُردية وخاصةً في اللقاءات التي كنت أشعر بأن موضوع القضية الكُردية سيكون مدار بحثنا، وكذلك كان طارق عقراوي الذي كان رئيساً لجمعية الطلبة الاكراد وكانا نعم صديقين.

حصلنا مع عزيز شيخ رضا على زمالة تدريب لمدة عامين وتمكننا من جلب الشهيد المرحوم عبدالخالق معروف الذي كان مديراً فنياً لأذاعة صوت كُردستان العراق وتمكن خلال تلك المدة من التدرب على مختلف الاجهزة المتعلقة بالأذاعات، كما وأصبح مسؤولاً لفرع الحزب في أوروبا الذي اصبح مقره في براغ وكنت التقي مع هؤلاء الثلاثة دوماً ومع الطلبة الآخرين في مناسبات

مختلفة.

كلفني يوماً هؤلاء الاصدقاء الثلاثة بأنهم في حاجة الى جهاز رونيو وطابعة وذلك لطبع منشوراتهم الحزبية ولما تعذر الحصول عليها في براغ لمحظورية بيع مثل هذه الاجهزة الى الجهات غير الحكومية أو الحزبية فقد ذهبت بسيارتي الى المانيا الغربية في أحدى عطلات الاسبوع وحصلت على الاجهزة الخاصة واقتنيتها من حسابي الخاص ونقلتها بسيارتي الدبلوماسية، ولما كان من غير الممكن الأحتفاظ بها وتشغيلها عندهم فقد وضعتها في داري وفي غرفة خاصة وخالية لأستعمالها وقت الحاجة. وقبل نهاية سنة ١٩٧٢ عندما انتقلت من سفارة براغ تفرقت هذه المجموعة ايضاً فعاد كل من عزيز وعبدالخالق الى كُردستان وعين عزيز ممثلاً للثورة وللبارزاني في بيروت والدول العربية المجاورة وعاد عبدالخالق معروف الى عمله السابق مديراً لجهاز الاذاعة الذي لم يكن يعمل بعد. أما طارق فقد انتقل الى المانيا الغربية لمزاولة الاعمال الحزبية ونقلت له أجهزة الطباعة ثانيةً الى هناك.

والجدير بالذكر أنه كان يتردد عليَّ يومذاك الموسيقي والفنان الكُردي الشهير قادر ديلان شقيق الفنان والشاعر المعروف محمد صالح ديلان وكان قادر مقيماً هناك ومتزوجاً من امرأة جيكية ويعيش معها وابنهم الصغير آرام الذي كان يتمرن على العزف وهو طفل صغير في دار ريفية صغيرة قرب براغ وقد زرناه في داره مرة أو مرتين وطبخ لنا المأكولات الكُردية، وقد توفي ديلان قبل حوالي العام -رحمه الله-.

التآمر على حياة البارزاني

في أواخر ايلول سنة ١٩٧١ تمتعت بأجازة اعتيادية وعدت الى العراق عن طريق البر بسيارتي الشخصية التي اقتنيتها من شركة مرسيدس بنز في المانيا حسب المواصفات التي طلبتها وكنت قد استلمتها في أواخر آذار من تلك السنة، كان معي ولدي شيروان الذي كان دون السادسة عشر من عمره واتبعت طريق ڤينا ثم يوغسلافيا فبلغاريا وتركيا وبعد اربعة أو خمسة أيام وصلت نقطة الحدود في زاخو وكان الطريق بين اورفه وزاخو غير مبلطاً بل مفروشاً بالحصو فقط، فقد كان متعباً ومخطراً في نفس الوقت حيث كان على سالك الطريق المذكور أن يكون حذراً جداً. وبعد أكمال المعاملات الاصولية توجهت الى الموصل فوصلناها بعد غروب الشمس وراجعت مديرية كمارك الموصل فأكملوا لي المعاملات اللازمة للأدخال المؤقت مشكورين بصورة سريعة. وبعد الاتصال هاتفياً بأربيل طلبت ارسال مرافقي سربعاً الى بغداد وتوجهت نحو بغداد فوصلتها في ساعة متأخرة من الليل في ١٩٧١/٩/٢٧ وفي صباح اليوم التالي ذهبت الى القصر الجمهوري وسجلت أسمي في سجل التشريفات حسب الاصول المتبعة، ثم أتصلت هاتفياً بالمجلس الوطني حيث مكتب نائب الرئيس صدام حسين وطلبت موعداً لمقابلته فحُدد الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم التالي أي التاسع والعشرين من شهر ايلول.

وبعد التفكير وبعد أن وصل مرافقي عمر قررت العودة الى أربيل في نفس ذلك اليوم وايصال ولدي شيروان والعودة الى بغداد في اليوم التالي قبل الموعد المحدد للمقابلة. وصلت أربيل قبل غروب الشمس بنصف ساعة واتصلت هاتفياً بالسيد كانبي عزيز دزه يي نائب المحافظ الذي كان وكيلاً للمحافظ في نفس الوقت نظراً لغياب المحافظ وتمتعه بأجازة، وبعد استراحة قصيرة وبعد غروب الشمس بقليل وبعد أن وصل داري شقيقي كاك أحمد ومعه محمد مولود أحد معتمدينا القدماء رن جهاز الهاتف واذا بوكيل المحافظ كانبي دزه يي يريد مكالمتي لأمر هام، وبعد أن كلمته أخبرني بأنه قد استلم برقية من قائممقام چومان الشهيد فرنسو حريري تفيد بأن مؤامرة كبرى

قد جرى تنفيذها بقصد اغتيال البارزاني وأنه نجا من ذلك بأعجوبة، فحررت برقية الى مكتب نائب الرئيس صدام حسين طالباً تأجيل موعد المقابلة لأمر هام الى موعد آخر، وسلمت البرقية الى شقيقي كاك أحمد ليبعثها وتحركت فوراً ومعي مرافقي عمر نحو چومان ومعي شخص آخر من افراد الپيشمه ركه المرافقين لي وهو (خسرو) على ما أعتقد.

ومن سوء الصدف ان السيارة اصابها بعض العطل في الطريق مع انها كانت سيارة جديدة مما أدى الى تأخيرنا كثيراً وكان الطريق آنذاك خالياً من المارة والسيارات وعند منتصف الليل وصلت سيارة أجرة قادمة من أربيل وفيها عدد من البارزانيين وبعضهم من حراس البارزاني الشخصيين ومن الذين رافقوه في مسيرته الى الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٤٧ وكانوا قد سمعوا النبأ فهرعوا الى منطقة القيادة للأطلاع على حقيقة الخبر، ولما شاهدوني عرفوني فأفسحوا لي المكان في سيارتهم ورافقتهم تاركاً عمر وخسرو عند السيارة لأصلاحها في اليوم التالي والالتحاق بي.

وصلنا قرية ناوپردان مقر المكتب السياسي قبل الفجر بقليل وعلمت بأن البارزاني في قصر السلام الذي يبعد عن ناوپردان مسافة كيلومترين أو ثلاثة وكان القصر بيتاً عادياً عبارة عن أربعة غرف للنوم وصالون الجلوس والملحقات وشيد بعد اتفاقية الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧١ للضيوف وسمي بقصر السلام.

توجهت نحو المكان المذكور ووصلته بعد دقائق وشاهدت الحارس الشخصي الامين للبارزاني المرحوم حاجك محمد الذي كان رئيساً للحراس شاهدته يمشي جيئة وذهاباً بجانب أحدى الغرف فأيقنت بأن البارزاني موجود هناك فتوجهت نحو حاجك الذي حياني ولاحظ قلقي وارتباكي فقادني الى تلك الغرفة ومن خلال أحد الشبابيك ارائي البارزاني وكان نائماً، وقال ان البارزاني ظل ساهراً حتى ساعة متأخرة من الليل مستقبلاً الزوار والمهنئين بسلامته، وبعد أن اطمأن قلبي وحمدت الله على نجاته وسلامته قادني (حاجك) الى غرفة أخرى، فيها فراش فاسترخيت عليه وراودتني افكار مختلفة ومزعجة حتى الصباح.

ونهضت في الصباح الباكر وبعد تناول شيء من الفطور أنتظرت بفارغ

الصبر لقاء البارزاني ولما دخلت عليه هنأته على سلامته وحمدت الله على نجاته والعبرات تخنقني، فخفف من قلقي وارتباكي وقال بأن الأعمار بيدالله ثم تلى عليٌ بعض الآيات من القرآن الكريم تتناسب مع تلك الحالة ثم قال أنه قد نجا حقاً بمعجزة من الله سبحانه وتعالى حيث كتبت له النجاة، واستمر قائلاً بأن هذه ليست هي المرة الأولى التي يتعرض فيها لمثل هذه المخاطر وأنه كان قاب قوسين أو أدنى من الموت مرات عديدة، بعد ذلك طلب مني الذهاب لمشاهدة مكان الحادث لأقدر بنفسي مدى خطورته، وفي تلك الاثناء حضر الأخ علي سنجاري قادماً من منطقة دهوك اثر سماعه الخبر وكان في نفس وضعي من القلق والارتباك.

بعد ذلك غادرت الى حاج عمران لمشاهدة الدار التي نفذت فيها المؤامرة، وهي ذات الدار التي ذكرت عنها والتي قابلت فيها البارزاني قبل أكثر من سنة للأستئذان منه بالسفر الى براغ والتي استقبل فيها اثناء وجودي والد اللواء الركن عبدالعزيز العقيلي، ولما شاهدت الدار والغرفة التي جرت فيها تنفيذ المؤامرة وجدتها كأنها ساحة حرب أصيب جانب منها بالحرائق التي نشبت نتيجة الانفجار والتي كانت قد اصابت الأثاث ايضاً. ووجدت الدماء وقطع من اللحوم البشرية ملتصقة بسقف الغرفة ومتناثرة هنا وهناك، وان الذي كان يطلع على حال الغرفة وعلى الدار وبقايا السيارة المحطمة بجانبها كان لايصدق بأن أياً من الذين كانوا داخل تلك الدار قد نجا من تلك المؤامرة.

خلاصة المؤامرة

كان البارزاني الراحل بطبيعته شخصاً كريماً ومتواضعاً جداً ومضيافاً، يحترم زائريه وضيوفه وكان لرجال الدين من كافة المذاهب مكانة خاصة لديه وأهتمام وتقدير كبيرين. ومن ضمن الذين زاروه في مقره كان وفداً من رجال الدين من السنة والشيعة فرحب بهم البارزاني كعادته وأكرمهم واستضافهم أحسن ضيافة وتطرق الوفد الى مختلف المواضيع والعلاقات مع الحكومة المركزية والمشاكل المعلقة والعقبات في طريق تنفيذ بنود اتفاق آذار وكان البارزاني يؤكد دوماً حرصه على تنفيذ الاتفاقية وحرصه على مصلحة الوطن وحبه للسلام، وعاد الوفد الى بغداد بعد يوم أو يومين على أن يقوم بزيارة أخرى للمنطقة.

كان الوفد يرأسه المدعو (عبدالحسين الدخيلي) وأعتقد أنه كان من رجال الأمن بزي رجال الدين أو أنه كان رجل دين حقيقي ولكنه كان من عملاء أجهزة الأمن وكان الوفد مؤلفاً من عشرة أو أحد عشر شخصاً آخرين جميعهم يرتدون ازياء رجال الدين وأعتقد بأن بعضهم كان من رجال الدين الحقيقيين ولايعرفون شيئاً عن مهمتهم الحقيقية. عاد الوفد في اليوم الثامن والعشرين من شهر ايلول بسيارتين احداهما من نوع الشوفرليت والأخرى من نوع (جيب ستيشن) كبيرة يقودهما شخصان مدنيان، وصل الوفد عصر ذلك اليوم وأقتيد الى الدار الخاصة لمقابلات البارزاني الذي لم يكن موجوداً في تلك الدار آنذاك وبعد فترة حضر البارزاني يرافقه الدكتور محمود عثمان عضو المكتب السياسي وطبيبه الخاص ومن المقربين اليه،وبعد أن حيا الضيوف وسلم عليهم واحداً واحداً، أتخذ مكانه في المقعد المقابل لرئيس الوفد، كما وأتخذ الدكتور محمود مجلسه بجانب البارزاني.

أوقفت أحدى السيارات والتي هي من نوع شوفرليت بعيداً عن مكان الأجتماع بمسافة (٢٠-٣٠) متراً اما السيارة الاخرى فقد اوقفت بجانب جدار الدار وبجانب غرفة الضيوف بصورة أدق وبعد دخول البارزاني شوهد سائق السيارة يفتح غطاء المحرك ويحرك يديه داخله كما وشوهد بأنه يصب الدهن على مختلف اجزاء المحرك. وبعد برهة قليلة دخل أحد الخدم وهو شاب لم

يتجاوز الثامنة عشر من عمره يحمل صينية الشاي ويقدمها للضيوف وبينما انحنى لتقديم الشاي لرئيس الوفد وأصبح كحاجز بينه وبين البارزاني الجالس قبالته اذا بأنفجار شديد يدوي في الغرفة فقد انفجر رئيس الوفد الذي كان ملغماً وكان يلبس حزاماً ناسفاً. واستشهد في الحال الخادم الذي كان يقدم الشاي وقتل رئيس الوفد والذي يجلس جنبه وتقطعت أوصالهما، كما وأصيب الآخرون بجروح مختلفة. كما واستشهد أحد افراد البيشمه ركه وهو الشهيد سليم زبير بارزاني الذي كان واقفاً عند باب الغرفة وبدأ بقية افراد المؤامرة ينهزمون من الغرفة يلاحقهم الحرس. اما البارزاني فلم يصب بأي أذى سوى شظيه صغيرة جداً استقرت في جلده والتي استخرجها صديقنا الدكتور عبدالرزاق الدباغ فيما بعد، كما لم يصب الدكتور محمود عثمان بأذى.

بعد الانفجار وامتلاء الغرفة بالدخان والبارود خرج البارزاني من الغرفة، وفي تلك الاثناء رمى سائق السيارة التي خارج الدار قنبلة يدوية نحوه وأنفجرت دون أن تصيبه ولكنها أدت الى استشهاد سليم زبير الذي نوهت عنه اعلاه كما وجرح عدد من الحرس أذكر منهم الشهيد عمر آغا محمد (استشهد العام ١٩٩٥) وكذلك زكي كامل عقراوي والآثوري آدم الذي كان من حرس مسعود البارزاني الخاص.

بعد وقوع الانفجار في الغرفة انفجرت السيارة التي كانت بجانب الدار واشتعلت فيها النيران، ولكن لن تؤثر على البناء بسبب سمك جداره وكذلك لعلو مستواه عن سطح الارض. ولا أدري ان كان الانفجار الاول قد جرى من قبل حامل المتفجرات نفسه اذ قيل له بأنه كان عبارة عن مسجل صوت حيث كان عليه أن يضغط على زر معين يسجل حديث البارزاني أم انه قد جرى من قبل السائق بواسطة جهاز السيطرة عن بعد، وهذا هو الرأي الأرجح. قتل السائقان وبقية الافراد من قبل الحرس والمواطنين اثناء تبادل اطلاق النار مع بعضهم. بعد انتهاء الحادث وبعد أن عَمَّ الهدوء، جرى الكشف على السيارة الثانية التي اوقفت ووجهتها نحو رواندوز لأستعمالها للفرار من قبل السواق فوجد بأنها ملغومة ايضاً ومليئة بالأصابع الديناميتية والقنابل اليدوية التي كانت مخفية تحت مقاعدها، وتبين بأن هنالك صاروخين مركبين داخل القفص الخاص بالأضوية الخلفية تنطلق بواسطة الضغط على زر خاص مركب عند السائق وذلك لأستعمالها عند الفرار واطلاقها على السيارات التي تلحقهم

تماماً كما نشاهدها في السينما في الافلام الجيمس بوندية.

وكانت تلك المؤامرة من تدبير وتجهيز ناظم گزار مدير الأمن العام والذي أعدم فيما بعد لمحاولته قلب نظام الحكم. ولاادري ان كان ذلك العمل مدبراً من مسؤولين آخرين أعلى مركزاً أو كان من قبل ناظم گزار وحده. وقد أنكر نائب الرئيس صدام حسين علمه بها فيما بعد.

توتر الجو كثيراً بعد ذلك بين الحكومة المركزية والثورة الكُردية، وقد أصيب أكثر المحيطين بالبارزاني بصدمة وطلبوا قطع العلاقات مع الحكومة وسحب الوزراء والموظفين من الحكومة واختلفت الآراء حول ذلك فمنهم من كان يطالب بالمقاطعة ومنهم من يطلب استقالة الوزراء والمسؤولين الآخرين وذهب بعض المتطرفين الى أعلان استئناف القتال. وصل الوزراء الحزبيون من بغداد في ساعة متأخرة من النهار، وفي اليوم التالي لا اذكر بصورة دقيقة وكان الرأي السائد عندهم تهدئة الموقف واجراء التحقيق. اما رأي البارزاني نفسه فكان بخلاف كل ذلك وقال بالحرف الواحد: «انني لا اقبل ان تقطع العلاقات أو ينشب القتال من أجلي شخصياً ولا اريد ان يقال بأن البارزاني قد عّرض مصلحة الشعب الكُردي للخطر من أجل نفسه وقد يقال بأنه كان من الأفضل الانتظار حتى انتهاء السنوات الاربع المنصوص عليها في اتفاقية آذار وعدم بدء الكُرد بأستئناف القتال». وقال «بأنني وهبت حياتي لخدمة شعبي ولا أريد المخاطرة بمصلحته من أجلي شخصياً».

وصل الى ناوپردان في اليوم التالي الدكتور احمد عبدالستار الجواري وزير التربية الذي كان يحظى بالأحترام والتقدير من قبل البارزاني وكان انساناً فاضلاً وشخصاً مسالماً وصديقاً للكُرد، جاء الجواري مبعوثاً من رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر لتهنئة البارزاني على سلامته ونجاته من المؤامرة كما ليبين عدم علم البكر وصدام حسين بهذه المؤامرة وانها من تدبير اعداء السلام. كما شكلت لجنة تحقيقية خاصة مشتركة من الجانبين للتحقيق في الحادث برئاسة عميد الشرطة حامد العاني الذي كان وكيلاً لوزارة الداخلية في ذلك الوقت، كما حضر الدكتور أحمد عزت القيسي للكشف عن الجثث وتثبيت بصمات اصابعهم كما جرت العادة عند حدوث كل جريمة، وقد جرى التحقيق دون نتيجة بالرغم من أن الفاعلين والمدبرين ومن يقف ورائهم كان معلوماً لدى قيادة الثورة الكُردية.

مقابلة صدام حسين

بعد مضي ثلاثة أو أربعة أيام على الحادثة، تركت منطقة ناوپردان عائداً الى أربيل بعد أن استأذنت البارزاني، وكانت وفود المهنئين القادمة من جميع انحاء كُردستان لاتنقطع، وكذلك القادمين من بغداد لتقديم التهاني للبارزاني بنجاته من تلك المؤامرة الكبرى.

وبعد أن أمضيت تلك الليلة في أربيل توجهت الى بغداد واتصلت بمكتب النائب فحدد لي موعد المقابلة في اليوم نفسه، ولما التقيته تحدثت عن سبب عدم حضوري في الموعد السابق بسبب تلك الحادثة، وعند ذلك قال لي النائب «يقال بأن صدام هو وراء هذه العملية»، فقلت بأن هذا ما يعتقده أكثر المواطنين ولكني لم أسمعه من البارزاني نفسه. عند ذلك قال صدام بشيء من العصبية «قسماً بالله آني ما مسّويها، لو آني مسّويها ما أخاف من ربّي»، أي أنه أقسم بالله بأنه لم يفعلها ولو كان هو الفاعل لقال ذلك دون أن يهاب ربّه!! فقلت في هذه الحالة من الضروري اجراء تحقيق دقيق في ظروف الحادثة ولابد أن الشخص القائم بذلك هو من أعداء السلام ومن اعداء اتفاقية آذار ويجب محاسبة هؤلاء وبيان جدّية الحكومة، ثم تحدث عن أهمية اتفاقية آذار ورغبته الشخصية في تنفيذها لأنها قد تمت على يديه لذا يهمه شخصياً تنفيذها وأنه شخصياً حريص عليها.

ثم تحدثنا عن سبب وجودي في بغداد وسير العمل في السفارة العراقية في براغ ثم انتهت المقابلة التي أتسمت بطابع البرود بعكس اللقاءات السابقة. فكان والحق يقال أنه دائم الترحيب بيَّ وملبياً لأكثر مطاليبي المتعلقة بعملي أو المراجعات الشخصية التي كنت أقوم بها لقضاء مشاكل الآخرين. وكانت اللقاءات دائماً يغلبها طابع المرح والعلاقات الحسنة. حتى أنني عندما كنت اتناول طعام الغداء في أحدى المرات بأحد المطاعم الراقية في المنصور (مطعم فاروق) (لا اذكر اسم صاحبه رغم انه كان من معارفي) وكان هو المطعم الراقي الوحيد في تلك المنطقة دخل صدام حسين لتناول طعام الغداء ولما شاهدني

حياني وجلس على مائدة أخرى وطلب انضمامي اليه وكان لطيفاً ومتواضعاً جداً آنذاك. ودامت تلك العلاقات الحسنة بيننا حتى نهاية سنة ١٩٧٣ أو أوائل سنة ١٩٧٤ بعد أن استلمت حقيبة وزارة الاشغال والاسكان قادماً من كندا بعد أن كنت أول سفير مقيم فيها لمدة قصيرة، وسأورد السبب الذي ادى الى سوء العلاقة بيننا فيما بعد.

وهكذا انتهى اللقاء مع صدام حسين في ذلك الجو الذي غلبت عليه ظروف المؤامرة على حياة البارزاني، ولا استطيع الجزم بعلم صدام حسين بالمؤامرة أو وقوفه خلفها، الا ان بعض الدلائل تشير الى ذلك، ففي الثامن والعشرين من ايلول صباحاً عندما طلبت مقابلته حدد لي اليوم التالي كموعد للقاء، فهل كان ينتظر نتيجة المحاولة في ذلك اليوم؟! وهل كان منشغلاً بالأعداد للخطوات المقبلة في حالة النجاح أو الفشل؟!!

ووضعت القوات العسكرية ذلك اليوم في رواندوز وبقية مناطق كُردستان في أقصى درجات الانذار وذلك بسبب توقعات ردود الفعل في حالة النجاح أو الفشل فلا ادري فيما اذا كان ذلك تخطيط لشن هجوم عام في حالة نجاح العملية؟! أو ذلك احتياطاً من هجوم مقابل من الجانب الكُردي انتقاماً للحادث؟!! ولا ادري ان كان المسؤولون في المراكز العليا من أمثال البكر وصدام حسين يعلمون بتلك الاجراءات الاحتياطية؟!! اسئلة لايمكن الاجابة عليها بصورة جازمة وعلى الاقل في حينها.

بعد تلك الحادثة المؤسفة والتي أثرت سلباً بدون شك على مجمل الاوضاع السياسية في البلاد، وسببت فقداناً للثقة بين قيادة الثورة الكُردية والشعب الكُردي بصورة عامة من جهة والنظام العراقي من جهة اخرى، أخذت السلبيات تتكاثر وتتراكم بعد ذلك وظهرت المشاكل بكثرة واستعصى حلها وخاصةً بعد أكتشاف المؤامرة الثانية التي كان من المفروض ان ينفذها المدعو (ابراهيم گاباري) ولكنه أعترف بالحقيقة قبل التنفيذ، ثم أخذت السلطة بعد أن وصلت العلاقات الى أدنى المستويات بأتباع كل الطرق في حبك المؤامرات والدسائس ضد الثورة الكُردية وقيادتها تارة بتحريض بعض العشائر وطوراً بالتدخل في الشؤون الداخلية لأسرة بارزان ومحاولة التفرقة بين أفراد هذه

الاسرة وكذلك بشراء الذمم وأغراء بعض منتسبي الثورة للأنشقاق عنها.

تركت العراق بعد بضعة اسابيع من وصولي وبعد أن وصلت الاوضاع الى تلك الدرجة من فقدان الثقة وبعد أن ساءت العلاقات الى حدّ اليأس، عدت الى مقر عملي في براغ وقلبي مليء بالحسرات على ما آلت اليه الاوضاع وعلى النتيجة التي أنتهت اليها اتفاقية الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧١ والتي كان الجميع يبني عليها قبل أكثر من سنة آمالاً كبار.

وقبل ذلك بمدة قصيرة كان قد أعفي نائب رئيس الجمهورية صالح مهدي عماش ووزير الخارجية عبدالكريم الشيخلي من مناصبهما الرسمية والحزبية وعُين الأول سفيراً للعراق في موسكو، أما الثاني فقد تم تعيينه ممثلاً دائماً للعراق في الأمم المتحدة في نيويورك وحّل محله مرتضى سعيد عبدالباقي الحديثي في وزارة الخارجية.

عملي في براغ

باشرت بأعمالي الاعتيادية كالسابق وانعكست الأمور التي حدثت على العلاقات بين الحزب الديمقراطي الكُردستاني وحزب البعث العربي الاشتراكي ليس في داخل العراق فحسب بل خارجه ايضاً، وغلب طابع الحدة على البيانات الحزبية الصادرة بهذه المناسبة، وقد حاولت من جانبي تخفيف هذه الحدة وتخفيف لهجة هذه البيانات لكي لانكون سباقين نحن في خلق هذا الجو من التأزم بل ننتظر ما تعمله القيادة في الداخل والخطوات التي تخطوها في هذا الصدد. ومع كل ذلك فقد كانت الأزمة ظاهرة للعيان ويصعب التستر عليها. ورغم تلك الظروف فقد كنت ازاول أعمالي بصورة اعتيادية وبالشكل المطلوب وأقوم بأداء واجباتي كسفير للجمهورية العراقية على أحسن وجه.

ذكرت سابقاً بأن تلك المؤامرة الدنيئة أثرت سلباً على العلاقات بين الحزبين وأدت الى فقدان الثقة، ان الذين كانوا وراء تلك المؤامرة ضنّوا انهم سيقضون على الحركة الكُردية بأغتيال زعيمها وقائدها البارزاني ولكن خاب ظنهم فبالرغم من أن البارزاني الراحل كان هو الثورة والحزب وبالعكس فأنه قد غرس في قلب كُردي بذور القومية وحب الوطن والدفاع عن أهداف الشعب وبالرغم من كل الظروف والمشاكل التي كانت تقع فيها الحركة الكُردية بغياب البارزاني فيما لو نجحت المؤامرة -لاسمح الله- الا انه لم يكن بالأمكان القضاء عليه نهائياً. ولدينا أمثلة واضحة على ذلك، فبعد اتفاقية الجزائر التي أبرمت بين شاه أيران ونائب الرئيس العراقي صدام حسين اصيبت الثورة الكُردية بنكسة كبيرة ظّن الاعداء بأن الحركة الكُردية سوف لن تقوم لها قائمة بعد تلك الاتفاقية والنكسة، الا انه وبعد أقّل من سنة اندلعت نيران الثورة الكُردية من جديد. ورغم وفاة البارزاني سنة ١٩٧٩ أثر مرض عضال ورغم تلك الخسارة الكبرى للحركة الكُردية وذلك الفراغ الكبير الذي تركه رحيله في صفوف الشعب الكُردي والذي يصعب ملؤه فأن الثورة قد استمرت وتوسعت مستفيدةً من تراثه النضالي ونهجه العظيم الى الآن محققة جزءاً كبيراً من الأهداف التي عمل البارزاني من أجلها طوال حياته.

ان حزب البعث والنظام بعد فشل تلك المؤامرة وغيرها ايقنت بأن ثقة الكُرد فيه قد فقدت تماماً فأخذت تباشر للتهيؤ للجولة الثانية من القتال متى ما أكملت الاستعدادات اللازمة لذلك.

أخذ حزب البعث ببذل مساعيه لتأسيس مايسمى بالجبهة الوطنية القومية التقدمية على أن يكون هو السيد المطاع، وقد حاول البعث مع كل من الحزب الشيوعي العراقي والديمقراطي الكُردستاني لهذا الغرض، فلم يكن بالأمكان ضم الحزب الديمقراطي الكُردستاني بتلك السهولة وبشروط البعث وخاصةً بعد ظهور النوايا الحقيقية للنظام، تحولت الجهود نحو الحزب الشيوعي العراقي. وكانت الخطوة الاولى التقرب من الاتحاد السوفياتي أكثر من السابق، فتحسنت العلاقات وتطورت كثيراً وأولى الطرفان اهتماماً كبيراً بالجانب الاقتصادي الذي كان يهم الاتحاد السوفياتي كثيراً ووقعت بين الجانبين عقود تجارية كبيرة كما وأن الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى قد تعهدت بتزويد العراق بالأسلحة اللازمة، وكذلك جرى الاتفاق وأبرمت عقود كثيرة فيما يتعلق بالنفط وأمتيازات استخراجها، وتمخضت تلك العلاقات أخيراً عن معاهدة الصداقة بين الطرفين والتي قد تم التوقيع عليها في نيسان سنة ١٩٧٢ عند الزيارة التي قام بها (الكسي كسجين) رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي لبغداد.

مؤتمر الطلبة الاكراد

كان من المعتاد أن تعقد جمعية الطلبة الاكراد في اوروبا في صيف كل عام مؤتمرها السنوي في أحدى الدول الاوروبية. وقد جرت العادة في السنوات الاخيرة عقد المؤتمر في المانيا الشرقية أو الاتحادية وجيكوسلوفاكيا. وكانت الدول التي يعقد المؤتمر فيها تقوم بتهيئة السكن في أحدى الاقسام الداخلية للطلبة وكذلك قاعة المؤتمر وبعض المصاريف الاخرى كالمطاعم الخاصة بالطلبة وغيرها. وكان من المقرر عقد المؤتمر الاخير في صيف سنة ١٩٧١ في براغ الا ان السلطات قد اعتذرت عن ذلك بمختلف الحجج، وأعتقد بأن السبب الرئيسي كان العلاقات الحسنة مع العراق. وقد جاء ذلك الاعتذار في وقت متأخر أي قبل حلول موسم الصيف بمدة قليلة. وقد ابلغني المسؤولون عن الجمعية بهذا الموضوع وكان سكرتيرها آنذاك طارق عقراوي. وبعد تفكير طويل استقر رأيي على مفاتحة السفير الروماني بذلك.

كانت العلاقات بين رومانيا والاتحاد السوفياتي وكذلك الدول الاشتراكية الاخرى غير حسنة بالشكل الذي يريده الاتحاد السوفياتي. وكانت رومانيا في عهد رئيسها (چاوچيسكو) قد اتبعت سياسة شبه مستقلة وخرجت عن دائرة الفلك السوفياتي وأخذت تتقرب نحو الغرب وبالرغم من دكتاتورية چاوچيسكو ونظامه الا ان تلك السياسة كانت مقبولة أكثر من قبل الدول الديمقراطية من سياسات الاتحاد السوفياتي وكتلته.

ناقشنا جوانب الموضوع مع السفير الروماني فرحب شخصياً بالفكرة ووعد بنقلها الى بوخارست للمسؤولين، ومضت اسابيع كثيرة دون حصولي على أية نتيجة وكنت على وشك نسيان الموضوع، وفكرت الجمعية في الحصول على مكان آخر أو تأجيل المؤتمر الى السنة المقبلة، فاذا بسكرتيرة السفارة تنقل لي خبر اتصال السفارة الرومانية وان السفير الروماني قد طلب تحديد موعد للقاء بي، فحددت له موعداً في اليوم التالي واستقبلته في الموعد المحدد في دار السفارة ولما حضر وبعد تبادل كلمات الترحيب نقل لي ترحيب الحكومة الرومانية وشخص الرئيس چاوچيسكو بعقد المؤتمر المزمع لجمعية الطلبة الاكراد

في اوروپا وابدى استعداد حكومته لتحمل جزء كبير من النفقات اللازمة وانها ستقوم بتهيئة الاماكن لأجل ذلك. عبرت عن شكري للسفير وامتناني للحكومة الرومانية على ذلك الموقف وعبرت عن شكر القيادة الكُردية وشكري الشخصي للرئيس چاوچيسكو على ذلك الموقف، ثم ودعت السفير مشكوراً.

نقلت ذلك الخبر الى الجمعية عن طريق رئيسها طارق عقراوي حيث كان باعثاً لسروره وشكره، وقد تم فعلاً عقد المؤتمر في موعده في صيف سنة ١٩٧١ في بوخارست وكان عدد المندوبين كبيراً وقد لقوا الترحيب من السلطات الرومانية التي ابدت لهم كل التسهيلات الممكنة واللازمة لأنجاح المؤتمر الذي دام اسبوعاً أو أكثر وختم أعماله بكل نجاح. وتطورت تلك العلاقات أكثر بين رومانيا والجانب الكُردي وقد التقيت شخصياً بالرئيس الروماني چاوچيسكو عند زيارته لبغداد في بداية سنة ١٩٧٤ وتمكننا ان نتبادل حديثاً قصيراً خاصاً أوضح لي خلاله نوايا النظام العراقي في استئناف القتال ضد الشعب الكُردي.

تأميم شركات النفط

يمتلك العراق ثروة نفطية هائلة جداً واحتياطياً كبيراً يعتبر الثاني في العالم، وتستخرج كمية كبيرة من هذا الانتاج وهذه الثروة من كُردستان التي تعتبر حقولها من أقدم حقول المنطقة اطلاقاً. وذكرت سابقاً بأن الثلاث الاوائل من آبار النفط من حيث كمية انتاجها تقع في كُردستان وأن أكبر بئر في العالم والذي يبلغ انتاجه اليومي مائة الف برميل يقع في قرية (دربند ساره لو) على الساحل الغربي من نهر الزاب الصغير في منطقة كنديناوه بمحافظة أربيل والتي الحقت بلواء كركوك وجرى تعريبها مؤخراً. كما أن البئرين الثاني والثالث في العالم من حيث كثرة الانتاج يقعان في محافظة كركوك في حقل بابا گورگور وحقل جمبور. ومما يؤسف له بأن هذا الانتاج الهائل وهذه الثروة الكبيرة قد اسيء استعمالها والاستفادة منها ومنذ سنة ١٩٦٠ أي منذ عهد الجنرال عبدالكريم قاسم بدأت تلك المشاكل مع شركات النفط.

ولو كانت واردات النفط في اياد أمينة وصرفت لخدمة البلد وأعماره وخاصةً في منتصف السبعينات من القرن الماضي لكان العراق يضاهي البلدان الاوروبية ولكان من أكثر دول المنطقة تطوراً ولكن هذه الواردات مع الأسف الشديد قد استخدمت لتدمير البلد وكبت مشاعر الشعب وزّج العراق وشعبه في حروب خاسرة أحرقت الزرع والضرع وجعلته واحداً من بلدان العالم الثالث الفقيرة واعادته الى القرون الوسطى.

عندما افلس نظام عبدالكريم قاسم مالياً رجع الى شركات النفط لأجل الحصول على الأموال وزيادة حصة العراق من وارداته النفطية الا ان شركات النفط حاولت ان تستغل ذلك بالضغط سياسياً على النظام ولم تتجاوب مع تلك المطاليب بل ابدت كل التعنت في موقفها، اضطرت الحكومة العراقية الى سن القانون المرقم ٨٠ لسنة ١٩٦٠ والذي حدد مناطق الاستغلال وجعل جميع الاراضي غير المستغلة فعلياً خارج تصرف الشركات وأسست شركة النفط الوطنية التي جعلت تلك الاراضي تحت سيطرتها. تلك كانت ضربة كبيرة بالنسبة للشركات وكانت أحد اسباب قيام انقلاب الثامن من شهر شباط سنة ١٩٦٣، بعد مجيء البعث للحكم وكذلك اثناء حكم الاخوين عارف هدأت

العلاقات مع شركات النفط قليلاً وجمدت المطاليب السابقة وأصبحت الشركات تزاول اعمالها بصورة اعتيادية.

بعد مجيء البعث للحكم ثانيةً في انقلابي السابع عشر والثلاثين من تموز سنة ١٩٦٨ وبعد مضي فترة على ذلك وبعد أن هدأ الوضع وأستقر النظام بدأت المشاكل تظهر من جديد.

طموح النظام الجديد وكثرة التفكير في المؤامرات والسيطرة على باقي النظم جعلته في حاجة ماسةالى أموال وفيرة لصرفها من أجل تحقيق تلك الغاية، كما وأن الاسلوب الفردي والدكتاتوري والصرف دون خطة ودون الخضوع لأي نظام اقتصادي ومالي اصابت خزينة الدولة بالفوضى وجعل النظام في حاجة أكثر للمال. ولما كانت الثروة النفطية هي المصدر الرئيس أو الوحيد لواردات الدولة فقد انصرف تفكير النظام نحو الشركات مرة اخرى، لم يتمكن البعث من تحقيق مآربه بسهولة فأخذ بالتقرب أكثر من الكتلة السوفياتية ولعب لعبة سياسية ماهرة في ذلك الوقت وتطورت العلاقات التي تمخضت عن التوقيع على معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفياتي -كما ذكرت سابقاً- وتمكن الحكم أو أعتقد بأنه قد تمكن من تأمين هذا الجانب والوقوف ضد المخاطر التي قد تواجهه عند المساس بشركات النفط، وبما ان الخلافات قد بدأت مع الجانب الكُردي وقرر النظام القيام بجولة أخرى من القتال عاجلاً أو آجلاً فقد ضمن حليفاً قوياً لذلك ايضاً. ان تلك المعاهدة مع الاتحاد السوفياتي ومن ثم تطور العلاقات بصورة عامة مع الكتلة الاشتراكية كنتيجة طبيعية بعد التوقيع على هذه المعاهدة وكذلك تقوية الجبهة الداخلية بكسب الحزب الشيوعي الذي اصبح حليفاً للنظام فيما بعد -ولو بصورة مؤقتة- كل ذلك جعلته أكثر غروراً وثقة بالنفس للأقدام على خطوات مستقبلية أخرى.

وبعد مداولات بسيطة مع الشركات وعدم التوصل الى أي اتفاق اعلن النظام في الثاني من شهر حزيران سنة ١٩٧٢ تأميم شركة نفط العراق التي كانت مختصة بحقول كُردستان وكان القسم الاكبر من حصتها تعود لبريطانيا. فجن جنون شركات النفط التي قاطعت شراء النفط العراقي كما ان العراق لم يتمكن من تسويق انتاجه بالشكل المطلوب فحدثت ازمة اقتصادية لعدة أشهر وأن الحكومة قد اعلنت حالة التقشف واستقطعت نسباً معينة من رواتب جميع منتسبي الدولة، ولكن سرعان مازالت هذه الازمة بعد انتهاء السنة ولم تتمكن

الشركات من الصمود وأصبحت امنيتها فقط تأمين تدفق النفط ولو كان مؤمماً. ان الدول المستهلكة للنفط كانت تتعرض لضغوط كثيرة بغية زيادة الاسعار ليس من العراق فحسب بل من أكثر دول المنطقة وخاصةً من قبل شاه ايران والملك السعودي الراحل فيصل بن عبدالعزيز آل سعود.

كنت في براغ عندما صدر قرار التأميم الذي كان له صدىً واسعاً ولم تحرك الشركات والدول المالكة لها ساكناً بعكس ما ذهب اليه النظام من انه سوف يتعرض للهجوم أو المؤامرات.

احتفلت السفارة شأنها شأن بقية السفارات ومؤسسات الدولة بتلك المناسبة فبالأضافة الى الاحتفال الرسمي اقيم اجتماع كبير للجالية العراقية بمختلف اتجاهاتها وفكرنا في تلك المناسبة في دعوة شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري للمساهمة في ذلك الاحتفال، وكان ذلك قبل اقامة الاحتفال بساعات ولما حضر القي قصيدة رائعة بالمناسبة اثارت دهشة وأعجاب الحاضرين وقد قوبل بالهتافات والتصفيق، وبعد انتهاء الحفل بعث الملحق الثقافي عامر رشيد السامرائي الذي كان قد ذهب شخصياً لنقل دعوة السفارة للجواهري، بعث بالنص الكامل لرائعته الى وزارة الاعلام ونشرت في اليوم التالي في الصحف المحلية في بغداد.

في الايام التالية تلقينا التهاني من افراد الجالية العراقية والسفارات المختلفة ومن الحكومة الجيكوسلوفاكية وانشغلنا باستقبال المهنئين واستلام البرقيات المعنونة الى الرئيس العراقي احمد حسن البكر، ابتهاجاً بالمناسبة.

استلمنا مع أول بريد دبلوماسي بعد عملية التأميم تعليمات مفادها الاتصال بوزارة الخارجية الجيكوسلوفاكية لكسب تأييد حكومتها لتلك الخطوة والحصول على المساعدات المالية الممكنة وكذلك محاولة العثور على سوق نفطي بعد تأميمه وبعد مقاطعة الشركات أثر عملية التأميم.

جرت الاتصالات بأسرع وقت ممكن وفي مقابلة مع وزير الخارجية ووزير التجارة الخارجية وكذلك مع عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الجيكوسلوفاكي السيد (بيلاك) والذي كان من أقوى الاعضاء وأكثرهم نفوذاً تمكننا من الحصول على بعض القروض وكذلك الوعد بشراء كمية من النفط العراقي وقد تم تنفيذ ذلك فعلاً، وكان يصحبني في تلك المقابلات مستشار السفارة السيد عبدالقادر قلمچي الذي كان من اصدقائي اضافةً الى كونه الشخص الثاني في السفارة بعد السفير.

السفر الى بغداد

تمكنت خلال تلك المدة من مكوثي في براغ من تطوير علاقاتي الرسمية والشخصية مع المسؤولين الجيكوسلوفاكيين وعلى الصعيد الدبلوماسي وتمكنت من بناء علاقات صداقة حتى مع ممثلي الدول التي كانت علاقاتها مع بغداد ليست بالشكل المطلوب أو التي كانت علاقاتها مقطوعة وكنت أدعى الى كثير من حفلات الغداء أو العشاء حتى الولائم الخاصة. كنت -كما قلت- عميداً للسلك الدبلوماسي العربي ووصل اسمي في التسلسل الدبلوماسي الى قمة القائمة تقريباً بعد حدوث التنقلات والتغييرات الكثيرة، علاوةً على علاقاتي الجيدة على الصعيد الشعبي وكذلك بالنسبة للجالية العراقية.

وفي أحدى المناسبات الرسمية التقيت بوزير الدفاع الجيكوسلوفاكي الجنرال (تزور) وبعد تبادل كلمات الترحيب اشاد بحسن العلاقات الرسمية وبعلاقاتي الشخصية مع المسؤولين وقال لي مجاملاً: من المؤسف انك لست بشيوعي وكم كنت أتمنى أن يكون مثلك من الشيوعيين، فأجبته ضاحكاً وشاكراً اياه على موقفه قائلاً: انه من الافضل ان يكون لكم صديق من غير الشيوعيين، وضحكنا معاً.

في شهر آب من سنة ١٩٧٢ طلبت اجازة رسمية لزيارة بغداد لقضاء بعض الأعمال المتعلقة بالسفارة، وسمعت قبل ذلك بعض الشائعات عن نقلي من براغ. خلال شهر تموز صادف وقوع حادثتين مؤسفتين، ففي العاشر منه وقع حادث طريق مروع ذهب ضحيته وزير الزراعة المرحوم نافذ جلال الذي كان واحداً من أقرب اصدقائي وزميل عملي سواء في أيام الثورة الكُردية أم في لجنة السلام علاوةً على العلاقات العائلية القديمة التي كانت بيننا، وقد تألمت جداً لذلك فكان شخصاً وطنياً نزيهاً ومخلصاً امتاز بآرائه الجريئة وصراحته وذكائه وقد زارني أثر ذلك الحادث عدد كبير من اصدقائي ومعارفي لمواساتي بالحادث المؤسف، وبعد عشرة ايام فقط من تلك الخسارة فوجئت بوفاة ابن عمي المرحوم حسين علي خورشيد دزه يي الذي كان صديق العمر بالرغم من فارق السن بيننا وكان من اقاربي المقربين جداً ليس كقريب فحسب بل كرفيق

وصديق وقد أمتاز باللطف والمرح والاحاديث الشيقة التي لايتعب منها الانسان، كان الدافع الاول من سفري -رغم صفتها الرسمية- هو هذين الحادثين وهذين المصابين. وأردت أن اشارك ذوي الفقيدين احزانهم ومواساتهم شخصياً وحضور مراسيم الاربعين بالنسبة للأول ولقاء أسرة الفقيد الثاني شخصياً.

بعد وصولي بغداد واجراء المقابلات الرسمية سافرت الى مدينة كويسنجق لحضور مجلس التأبين بمناسبة مرور اربعين يوماً على وفاة المرحوم نافذ جلال وذلك قبل أن اذهب الى اربيل التي ذهبت اليها بعد ذلك والتقيت بأسرة ابن عمي حسين، وكانت المناسبتين محزنتين حقاً.

عدت الى بغداد والتقيت وزير الخارجية مرتضى سعيد عبدالباقي الحديثي الذي أكد لي الخبر الا انه أكد عدم صدور قرار رسمي بذلك بل ان الموضوع قد بحث في المستويات العليا، ولاحظت بأن المرحوم الحديثي لم يكن راضياً من القرار وذلك لعدم مرور مدة طويلة على تسلّمي ذلك العمل ونظراً لنجاحي الكبير في عملي والوصول بالعلاقات الى مستوى حسن للغاية، هذا علاوةً على دماثة خلقه وطريقته المهذبة في التعامل مع غيره وعلاقات الصداقة بيننا.

قابلت كل من الرئيس البكر وقضى لي بعض المطاليب التي قدمها بعض الناس عن طريقي كالتعيين والنقل وغير ذلك من الأمور الشخصية، وقابلت كذلك نائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين وتمت المقابلتان في جو اعتيادي ولم يتطرقا الى موضوع نقلي مطلقاً. وابدى لي البكر أسفه لحادثة نافذ جلال اذ كان يعرفه سابقاً عندما كان طالباً في الكلية العسكرية حيث كان البكر من معلمي تلك الكلية. وفي مقابلتي للبارزاني الراحل بينت له نية الحكومة في نقلي الى كندا فأخبرني بعدم الذهاب ان لم أكن راغباً في ذلك وثم استقر رأينا للسفر لبضعة أشهر والعودة والاستقالة بعدها.

عدت الى مقر عملي في براغ ووردت تدريجاً قرارات نقل عدد من الموظفين العاملين معي في السفارة، وكنا فريق عمل منسجم ومتعاون كما وأني آنست رفقتهم ولم يبدر منهم أي عمل لايريقني ولم يكن تعاملنا كرئيس ومرؤوس بل كأصدقاء. صدر قرار نقل طارق العاني مدير الحسابات في السفارة ثم

عبدالستار الدوري الملحق الثقافي وبعده الملحق التجاري طه احمد الداود ومستشار السفارة عبدالقادر القلمچي وغيرهم، وفي أواخر ايلول أو أوائل شهر تشرين الاول من سنة ١٩٧٢ ورد قرار بنقلي الى اوتاوا عاصمة كندا كأول سفير عراقي مقيم هناك وتأسيس السفارة اذ كانت لدى العراق قنصلية عامة في مدينة (مونتريال) بمقاطعة (كيوبيك) الفرنسية في كندا، وكذلك ترك براغ اصدقائي الكُرد عزيز شيخ رضا وعبدالخالق معروف وطارق عقراوي.

قبل تركي بغداد والعودة الى مقر عملي التقيت بالأخوان سامي عبدالرحمن وزير شؤون الشمال عضو المكتب السياسي وصالح اليوسفي وزير الدولة وعضو المكتب السياسي واحسان شيرزاد وزير البلديات، اما نوري صديق شاوه يس فكان خارج العراق بقصد العلاج فقد كان يعاني من مرض في القلب، أجمع الجميع على أن أقوم بتولي منصب وزير الزراعة خلفاً للمرحوم نافذ جلال، الا انني رفضت ذلك بشدة وذلك لمرور اسابيع فقط على ذلك الحادث بالرغم من اصرار ذوي نافذ جلال على قبولي للمنصب المذكور ولأنني كنت متيقناً من أن البعث بعد مرور تلك المدة على بيان آذار سوف ينكث وعوده ويتراجع عنها.

بعد تسلّم قرار نقلي من براغ باشرت بالتهيؤ للسفر وكان ذلك يستغرق زهاء شهرين عادةً من تأريخ صدور قرار النقل وذلك بزيارة جميع المسؤولين في الحزب والدولة وخاصةً الذين لهم علاقات جيدة أو مباشرة مع السفارة وكذلك المباشرة بأداء الزيارات الوداعية لجميع السفراء المعتمدين. انتهيت من كل ذلك في ظرف شهرين وكان من المقرر اقامة حفل الوداع من قبلي في أوائل شهر كانون الاول الا انني قد أجلت ذلك اسبوعين عن الموعد لأسباب سأبحثها في السطور القادمة.

صفقة الاسلحة بين العراق وجيكوسلوفاكيا

كان من الممكن ترك مقر عملي وانهاء أعمالي ومغادرة جيكوسلوفاكيا في الاسبوع الاول من كانون الاول سنة ١٩٧٢ الا انني علمت بأن وفداً عسكرياً عراقياً كبيراً سيصل براغ ويرأسه وزير الدفاع الفريق حماد شهاب لأجراء اتفاق حول تزويد العراق بكمية كبيرة من الاسلحة، لم أبّلغ أنا شخصياً بموعد وصول الوفد ولا بنوايا تلك الزيارة، ولكني علمت ذلك من أصدقائي الجيكوسلوفاك، ثم تمكنت من الحصول على تلك المعلومات من الملحقية العسكرية. لذا اجلت مغادرتي بالرغم من أن هيئات السلك الدبلوماسي العربي قد أقامت لي حفلة الوداع وقدمت لي الهدية الرمزية بتلك المناسبة من قبل نائب عميد السلك العربي السفير محمد علي ابراهيم سفير اليمن الذي اصبح عميداً للسلك بعد مغادرتي.

استنتجت من كل ذلك بأن الحكومة العراقية ارادتني بعيداً عن تلك الصفقة ولم ترغب في اطلاعي عليها وذلك لأن تلك الاسلحة كانت تهيأ لأستعمالها ضد الشعب الكُردي عند استئناف الجولة الجديدة من القتال، لذلك تقرر نقلي من براغ وكانت توقعات الحكومة بأنني سوف اغادر مقر عملي قبل وصول الوفد.

وصل الوفد في الاسبوع الثاني من الشهر وكان يضم عدداً كبيراً جداً من العسكريين والفنيين برئاسة وزير الدفاع الفريق حماد شهاب، على متن طائرة نقل عسكرية خاصة. استقبلت الوفد في المطار مع منتسبي السفارة وكذلك وزير الدفاع الجيكوسلوفاكي وكبار مندوبي الوزارات ذات الشأن، أوضحت للوفد سبب استمراري في عملي وعدم رغبتي في ترك السفارة خالية من السفير اثناء وجوده وأقمت في نفس اليوم حفلة عشاء كبرى تكريماً للوفد حضرها وزير الدفاع الجيكوسلوفاكي ووزير التجارة الخارجية ووكيل وزارة الخارجية صديقنا (هروزا) الذي كان سفيراً في بغداد وجميع السفراء العرب وبعض افراد الجالية العراقية.

وفي الايام التالية بدأت المفاوضات بين العسكريين من الطرفين وزيارة

المؤسسات العسكرية واقامة الحفلات، وكنت اطلع على بعض الاوراق الخاصة بالمفاوضات احياناً وبعد أن اقام وزير الدفاع العراقي حفلة عشاء تكريماً لنظيره الجيكوسلوفاكي والتي قد هيئت لوازمها جميعاً في دار السفير من قبل عوائل منتسبي السفارة وأقيمت في مقر اقامة الوزير جرت في اليوم التالي مراسيم التوقيع على الاتفاقيات وكنت حاضراً تلك المراسيم.

وكانت الصفقة عبارة عن طائرات حربية تتمكن من الطيران والمناورة في المناطق الجبلية ومدافع الميدان والاسلحة الثقيلة والدبابات ذات الاجهزة الخاصة بعبور الخنادق والموانع وكمية هائلة من الاسلحة الخفيفة والعتاد.

بعد تلك الاجراءات غادر اعضاء الوفد عائدين الى بغداد اما وزير الدفاع فقد سافر الى أحد المصحات للأستراحة. أعلنت عن حفلة الوداع بعد ذلك واعتقد بأنها كانت في السادس عشر من شهر كانون الاول وحضرها عدد كبير من المسؤولين ورؤساء الهيئات الدبلوماسية الاجنبية والعربية وعدد من افراد الجالية العراقية واصدقائي الشخصيين من جيكوسلوفاكيا وقد قدمت لي الهدايا التذكارية في تلك الحفلة من قبل وزارة الخارجية والسلك الدبلوماسي ومن منتسبي سفارتنا ومن الاصدقاء الآخرين. قررت المغادرة يوم ١٩٧٢/١٢/٢٠ فحضر رئيس التشريفات في وزارة الخارجية صديقي الدكتور روشكوت وودعني رسمياً في داري ثم تابعت السفر بسيارة السفارة الى ڤينا مع ابن عمي كاكه عبدالقادر دزه يي ومن هناك استقليت سيارتي الشخصية عائدين الى بغداد بطريق البر.

في بغداد قبل الالتحاق بعملي في كندا

ذكرت بأنني قد تركت براغ منقولاً منها في ١٩٧٢/١٢/٢٠ وقد قضيت فيها زهاء السنتين والنصف، وكانت بلاداً جميلة حقاً يمتاز شعبها بالطيبة والوداعة وكانت جيكوسلوفاكيا شأنها شأن الدول الاشتراكية الاخرى تعاني من الفقر، وقد حرّم السفر منها الى الدول الغربية وكانت البضائع الغربية والكماليات ممنوعة التداول في الاسواق المحلية وتجدها فقط في السوق الخاصة بالدبلوماسيين أو في بعض الاسواق الحرة التي تتعامل بالعملة الصعبة. لذا كان تقديم أية هدية من انتاج غربي من دواعي فرح وأعجاب المواطنين. كما كان بعض الدبلوماسيين يحصلون على التحف القديمة بأسعار زهيدة ويجري تهريبها الى الدول الغربية. وكان الدبلوماسي يستطيع الحصول على أجود أنواع الكريستال بعد تقديم هدية بسيطة الى الشخص المسؤول أو البضائع، كما كان بالأمكان الحصول على العدد الذي تحتاجه من الغرف في أي فندق من الدرجة الاولى بعد تقديم تلك الهدية البسيطة، وبخلاف ذلك لم يكن بالأمكان الحصول على أي شيء دون تقديم الهدايا أو نستطيع ان نسميها رشوة بسيطة. كان الناس يبدون تذمرهم من النظام وخاصةً امام الاجانب واستطيع أن أقول بأن الاكثرية العظمى من افراد الشعب كانت من معارضي النظام الشيوعي. ولا انكر بأن كان للنظام محاسنة ايضاً الى جانب سلبياته، فعدم وجود البطالة والتأمين الصحي وتأمين السكن للمواطنين وتكاليف الحياة الزهيدة -بالرغم من بساطة مستواها- كل ذلك كان من محاسن النظام، الا ان عدم الشعور بالحرية والكبت الموجود وكذلك كره الاتحاد السوفياتي الذي كان مسيطراً على البلد جعل من ابناء الشعب معارضين لذلك النظام. وقد سألت أحد المسؤولين مرة عن سبب منع المواطنين من السفر اذ ان كل من يسافر الى الدول الغربية يواجه التكاليف الغالية للحياة والبطالة الموجودة فلابد أن يعود الى بلده ليتمتع بتلك الامتيازات. فأورد عند الاجابة حججاً واهية لم تقنعني، فلاعجب في أن ينهار النظام الاشتراكي بعد زهاء عقد ونصف من وجودي بتلك السهولة في الاتحاد السوفياتي وجميع البلدان الاشتراكية وبتلك السرعة غير المتوقعة.

وعلى كل حال فقد تمتعت جداً خلال فترة مكوثي في جيكوسلوفاكيا وكانت بالنسبة لي تجربة دبلوماسية ناجحة اذ كانت هي التجربة الاولى.

وصلت ڤينا قادماً من براغ وبعد مضي يوم واحد هناك وبعد أن عاونني سائقي وكان أسمه (كولا) على تهيئة سيارتي الشخصية غادرت ڤينا قاصداً حدود يوغسلافيا، وعاد (كولا) من ڤينا بسيارة السفارة. كان ذلك السائق ماهراً جداً وخدوماً يتكلم الانكليزية بصورة جيدة فقد كان ملازماً طياراً في الجيش الجيكوسلوفاكي إبّان الحرب العالمية الثانية وكان من جملة افراد الجيش الذين قاوموا الاحتلال النازي وانظم الى الجيوش الغربية او الحلفاء حتى انتهاء الحرب وقضى بعض الوقت في بريطانيا ثم عاد الى جيكوسلوفاكيا بعد دحر الجيوش النازية ولكنه قد أخرج من الجيش بعد سيطرة النظام الشيوعي على الحكم.

بعد القضاء ليلة واحدة في مدينة زغرب توجهت ومعي ابن عمي كاكه عبدالقادر نحو بلغاريا ثم تركيا فسوريا ولبنان وسوريا ثانيةً ووصلنا بغداد في الخامس والعشرين من الشهر نفسه ونحن متعبان جداً، وصلناها فجر ذلك اليوم وكانت مصادفة غريبة حيث لاقينا عمتي، والدة كاكه عبدالقادر وكانت تتهيأ لتسافر في اليوم نفسه لزيارة بيت الله الحرام ففرحت جداً بلقاء ولدها الوحيد كاكه قبل سفرها لأداء فريضة الحج.

قضيت بعض الوقت في بغداد لأداء بعض الزيارات الرسمية فقمت بزيارة رئيس الجمهورية البكر ونائبه صدام حسين ووزير الخارجية مرتضى سعيد عبدالباقي الحديثي ووكيل الوزارة شاذل طاقة، كما التقيت بأصدقائي الكُرد من الوزراء وغيرهم ثم عدت الى أربيل.

لم أكن على عجل للألتحاق بعملي الجديد في كندا لذا قضيت أكثر من ثلاثة أشهر في العراق، بعكس الآخرين الذين يعينون في مثل هذه المناصب يريدون الالتحاق خلال أقصر مدة ممكنة.

صادف اثناء وجودي في بغداد زيارة وفد جيكوسلوفاكي كبير -ولا اذكر تأريخ وصوله بالضبط- كان يرأسه وزير الخارجية الجيكوسلوفاكي، وقد رغب مرتضى الحديثي وزير الخارجية في ضمي الى الوفد العراقي الذي يتفاوض مع الوفد الضيف، حيث أصبحت عضواً في الوفد وبعد وزير الخارجية مباشرةً. كنت أعرف أكثر أعضاء الوفد الجيكوسلوفاكي والوزير نفسه، وقضوا بضعة

أيام في بغداد جرى فيها بحث مختلف القضايا التي تهم البلدين وتم التوقيع على بعض الاتفاقيات بخصوص العلاقات التجارية والقنصلية وغيرها.

بدأ الربيع يقترب فقررت ان اقضي أيام عيد نوروز في كُردستان، فقضيت بضعة أيام في منطقة گلاله والتقيت البارزاني عدة مرات منذ وصولي كُردستان، وكان قد قدم لي عند ذهابي الى جيكوسلوفاكيا هدية عبارة عن جلد نمر اصطيد في جبال كُردستان وقد تم تحنيط الجلد المذكور وحشوه بطريقة علمية وفنية من قبل العاملين في متحف التأريخ الطبيعي في براغ وقد جرى تحنيطه بشكل جميل جداً يحسبه الناظر لأول وهلة أنه نمر طبيعي. وقد سألني البارزاني عن مصير ذلك الجلد فرويت له تلك القصة وأعلمته بأنني شحنته مع حاجياتي القليلة الى كندا مباشرةً من براغ.

بعد احتفالات عيد نوروز عدت الى أربيل وقضيت اياماً في منطقتنا وفي القرى العائدة لنا ولأقاربنا، وقد تمتعنا جداً بجو الربيع الطيب حيث كانت الحياة الريفية الطبيعية الجميلة بعيدة عن تعقيدات المدن. كانت بالنسبة لي حياة ممتعة ذكرتني بالأيام الخوالي في الارياف وبالحياة السهلة البسيطة، وددت بأن لاتنتهي تلك الايام ولاينتهي الربيع ونسيت موضوع السفارة والسفر الى كندا وغيرها ومضت تلك الايام كحلم جميل لم أرغب في أن ينتهي.

وأخيراً وبعد أن افقت من ذلك الحلم الجميل ايقنت انه لابد من السفر والالتحاق بعملي ولابد من مغادرة ذلك الجو الممتع، فعدت الى أربيل وثم الى گلالة مقر قيادة الحزب وهناك قمت بزيارة البارزاني واستأذنت منه بالسفر وبعد توجيهاته وتوصياته زرت الاصدقاء الآخرين في المكتب السياسي وقيادة الحزب ثم غادرت المكان عائداً الى أربيل ثم قاصداً بغداد.

كان موعد سفري في الاسبوع الاول من شهر نيسان سنة ١٩٧٣ وقد قمت قبل سفري بزيارة رئيس الجمهورية حيث استلمت اوراق الاعتماد التي كانت موجهة الى الملكة اليزابيث الثانية ملكة بريطانيا بأعتبارها ملكة كندا ايضاً، وسألني البكر فيما اذا كنت استصحب معي افراد عائلتي أجبته بأنهم يلتحقون بيَّ عند بدء العطلة الصيفية للمدارس، فقال البكر يجب أن يطلعوني على ذلك قبل موعد سفرهم. ولم يتمكنوا من ذلك لأن موعد سفرهم قد صادف انشغال المسؤولين بحركة ناظم گزار مدير الامن العام في حزيران من

تلك السنة.

وبعد ذلك قمت بزيارة نائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين ووزير الخارجية مرتضى سعيد عبدالباقي الحديثي والآخرين في الوزارة وبعد أن قضيت بعض الاعمال الادارية غادرت الوزارة ثم سافرت بعد يوم أو يومين عن طريق لبنان.

وقبل سفري بيوم واحد سمعت بأن الزعيم الآشوري ملك ياقو الذي كان يسكن كندا، موجود في بغداد وهو يرقد في مستشفى مدينة الطب للعلاج، واريد هنا أن أذكر شيئاً عن دور الأخوة الاشوريين في الحركة الكُردية وخاصة في ثورة ايلول. لقد كانت العلاقات بين الكُرد والآشوريين متميزة دوماً يسودها جو من الثقة والتعاون وخاصةً العلاقات مع البارزانيين، لذا فقد تواجدوا بكثرة في قرى مشتركة مع الكُرد أو قرى مستقلة بهم بين القرى الكُردية، ولم يكن بالأمكان وفي كل الظروف ايجاد الفرقة والخلافات بينهم بل أنهم عاشوا متآخين ومتعاونين على مدى سنين. اما في ثورة ايلول الكبرى التي قادها الزعيم الكُردي الراحل مصطفى البارزاني فقد ساهم فيها الآشوريون مساهمة فعلية الى جانب اخوانهم الكُرد وقدموا الضحايا والشهداء في سبيل ذلك، وان الشهيد البطل هرمز ملك چكو مثال على ذلك، وكان الاثوريون بين الحرس الخاص المكلف بحماية البارزاني ونجله مسعود البارزاني.

في مفاوضات ١٩٧٠ وقبل التوقيع على اتفاق الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧٠ كان من جملة مطاليب الوفد الكُردي في تلك المفاوضات منح الحقوق الثقافية للتركمان والآشوريين. وقد رفض الجانب الحكومي هذا المطلب الكُردي، وأعلن بعد ذلك من جانب واحد الحقوق الثقافية للتركمان، كما وأصدرت عفواً عن (المار شمعون)[١٧] الذي كان يقيم في كندا ودعته الى بغداد وحاولت كسب الآشوريين عن طريقه الا انه رفض ذلك وعاد الى كندا حيث اغتيل هناك، ثم حاولت ذلك عن طريق الزعماء السياسيين عندما فشلت في اقناع الزعيم الديني فقدمت دعوة الى المرحوم (ملك ياقو)[١٨] بعد أن أصدرت العفو عنه وعن اتباعه وبذلت معه جهود كبيرة لكسبه الى جانبها ودفعه للعمل ضد الثورة الكُردية ولكنها فشلت في النتيجة.

كانت هي الزيارة الثانية التي يقوم بها الملك ياقو الى بغداد، فلما سمعت بأنه يرقد في المستشفى رأيت من الافضل زيارته قبل سفري وذلك للعلاقة

الاخوية الجيدة مع الاخوة الآشوريين وموقفهم المشرف من الثورة الكُردية اولاً وبسبب اقامته في كندا قبل مجيئه الى بغداد وأنا مسافر الى اوتاوا كسفير. وذهبت صباحاً الى المستشفى في اليوم الذي يسبق سفري حاملاً له باقة كبيرة من الزهور ولما دخلت المستشفى وجدت حارسين خارج باب غرفته من منتسبي الامن العراق وقد حاولا منعي من الدخول الا انني اوضحت لهما بأنني سفير العراق في كندا ففسحا لي المجال دون السؤال عن أسمي أو هويتي وظّنا أنني أحد كبار البعثيين. فدخلت على السيد ملك ياقو وسلمت عليه وعرفته بنفسي، فظن هو ايضاً أنني من البعثيين. كان رجلاً مسناً ومتعباً لذا ظل متمدداً على فراشه وقال لي بلغة عربية ركيكة وبعض الجمل الانگليزية بأنه (قد جال المنطقة الشمالية كلها على الاقدام من زاخو الى الحدود الايرانية وانه يعرف تلك المنطقة شبراً بشبر وانه قادر على محاربة الثورة الكُردية والبارزاني ويطلب نقل هذا الرأي للمسؤولين!! ضحكت من ذلك القول وبعد تبادل كلمات المجاملة تمنيت له الشفاء وتركته. وعدت الى الفندق الذي كنت اقيم فيه في شارع السعدون لكي اتهيأ للسفر، وعصر ذلك اليوم حضر الفندق السيد (زيا) نجل الملك ياقو وكنت أعرفه معرفة بسيطة كوني قد التقيت به مرة أو مرتين في بعض المناسبات. وبعد السلام والترحيب به أعتذر عمّا قاله والده وقال بأنه لم يعرفني وأنه رجل مسّن ومريض لايحسب لقوله كثيراً، واشاد بالعلاقات الاخوية بين الكُرد والآشوريين وأكد بأنه من غير الممكن الاساءة الى تلك العلاقات. فأبتسمت وأيدته في قوله وقلت بأنني قد نسيت هذا الموضوع وأعلم بأن هذا الكلام قد صدر عن والده بسبب مرضه وكبر سنه ولأنه لم يعرفني. وقد حررت رسالة الى البارزاني حول ذلك اللقاء وموقف السيد زيا ورأي الخاص الذي كان كما ذكرته سابقاً. وعلمت فيما بعد بأن الملك ياقو ونجله زيا قد غادرا بغداد بعد رفضهما طلبات النظام بالتعاون معه.

ذكرت بأنني لم أكن على عجل من أمر السفر فقد قضيت عدة أيام في لبنان ثم توجهت الى براغ مقر عملي القديم ولم يلتحق أي سفير جديد ليحل محلي وتبين انهم بصدد تعيين أحد البعثيين هناك بالرغم من انني قد سمعت بأن استاذي القديم وصديقي الدكتور عبدالله اسماعيل البستاني مرشح لذلك المنصب وكان قد عُين حديثاً سفيراً في وزارة الخارجية، وقد هنأته على ذلك وزودته ببعض المعلومات الا أنني اعتقد بأنه لم ينتدب الى تلك السفارة. وكان أحد اسباب نقلي من هناك هو حساسية ذلك الموقع بعد التطور في

العلاقات مع الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية ولأن جيكوسلوفاكيا كانت من الحلقات المهمة في سلسلة تلك العلاقات بل نستطيع أن نقول من أهمها بعد الاتحاد السوفيتي، وفي كثير من الاحيان لايريد الاتحاد السوفياتي الارتباط مباشرة في بعض الامور فتكون جيكوسلوفاكيا هي البديلة لتقوم بذلك العمل.

قضيت في براغ بضعة ايام بصفة شخصية، بصفة سائح أو زائر ولأول مرة كنت أشعر بنوع من الحرية وحللت في أحد الفنادق ولكن سيارة السفارة كانت تحت تصرفي لتنقلاتي وكذلك سائقي الشخصي السابق (كولا) كان في خدمتي كعادته، وزرت بعض الاصدقاء القدامى الشخصيين سواء في وزارة الخارجية أو خارجها. كذلك التقيت ببعض السفراء من اصدقائي، وبعد حوالي اسبوع سافرت الى ڤينا وقضيت يومين مع صديقي مالك الياسري وشقيقي عمر ومنها الى المانيا الاتحادية حيث شقيقي الاخر أنور وقضيت يوماً واحداً في فرانكفورت حيث التقيت بصديقتي طبيبة الاسنان الدكتورة (دادا دوبرسكا) وهي طبيبة جيكوسلوفاكية كنت أعرفها مع زوجها الجيكي المهندس پيتر دوبرسكي وكانا من اصدقائي المقربين في براغ وقد هاجرت الطبيبة فيما بعد الى المانيا الغربية بعد طلاقها من زوجها وبعد أن تزوجت من رجل سويسري فتمكنت من مغادرة جيكوسلوفاكيا.

وبعد المانيا الى بريطانيا حيث قضيت اسبوعاً واحداً التقيت بابا علي الشيخ محمود الحفيد الذي كان يقيم في لندن، كما أتصلت هاتفياً بصديقي وابن خالتي زيد احمد عثمان الذي كان مقيماً في پاريس وكذلك التقيت بأصدقائي الآخرين من المقيمين في بريطانيا وبعد أن اقتنيت بعض الحاجيات والملابس الرسمية غادرت الى مقر عملي الجديد في اوتاوا بكندا بتأريخ الرابع والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩٧٣.

في كندا

غادرت لندن مساءً متوجهاً نحو القارة الامريكية التي لم ازرها سابقاً فكانت هي الرحلة الاولى بالنسبة لي الى تلك القارة، وكان فارق الوقت بين بريطانيا والساحل الشرقي من كندا خمس ساعات وقد وصلت (مدينة مونتريال) الكندية على الساحل الغربي للمحيط الاطلسي في شرق كندا التاسعة مساءً حسب التوقيت المحلي، مدينة مونتريال واحدة من أكبر المدن الكندية وأجملها وهي تقع في مقاطعة كيوبيك الفرنسية في كندا واللغة الفرنسية هي المتداولة بين السكان وهي اللغة الرسمية الاولى، بعد استراحة قليلة غيرت طائرتي بأخرى متوجهة الى مدينة (اوتاوا) عاصمة كندا ووصلتها بعد الساعة العاشرة مساءً. وكان في استقبالي موظفو السفارة يتقدمهم السكرتير الاول محمد رضا الجابري القائم بأعمال السفارة وبقية المنتسبين.

وبعد الترحيب والتحية انتقلت الى الفندق المخصص لأقامتي وكان عبارة عن جناح خاص في (فندق هوليداي ان) الذي كان يعتبر من أحسن فنادق اوتاوا، وكان مدير الفندق والعاملين فيه من الناس الخدومين والمجاملين.

عند وصولنا الفندق عرض عليَّ مستقبلي أن أذهب معهم لتناول العشاء فأعتذرت لأنني كنت تناولت العشاء في الطائرة خلال الرحلة الطويلة وكان الوقت متأخراً جداً بالنسبة لي، فقد كانت الساعة تشير الى الرابعة صباحاً حسب توقيت بريطانيا وكنت متعباً جداً وبحاجة الى الراحة والنوم.

نهضت في صباح اليوم التالي وأني أشعر بالراحة والنشاط وبعد تناول الفطور والتهيؤ حضر السيد الجابري ورافقني الى مبنى السفارة وهناك باشرت بأعمالي الجديدة كأول سفير مقيم للعراق في كندا.

بعد استراحة قصيرة، اطلعت على مبنى السفارة، وكانت عبارة عن دار كبيرة تقع في الحيّ الخاص بالسفارات وهي مكونة من ثلاث طوابق وفيها عدد كاف من الغرف تزيد على عدد المنتسبين وكذلك الملحق الخاص بالسائق. كانت هنالك قنصلية عامة للعراق في مونتريال وعند صدور القرار الخاص بتأسيس

سفارة في اوتاوا أغلقت القنصلية وتم نقل المحتويات من أثاث وأوراق الى البناية التي ستقام فيها السفارة كما وجرى نقل بعض المستخدمين. وقد جرى نقل القنصل العام الى القنصلية في ديترويت بالولايات المتحدة.

كندا بلاد جميلة وواسعة جداً في امريكا الشمالية وهي ثاني أوسع دولة في العالم بعد روسيا (الاتحاد السوفياتي سابقاً) من حيث المساحة، اما نفوسها -في سنة ١٩٧٣- فكان يبلغ اثنان وعشرون مليون نسمة فقط. وهي من الدول التي لاتزال تحت التاج البريطاني وتعتبر ملكة بريطانيا هي ملكة كندا في نفس الوقت. ومناخها قاري معتدل في الصيف وبارد جداً في الشتاء، مع اني قد غادرت كندا قبل حلول موسم الشتاء، ووصلتها في الربيع في أواخر نيسان. الآن يبلغ نفوسها زهاء الثلاثين مليون نسمة.

تنقسم كندا الى عدة مقاطعات أهمها كيوبيك واونتاريو وكولومبيا البريطانية ونوفاسكوتيا وغيرها، ويستعمل سكان المقاطعة الاولى اللغة الفرنسية وهم قوميون متعصبون وتبلغ نسبتهم الخمس تقريباً الى مجموع السكان، ولهم احزاب خاصة بالمقاطعة وبرلمان وحكومة خاصة كما هو الحال في المقاطعات الاخرى، اذ ان النظام اتحادي (فيدرالي). وفي مقاطعة كيوبيك حزب خاص يدعي (حزب استقلال كيوبيك) وينص الدستور على أن الشعب الكيوبيكي متى ما قرر الانفصال فله كامل الحرية، الا أن أكثرية سكان المقاطعة تحبذ البقاء ضمن تلك الفدرالية وان حزب استقلال كيوبيك لم يفز فوزاً مطلقاً لحدّ الآن في الانتخابات لكي يأتي للحكم ويقرر الانفصال.

اما بقية الاقاليم أو المقاطعات فتستعمل اللغة الانگليزية كلغة رسمية اضافةً الى بضعة آلاف من قبائل الاسكيمو الساكنة في منطقة القطب الشمالي فتستعمل فيما بينها اللغة الخاصة بها.

بعد بضعة ايام تحدد موعد تقديمي اوراق اعتمادي كأول سفير عراقي مقيم، وتختلف مراسم تقديم اوراق الاعتماد في دولة عن الاخرى، وفي اليوم المحدد ذهبت بصحبة رئيس التشريفات بعربة ملكية تجرها الخيول الى قصر الحاكم العام (Governer General) الذي يقوم مقام الملكة (ملكة بريطانيا)، وكان الحاكم العام آنذاك هو (رولاند ميچنر-roland mtchner) وبعد اجراء مراسيم تفتيش الحرس الملكي دخلت الصالة الخاصة وفيها الحاكم العام ورئيس

التشريفات ومندوب عن وزارة الخارجية الكندية وبعد تقديم اوراق الاعتماد جرى القاء الكلمات المتبادلة وكانت كلمات تضمنت الرغبة في تطوير العلاقات بين بلدينا وهي أصولية.

ثم قدمت للحاكم العام اعضاء السفارة وبعد ذلك انتقلنا الى غرفة اخرى، الحاكم العام ورئيس التشريفات وأنا وتبادلنا بعض الاحاديث الودية العامة، وأنتهت المراسيم وغادرت عائداً بنفس الطريقة السابقة. كان منصب الحاكم العام شكلياً وكان واجبه فقط اجراء مثل تلك المراسيم أو ما يتطلبه تشكيل الوزارات أو افتتاح المجالس النيابية، ولم يكن له أي دور سياسي.

بعد انتهاء مراسيم تقديم اوراق الاعتماد بدأت العملية التي تتبع ذلك وهي توزيع الرسائل على السفارات لأعلامها بمباشرة اعمالي.

بعد عودتي مباشرةً من تقديم اوراق الاعتماد صادفت مظاهرة احتجاج يهودية مكونة من حوالي مئتي شخصاً امام مبنى السفارة العراقية، وكان اليهود يعلمون عن موعد تقديم اوراق الاعتماد من الصحف والاذاعة فنظموا تلك المظاهرة احتجاجاً على سوء معاملة الحكومة العراقية لليهود –حسب ادعائهم– وكانت الشرطة تحول بين مبنى السفارة والمتظاهرين، ودخلت السفارة واغلقنا الباب وحاول احدهم تقديم مذكرة احتجاج فطرق الباب الا اننا رفضنا استلامها فتركها عند باب السفارة وغادروا بهدوء. والحقيقة كانت المظاهرة سلمية وقفت على بعد اربعين أو خمسين متراً عن مبنى السفارة رافعة الشعارات الاحتجاجية ومرددة بعض الهتافات.

بدأت القيام بالزيارات الرسمية وكانت أولاها لوزير الخارجية ثم رئيس الوزراء (بيير ترودو)، كان رئيس الوزراء رجلاً مشهوراً بالأناقة والوسامة ورجلاً محبوباً ونشطاً، تزوج من فتاة يكبرها بأكثر من خمس وعشرين عاماً، وكان ينتمي الى مقاطعة كيوبيك الناطقة بالفرنسية ولكنه كان يؤمن بوحدة كندا، وبقي في الحكم مدة طويلة. كان شخصاً مثقفاً بثقافة عصرية وأبدى استعداده الكامل لأبداء المساعدة في كل ما يطّور العلاقات بين البلدين. ثم بدأت الزيارات الدبلوماسية المعتادة، ولم اتمكن من أكمالها جميعاً وذلك لوجود عدد كبير جداً من السفارات يبلغ عددها حوالي المائة أو يتجاوزه بقليل، وبما أن كندا هي دولة تحت التاج البريطاني ومن دول الكومنويلث، فأن

فيها سفارات لجميع الدول المنتمية الى تلك الرابطة ويسمى هؤلاء السفراء بالمندوبين الساميين، ولم أتمكن من أكمال كل تلك الزيارات لأنه قد تم اعفائي من منصبي بعد أن اسند لي منصب وزير الاشغال والاسكان خلافاً لرغبتي وبعد أقل من أربعة أشهر من المباشرة بعملي.

قبل استيزاري بدأت أبحث عن دار مناسبة اتخذها كسكن للسفير وقد شاهدت عدة دور بعضها للأيجار وبعضها للبيع، وأخيراً عثرت على دار واسعة جداً في افضل المناطق ولها صالات واسعة تصلح لحفلات الاستقبال وتتسع لعدة مئات من الاشخاص كما انها كانت مبنية على مساحة واسعة جداً من الارض أتخذ قسم منها كحدائق والقسم الاكبر عبارة عن غابات تحيط بالدار التي كانت رائعة في الحقيقة، وكانت الدار معروضة للبيع بمبلغ مائة وثمانين الف دولار كندي، أي ماكان يعادل أقل من ستين ألف دينار في ذلك الوقت. لم يكن لدي شخصياً ذلك المبلغ والا كنت قد اشتريها لشخصي، طلبت موافقة وزارة الخارجية التي رفضت الطلب وذلك لمرور العراق آنئذ بفترة تقشف، حررت رسالة شخصية للرئيس احمد حسن البكر وبعثتها مع البريد الدبلوماسي ووضحت له الوضع وأن الاملاك في تصاعد مستمر وأن ذلك السعر زهيد جداً بالنسبة لهذه الدار، فوافق البكر على الطلب وحّول المبلغ لحساب السفارة، ولدى الشروع بمعاملات الشراء فوجئت بأستيزاري، فأوقفت المعاملات وتركت أمر البت في الموضوع للسفير المقبل الذي يحّل محلي، واستأجرت داراً أخرى لمدة سنة بسعر مناسب وكانت تقع في الحيّ الدبلوماسي وانتقلت اليها بعد احتفالات تموز.

التحق بالسفارة (سرود رشيد نجيب) كسكرتير ثالث وكنت قد طلبت من وزير الخارجية قبل التحاقي بعملي نقله الى سفارة كندا. كان سرود شاباً ذكياً ونشطاً وكان والده –رشيد نجيب– رحمه الله من اصدقائي ومتصرفاً (محافظاً) لأربيل في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي. سرود ترك العمل في العراق ويعيش الآن في الولايات المتحدة مع أخويه أميد ونويد، كان سرور نعم مساعدٍ لي وقريب مني أعتمد عليه وأعامله كأخ صغير أو كواحد من أولادي (توفي شقيقه نوميد قبل أيام من طبع هذا الكتاب وقد حّدثت ذويه هاتفياً لتعزيتهم –رحمه الله–).

قبل احتفالات تموز وصل افراد عائلتي قادمين من العراق ورافقتهم (ژوان) كريمة ابن عمي كاكه عبدالقادر، وكانت في العاشرة من عمرها كما وجاء من ڤينا شقيقي عمر وزوجته مع طفلتهم حديثة الولادة، فأزدحمت داري بأفراد العائلة وقضيت معهم وقتاً ممتعاً كنا نخرج للنزهة في العطلات الأسبوعية ونقضي بعض الوقت على شواطيء البحيرات القريبة من اوتاوا المزدحمة بالمتنزهين. وفي أحدى العطلات الاسبوعية سافرنا الى مدينة تورنتو ومنها الى مدينة نياغارا التي تقع فيها شلالات نياغارا ويفصل تلك المدينة عن الولايات المتحدة الامريكية جسر واحد عبرناه في اليوم التالي قاصدين مدينة نيوروك التي تبعد بضع ساعات وقضينا فيها يومين، وكنت قد زرتها قبل ذلك بأسابيع وقد عاوننا السيد علاء الدين الطيار السكرتير الثاني الذي كان موظفاً في اوتاوا ثم جرى نقله الى نيويورك في البعثة العراقية الدائمة في الأمم المتحدة.

وقد قضى افراد عائلتي زهاء ستة اسابيع معي في كندا ثم عادوا جميعاً الى اوروپا فالعراق.

وذات يوم –واعتقد في الخامس عشر من شهر آب– وبينما كنا نقيم حفلة موسيقية عراقية للفنان منير بشير وقد حضر تلك الحفلة عدد كبير من السفراء والمسؤولين وكان منير بشير يعزف الحاناً جميلة على العود وبأسلوب رائع أثار اعجاب الجميع، رنّ جرس الهاتف وعندما رفعت السماعة كان سفير غابون على الطرف الآخر من الخط، ولما كان يتكلم الفرنسية فلم أتمكن من التفاهم سوى أنني فهمت عبارات التهنئة بأستيزاري، وثم ناولت السماعة لشقيقي عمر الذي يجيد الفرنسية، فقال بأنه كان يستمع الى الاخبار باللغة الفرنسية من أحدى المحطات وأنه قد تقرر تعييني وزيراً للأشغال والاسكان في الوزارة التي يرأسها الرئيس أحمد حسن البكر. في اليوم التالي، استلمت برقية تهنئة من وزير الخارجية مرتضى الحديثي فتأكدت من الخبر.

بعثت برسالتين احداها الى البكر والثانية الى الحديثي، بعد التعبير عن الشكر اعتذرت عن قبول المنصب بسبب ظروفي الشخصية كوني لم استقر بعد في منصبي الجديد وأن كثرة هذه التنقلات تضرّ بيَّ. لم استلم أي ردّ من البكر الا انني استلمت جواباً جميلاً من وزير الخارجية الذي اصّر على قبولي

المنصب، وذكر بأن الوزير الحالي نوري صديق شاوه يس مريض وتحت العلاج ولايستطيع الاستمرار في عمله وان الاخوان سامي عبدالرحمن وصالح اليوسفي قد رشحاني لذلك المنصب بناءً على توصية البارزاني وان المصلحة العامة تقتضي قبولي المنصب، ونتيجة ذلك فقد وافقت الا انني ابديت رغبتي في عدم مغادرة عملي لحين انهاء أعمالي الرسمية والخاصة.

رحلة الى القطب الشمالي

كانت من عادة وزارة الخارجية الكندية تنظيم رحلات خاصة لرؤساء البعثات الدبلوماسية في كل موسم والى مختلف انحاء كندا، كانت احدى تلك الرحلات لمنطقة القطب الشمالي والجزر القطبية، كانت لي رغبة شديدة في الاشتراك في تلك الرحلة الغريبة والنادرة بالنسبة لي وهي فرصة سوف لن تتكرر مرة اخرى، فسجلت اسمي ضمن المسافرين، وفي منتصف شهر ايلول بدأنا بالسفر على أحدى الطائرات الخاصة وكان يبلغ عددنا خمس وعشرون دبلوماسياً وممثلين عن وزارة الخارجية بالأضافة الى طاقم الطائرة. دامت الرحلة مدة اسبوع وكنا نطير يومياً عدة ساعات لنحل في أحدى المستعمرات الصغيرة التي لم يتجاوز عدد سكان بعضها مائة شخص. وقبل دخولنا الدائرة القطبية بدقائق نبّهنا الطيار بذلك وعند دخولنا تلك الدائرة شعرنا جميعاً بقوة الجاذبية القطبية التي جذبت الطائرة الى أسفل. كانت تلك المستعمرات أو المجمعات بعيدة عن بعضها على مسافة عدة ساعات جواً وكان الغرض منها التنقيب عن النفط.

وكانت كل مستعمرة أو مجمع تضم فندقاً جيداً ونادياً وعند المساء كان يقام لنا حفل تكريمي يحضرها عدد من سكان ذلك المجمع الذين كانوا من الاسكيمو الا عدد قليل من الخبراء. حقاً كانت اياماً ممتعة وكنت قد زاملت كل من سفير پاكستان وايران ولبنان، وقضينا جميعاً وقتاً جميلاً اطلعنا خلاله على وسائل النقل القديمة والحديثة. وفي احدى تلك المرات زرنا منجماً للذهب وأهدى لنا المسؤولون في القصبة هدايا تذكارية عبارة عن قطعة صغيرة من الذهب الطبيعي مثبتة في دبوس ذهبي لأربطة العنق، ولازلت احتفظ بتلك الهدية التي تذكرني بالأيام الجميلة.

وبعد الأنتهاء من الجزر القطبية زرنا إحدى المدن الواقعة في الجنوب الغربي من المنطقة والتي تتميز بكثرة الحيوانات البرية وخاصةً الجاموس والثور البري وقد دعينا الى طعام الغداء في أحدى الأبنية الرسمية وكانت وجبة الغداء عبارة عن جاموس بري كامل قطعت أوصاله الى قطع متعددة ووضعت على

قطعة حديدية مشبكة كبيرة وتحتها تشتعل نيران أكوام الحطب وكنا نقوم بأنفسنا بقطع ما نحتاجه، وفي طريق عودتنا دخلنا حدود (الآسكا) وثم عدنا الى اوتاوا بعد تلك الرحلة الفريدة التي لايمكن أن يراها المرء الا في الافلام السينمائية أو الاحلام.

لقاء الحديثي في نيويورك

كنا في أواخر شهر ايلول عندما اتصل بيَّ هاتفياً من نيويورك مرتضى الحديثي وزير الخارجية وقال بأنه يرغب في لقائي فقررت السفر في الاسبوع الاخير من شهر ايلول، وكان قد اتصل بيَّ من اوروبا شقيقي الاكبر المرحوم كاك احمد فطلبت منه المجيء الى كندا سريعاً قبل عودتي لكي نعود معاً وبالفعل قد حضر قبل سفري الى نيويورك بيومين وحصلت له على سمة دخول من السفارة الامريكية بالرغم من قطع العلاقات الدبلوماسية بين بلدينا وذهبنا معاً مارّين بشلالات نياغارا حيث قضينا ليلة واحدة ثم أكملنا سفرنا الى نيويورك، وهناك ذهبت الى دار الممثلية العراقية الدائمة حيث كان عبدالكريم الشيخلي –وزير الخارجية السابق– رئيساً للبعثة وهناك التقيت بالحديثي الذي دعاني لتناول الطعام في مبنى الأمم المتحدة وكان قد حضر ليترأس الوفد العراقي الى افتتاح الدورة الجديدة للأمم المتحدة. ورغم انه قد حاول أن يكون مرحاً الا ان علامات الحزن واليأس كانت بادية عليه وانه كان غير راضٍ عن الاوضاع في العراق وقال بأنه لايريد الاستمرار في الوزارة بل يريد النقل الى أحدى السفارات والارجح ان تكون سفارة موسكو، ولما سألته عن حركة ناظم گزار قال بأنها كانت حركة حمقاء ولما استفسرت منه عن مصير عبدالخالق السامرائي ابدى أسفه كثيراً على المصير الذي آل اليه –فكانا صديقين حميمين–، وقال بحزن وأسف أن محمد فاضل قد أعترف في افادته وقال بأن الحركة لو نجحت لكنا نأتي بالسامرائي رئيساً للنظام خلفاً للبكر وذلك لشعبيته في الحزب. وبعد انتهاء اللقاء مع الحديثي ودعته وعدنا الى اوتاوا بعد ان قضينا يومين في نيويورك.

وفي سفرتي الاولى الى نيويورك التقيت بالمرحوم طالب شبيب الذي كان قد استقال حديثاً من العمل في وزارة الخارجية حيث كان قبل ذلك مندوباً دائماً للعراق. وكان طالب شبيب متزوجاً من سيدة أجنبية وقد صدر قرار عراقي بأن منتسبي السلك الدبلوماسي أو وزارة الدفاع لايجوز لهم أن يتزوجوا من أجنبيات، ثم شمل القرار جميع موظفي الدولة فيما بعد. وقد أعجبني في

طالب شبيب حسن تصرفه وعدم تهالكه على الوظيفة، فكان على خلاف مع زوجته الاجنبية لأسباب عائلية وارادا الطلاق وقبل اكمال المعاملات اللازمة صدر ذلك القرار فأوقف شبيب تلك المعاملة لكي لايؤول بأنه قد قام بتطليق زوجته لأجل الاحتفاظ بالمنصب، وقد استقال من الوظيفة وبعد مدة من ذلك أكمل معاملات الطلاق بعكس بعض المتهالكين على المناصب والذين ضحوا بحياتهم الزوجية دون وجود أي مبرر للأحتفاظ بمناصبهم، وقد أعجبتني كثيراً شهامة طالب شبيب في ذلك العمل.

كان طالب شبيب من الدبلوماسيين الاكفاء وقد أمضى مدة مناسبة في الأمم المتحدة فكان له كثير من الاصدقاء والمعارف وقد عرّفني على عدد منهم ودعاني الى تناول العشاء داعياً بعض اولئك الاصدقاء الذين كانوا على صلة قريبة منه ومن اصدقائه المقربين، فكانت له علاقات كثيرة ووثيقة مع الاوساط المختلفة في مقر هيئة الأمم المتحدة ومع مختلف البعثات الدبلوماسية في نيويورك.

وبعد أن أكملت في اوتاوا بعض الزيارات المهمة كزيارة عميد السلك الدبلوماسي والسفراء العرب وبعض الاصدقاء، زرت الحاكم العام وكذلك وزير الخارجية.

وقبل موعد سفري بيومين أو ثلاثة قمت بأداء زيارة وداعية لرئيس الوزراء السيد (بيير ترودو) وكان ذلك في الاول أو الثاني من شهر اكتوبر سنة ١٩٧٣ وكان الجو متوتراً جداً في الشرق الاوسط وكانت الشائعات تدور حول قيام حرب جديدة بين العرب والاسرائيليين وتتناقل الانباء خبر تحشدات الجيش المصري، الا ان كثرة التهديدات المصرية خلال السنوات الثلاث السابقة وعدم القيام بأي عمل لتحرير الاراضي العربية جعل الجميع يعتقد بأن ذلك التحشد لايتجاوز كونه واحداً من تلك التهديدات، وقد سألني السيد ترودو فيما اذا كانت الحرب ستقوم بين العرب واسرائيل فأجبته بأنه لابد من ذلك في المستقبل فيما اذا لم تنفذ اسرائيل قرارات الأمم المتحدة ولم تنسحب من الاراضي العربية ولكني نفيت أن يكون ذلك في القريب العاجل، وفي الحقيقة لم أكن أدر بوقت الهجوم حتى أن حكومتي لم تكن تعلم ذلك.

حددت موعد سفري في اليوم الرابع من شهر تشرين الاول سنة ١٩٧٣ قاصداً لندن، لذا فقد ودعت رئيس الوزراء نهائياً، وكنت قبل ذلك اقمت حفلة

استقبال كبرى حضرها جميع رؤساء البعثات الدبلوماسية ومعاونيهم والملحقون العسكريون والشخصيات السياسية والنواب لأجل التوديع، وفي مساء اليوم المذكور غادرت كندا الى لندن ومعي شقيقي كاك احمد وودعني في المطار مندوب عن وزارة الخارجية ومنتسبي السفارة وكانت تلك هي المرة الأخيرة لي في كندا كسفير للجمهورية العراقية.

ولابد من أن أذكر حادثة طريفة وقعت اثناء وجودي في كندا كسفير للعراق، فقد صادف وأن عقد مؤتمر لدول الكومنويلث في اوتاوا في صيف تلك السنة وقد حضرت الملكة اليزابيث الثانية ملكة المملكة المتحدة لأفتتاح المؤتمر بأعتبارها رئيسة لتلك الرابطة، وقد حضرت حفلة الاستقبال التي اقامتها الحكومة الكندية على شرف الضيوف وكانت الملكة ومعظم رؤساء دول الكومنويلث أو رؤساء وفودها حاضرين الحفلة، وكنا نحن رؤساء البعثات الدبلوماسية حاضرين تلك الحفلة وهناك سمعت ان منهاج الاجتماع يقتضي القاء كل رئيس وفد كلمة مختصرة ثم يجري مناقشة بقية مواد المنهاج. كانت اوغندا عضوة في الكومنويلث وكان يحكمها الفيلدمارشال (عيدي أمين) آنذاك الذي لم يحضر شخصياً نفسه لأنه قد طلب ارسال الطائرة الملكية الخاصة بالملكة اليزابيث وبعكس ذلك سوف يمتنع عن الحضور، وبالطبع فأن الطائرة الملكية لم تبعث لنقله لذا فقد ارسل وزير خارجيته نيابةً عنه وأرسل معه كلمة مطولة جداً لتلقى في الاجتماع نيابةً عنه، وقد اعترضت الهيئة المشرفة على عقد المؤتمر على تلك الكلمة المطولة وطلبت من وزير خارجية اوغندا ايجاز الكلمة واختصارها لكي تتناسب مع الوقت المحدد.

اتصل وزير الخارجية الاوغندية هاتفياً بالرئيس عيدي أمين وأخبره عن رأي الهيئة وفيما اذا كان يوافق على اختصار الكلمة، ولاشك بأن الاجهزة الكندية ومخابراتها كانت تستمع الى الحديث الدائر بينهما، فكان جواب عيدي أمين بهذا المعنى: سأقطع لسانك فيما اذا قطعت كلمة واحدة من الخطاب!!. ووافقت الهيئة على الفور على القاء الكلمة عندما لاحظت ذلك الموقف الصعب الذي وقع فيه وزير الخارجية وقيل له بأنهم لايريدون ان يقطع لسانه.

ويظهر بأن قطع اللسان كان جارياً في أوغندا قبل العراق أو انهم قد تعلموا تلك العملية اصلاً من حكام العراق!!.

حرب أكتوبر ١٩٧٣

قضينا تلك الليلة في الطائرة ومع فارق الوقت وصلنا لندن صباح اليوم التالي، وتوجهنا من مطار هيثرو الى أحد الفنادق التي قام بحجزها لي صديقي وممثل الثورة الكُردية في لندن هاوار محمد زياد وكنت قد قررت قضاء عدة أيام هناك للأستراحة والاجتماع ببعض الاصدقاء من أمثال بابا علي الشيخ محمود الحفيد وغيره، وكذلك التقى شقيقي كاك أحمد ببعض الاقارب والاصدقاء فأنتقل الى الفندق الذي يقيمون فيه والتحق بهم، وبعد الاستراحة في ذلك اليوم اتصلت بالسفارة العراقية في لندن صباح اليوم السادس من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ الذي كان يصادف شهر رمضان المبارك فعلمت بأن الحرب قد اشتعلت نيرانها بين العرب واسرائيل في الصباح الباكر من ذلك اليوم وقد دخلت الحرب كل من مصر وسوريا من جهة واسرائيل من الجهة الأخرى وأن القوات المصرية قد تمكنت من اختراق الخط الدفاعي لأسرائيل والمسمى بـ(خط بارليف) على الساحل الشرقي من قناة السويس والذي كان يعتبر من أمنع الخطوط الدفاعية وأحكمها عسكرياً.

وتمكنت تلك القوات من عبور قناة السويس، وكان ذلك اليوم يصادف أحد الاعياد الدينية لليهود. وعلمت بأن الحكومة العراقية قد أعلنت دخول العراق الحرب وأن وحدات من الجيش العراقي في طريقها الى جبهات القتال للأشتراك في المعارك، وعلمت كذلك بأن الاجواء العراقية قد أغلقت بوجه جميع أنواع الطائرات. حاولت العودة الى العراق فلم يكن ذلك بالأمكان لذا أنتظرت يومين أو ثلاثة وثم سافرت الى المانيا حيث التقيت بشقيقي أنور الذي كان يقيم هناك ويمارس مهنته كطبيب، وتخلف شقيقي كاك احمد في لندن عند اصدقائه.

عند سفري لاحظت حركة غير عادية في المطارات المختلفة فكان المتطوعون اليهود من انحاء العالم يتوجهون الى اسرائيل للأشتراك في الحرب. وبعد قضاء عدة ايام في المانيا آثرت السفر الى الكويت ومنها الى بغداد براً، فغادرت المانيا في حوالي منتصف شهر تشرين الاول أي بعد حوالي عشرة

أيام على نشوب الحرب بطريق الجو قاصداً الكويت ووصلتها في ساعة متأخرة من مساء اليوم نفسه، وبعد قضاء تلك الليلة في الكويت توجهت الى العراق براً بواسطة سيارة السفير الذي كان أحد افراد أسرة الحديثي وهو محمد صبري الحديثي على ما أعتقد، وعند دخول الحدود العراقية كانت سيارة محافظ البصرة تنتظرني لنقلي الى بغداد التي وصلتها في ساعة متأخرة من الليل.

توجهت الى دار شقيقي سعدي التي كانت تقع في عرصات الهندية قرب المسبح، ولما طرقت الباب نهض سعدي ومعه آخرون يحملون المسدسات وشخصت من بينهم صديقنا القديم اسماعيل كوخا أحمد الذي كنا ندعوه (كاكه سمه)، وهرعوا يفتحون الباب وهم يضحكون وعرفت فيما بعد سبب ارتباكهم واسباب حيازتهم للأسلحة وذلك لأن ما كان يسمى بـ(أبي الطبر) يداهم البيوت ليلاً ويقوم بقتل ساكنيها بطريقة بشعة بقطع اوصال الضحايا بالفؤوس والسكاكين، وتبين فيما بعد بأنه كان من منتسبي الأمن وأن تلك الحالة بدأت بعد حركة ناظم كزار الفاشلة ومحاولته القيام بأنقلاب، وكان كزار مديراً للأمن العام وأشتهر بجرائمه والاساليب الوحشية التي استعملها في التعذيب. وكان كزار ايضاً هو العنصر الرئيسي المنفذ وراء المؤامرة التي حيكت ضد حياة البارزاني في ايلول من سنة ١٩٧١.

وبعد قضاء تلك الليلة ذهبت الى القصر الجمهوري اذ قابلت الرئيس أحمد حسن البكر الذي كان يتهيأ للخروج وكان على استعجال، وتبين بأن الهدنة قد أعلنت بين الاطراف المتحاربة، وبعد اداء اليمين القانونية بحضور رئيس ديوان رئاسة الجمهورية، نقل لي البكر نبأ الهدنة وظهرت علامات الغضب وعدم الرضا في وجهه وقال:«انهم لم يقوموا بأستشارتنا عند اعلان الحرب ولا في اعلان الهدنة بل سمعناها كالآخرين من الاذاعة»، وثم استصحبني معه الى جلسة طارئة لمجلس الوزراء عقدت في بناية المجلس الوطني، فرافقت موكبه واشتركت في تلك الجلسة التي ترأسها هو، وحضرت بصفتي وزيراً جديداً للأشغال والاسكان. وبيّن في الاجتماع عدم رضا حكومته على الهدنة وانه كان من الضروري الاستمرار في الحرب، متناسياً وضع الجيش المصري واحتلال الاراضي السورية والمساعدات الكبيرة والمتواصلة من الولايات المتحدة الامريكية. ورغم تحرير بعض الاراضي العربية والضربات التي انزلتها القوات

العربية باسرائيل في بداية المعارك الا ان الجيوش العربية ايضاً عانت من ويلات الحرب وتكبدت الدول المتحاربة خسائر فادحة، فكان من الضروري لكل من مصر وسوريا اعلان الهدنة في ذلك الوقت.

بعد انتهاء الجلسة التحقت بالوزارة واطلعت على اقسامها وتعرفت على بعض كبار الموظفين وباشرت بأعمالي الاعتيادية. وقابلت نائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين، ثم استقبلت بعض المهنئين من زملائي الوزراء – وخاصةً الكُرد– وغيرهم سافرت الى أربيل وثم گلالة لمقابلة البارزاني الذي رحب بعودتي وبعد قضاء يومين عنده وزيارة زملائي في المكتب السياسي عدت الى أربيل ثم الى بغداد.

في الوزارة في بغداد

استمرت الاعمال الروتينية كالمعتاد وكانت مهام وزارة الاشغال كثيرة ومتشعبة فبالأضافة الى أعمال الوزارة الاعتيادية من شق الطرق وبناء الجسور والمساكن فقد كانت مسؤولة عن تنفيذ أعمال الوزارات الاخرى ومشاريعها وحتى بعض أعمال وزارة الدفاع والقصر الجمهوري، لذا كانت من أكثر الوزارات عملاً وواجباتاً.

كنا نجتمع نحن الوزراء الكُرد الذين انتدبوا من داخل الثورة الكُردية مرة أو أكثر في الاسبوع في مقر جريدة «التآخي» ويشترك معنا حبيب محمد كريم سكرتير الحزب وكذلك الاعضاء القياديون المتواجدون في بغداد، وكنا نتداول في تلك الاجتماعات الامور المستجدة على الساحة العراقية أو خارجها.

كان هنالك مجلس يسمى بـ(المجلس الأعلى للتخطيط) يرأسه نائب الرئيس صدام حسين ويشترك فيه كل من وزراء التخطيط والاشغال والاسكان والتعليم العالي والتربية والري والصناعة، ويعقد هذا المجلس جلساته اسبوعياً في بناية المجلس الوطني وبحضور صدام حسين وكانت المشاريع تناقش في تلك الجلسات ويحضر مع كل وزير عضو فني مختص بأمور وزارته(١٩).

وفي الحقيقة كان ذلك المجلس يعتبر من أهم المؤسسات ويشرف على جميع المشاريع المهمة للوزارات الاخرى وتنفذ عن طريقه وهو الذي يخطط للأقتراحات المقدمة للقيام بالمشاريع. ومن الأمور الغريبة التي صادفتها خلال عقد تلك الجلسات أن صدام حسين كان يحضر بعد حضور الاعضاء بمدة كان يقوم خلالها بعض العاملين في بناية المجلس الوطني بتفتيش القاعة والمقاعد وخاصةً مقعد الرئيس وفحص كافة الاقلام والادوات الموجودة وحتى جهاز التلفون الذي بجانبه، وكان الناظر يرى من خلال شباكين معتمين داخل القاعة وجود عدد من المسلحين خلف زجاجات تلك الشبابيك وهم يراقبون قاعة الاجتماع. وبعد ذلك بلغ التفتيش أوجه عندما وضعوا الآلات الالكترونية في مداخل المجلس الوطني لكي تعطي الاشارات اللازمة فيما اذا دخل المبنى أي شخص مسلح أو حامل للمواد المتفجرة. وعلمت الآن بأن التفتيش يجري حتى بتعرية الداخلين وفحص اياديهم وتعقيمها وغير ذلك من الاحتياطات!!.

الارتفاع الهائل في أسعار النفط

مما لاشك فيه أن القسم الأعظم من مستهلكي النفط في العالم يتعامل مع دول الشرق الاوسط المنتجة للنفط وأن أكبر مخزون للنفط في العالم هو ايضاً في الشرق الاوسط، فمن البديهي أن يتأثر السوق العالمية بكل تغيير أو حدث مهم في تلك المنطقة. وقد حاولت جميع هذه الدول وبمختلف الاساليب زيادة مدخولاتها من انتاج النفط بعد ان طرأت تطورات كبيرة وضرورية على مجمل الاوضاع الاقتصادية وعلى أسلوب حياة شعوب تلك المنطقة. وبدأت هذه المحاولات من ايران الشاه والمملكة العربية السعودية فالعراق.

ولاشك بأن تأميم النفط في العراق كان جزءاً مهماً من اسباب تأثر السوق العالمية، الا ان التأثير الرئيسي ظهرت آثاره بعد حرب تشرين ضد اسرائيل وبعد أن استعمل النفط لأول مرة كسلاح في المعركة لذا شاهدنا ارتفاعاً هائلاً في أسعار النفط في نهاية سنة ١٩٧٣ أو بداية سنة ١٩٧٤، وبلغت موارد العراق من انتاج النفط في عام ١٩٧٤ مليارات الدولارات في حين كانت تلك الواردات لاتتجاوز بضعة مئات من الملايين من الدولارات. ولاشك أن ذلك الارتفاع المفاجيء من المدخولات والفرق الكبير بينها وبين الميزانية العامة اقتضت اعادة النظر في الخطط والمشاريع وسبل الاستهلاك لكي تتناسب مع مقدار تلك المدخولات.

كانت الاجراءات الاولية هي الغاء التقشف الذي فرض بعد تأميم النفط واعادة المبالغ المستقطعة من رواتب الموظفين وفوق كل ذلك زيادة الرواتب وتخفيض اسعار الوقود. وقد ظهرت النتائج الفعلية لزيادة الرواتب فوراً بعد اعلانها اذ سببت ارتفاعاً كبيراً في أسعار المواد الأستهلاكية الضرورية بنسبة تزيد عن نسبة زيادة الرواتب.

بداية العد التنازلي في العلاقات مع صدام حسين

كانت علاقاتي مع صدام حسين منذ البداية تتميز بطابع الود والاحترامات المتبادلة. التقيته شخصياً في ٣١ تموز ١٩٦٨ مع البكر ثم التقيت به مرة أو مرتين خلال تلك السنة ومع البكر ايضاً دون أن يجري أي حوار مباشر بيننا، وثم التقيت به منذ بداية سنة ١٩٧٠ عندما زار وفدنا في المفاوضات -وكنت عضواً فيه- بغداد في كانون الثاني فكان اللقاء يغلبه طابع وجود معرفة سابقة بيننا.

بعد اتفاق الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧٠ كنا نلتقي دوماً سواء في المناسبات أو عند زياراتي الشخصية له في مكتبه، وكانت تلك العلاقات حسنة جداً والحق يقال، وكان يقضي كثيراً من طلباتي حول مراجعات المواطنين ويكّن لي مودة خاصة. وكنت أقوم بزيارته كل مرة عند وصولي بغداد عائداً من مقر عملي كسفير للعراق أو عند سفري من بغداد، سواء كانت القواعد الرسمية الاصولية تقتضي ذلك أم لا، وكان -والحق يقال- دائم الترحيب بيَّ كلما اطلب زيارته.

في نهاية ١٩٧٣ وبداية ١٩٧٤ بدأت مفاوضات الحكم الذاتي لأيجاد الصيغة التي يمكن الاتفاق عليها لتنفيذ اتفاق آذار. كان الجانب الكُردي يمثله حبيب محمد كريم وسامي عبدالرحمن وصالح اليوسفي وانا، ودارا توفيق أحياناً، وبعد عودته من العلاج كان نوري صديق شاوه يس يحضر جانباً من تلك الاجتماعات. اما الجانب العراقي فكان يرأسه صدام حسين وغانم عبدالجليل وعدنان الحمداني ومعهم بعض اعضاء قيادة الحزب الشيوعي العراقي مثل كريم أحمد ومكرم الطالباني وغيرهما اذ انهم كانوا مشاركين في جبهة وطنية مع البعثيين فكانوا يدخلون كطرف واحد وكانت مواقفهم منسجمة وان البعثيين كانوا يتعمدون في وضع الحزب الشيوعي في المواجهة لكي يواجه هو الحزب الديمقراطي الكُردستاني. كانت العلاقات متميزة بين الحزب الشيوعي العراقي والديمقراطي الكُردستاني منذ تأسيس هذا الاخير وكان يغلبها طابع ودي جداً يجعلهما يشتركان في احيان كثيرة في جبهة واحدة،

وبعد انقلاب شباط سنة ١٩٦٣ وما حّل بالشيوعيين التجأ الألوف من أعضاء هذا الحزب الى الثورة الكُردية في كُردستان مع عدد كبير من قياداييهم الذين نجوا من مذابح البعث، وقد شارك هؤلاء بكل جدّ وأخلاص في الثورة الكُردية خاصةً بعد سنة ١٩٦٤، الا انه مما يؤسف له حدثت بعض الخلافات بين الثورة الكُردية وهذا الحزب في أواخر سنة ١٩٧٣ أدت ببعضهم الى رفع السلاح ضد الثورة. ولا ابريء تصرفات بعض الاشخاص داخل الثورة، ولكن سرعان ما عادت الأمور الى نصابها بعد أن تنكر لهم البعث وظهرت حقيقته التي كانت واضحة للعيان، وقد جرّب الشيوعيون للمرة الثانية هذا الحزب بالرغم من تجاربهم المريرة معهم، وقد اعترفوا بأخطائهم مؤخراً.

وكان جو من البرودة وعدم الثقة يسود تلك المفاوضات منذ بدايتها وعند بداية المفاوضات وفي جلستها الاولى القى السيد حبيب محمد كريم سكرتير الحزب الديمقراطي الكُردستاني ورئيس الوفد الكُردي القى كلمةً اشار الى تواضع المطاليب الكُردية في الحكم الذاتي في ذلك الوقت لأن أمماً كثيرة أقل نفوساً من الكُرد بأضعاف المرات ترفع رايتها في الأمم المتحدة ولها كيان ودولة، فأغاضت تلك الكلمة صدام حسين كثيراً ورد عليها بشدة لمقارنة القضية الكُردية بقضايا استقلال الأمم ورفع راياتها. وكانت الجلسات تعقد مرة في الاسبوع دون التوصل الى صيغة مناسبة فكان هنالك بون شاسع بين تفكيري الطرفين فالجانب الكُردي كان يريد ضمان -ولو شيء يسير- من الحقوق القومية للشعب الكُردي وتنفيذ اتفاق آذار وأن تكون صيغة الحكم الذاتي شيئاً مقبولاً ومعقولاً، أما الجانب الحكومي فكان يريد تفريغ الاتفاق والحكم الذاتي من معانيه وصياغة ماكان يتصوره هو في معنى ذلك وجعل مؤسساته شيئاً شكلياً يأتمر بأوامره كما رأينا ذلك بعد سنة ١٩٧٥.

ولم يكن الوضع الذي يجري فيه المفاوضات سبباً من الأسباب التي ادت الى سوء علاقتي بصدام حسين اذ ان المفاوضات استمرت في ذلك الجو وفي الاسابيع الاخيرة لم أكن أحضر جلساتها لأنشغالي وكذلك لسفري الى خارج العراق في ١٩٧٤/٢/٢٨، وسأوضح فيما يلي الاسباب التي اتخذها السيد صدام حسين كذريعة لأساءة العلاقات.

ذكرت سابقاً في الاسطر السابقة شيئاً عن الموارد الجديدة والفرق الهائل

الحاصل في مدخولات العراق من مبيعات نفطه، ومن جملة الخطط الجديدة لوضع الميزانية والمشاريع المقترحة بدأ عقد بعض الندوات والاستماع الى آراء مختلف الناس من فنيين وسياسيين، ومن جملة تلك الاجتماعات، هو ماجرى عقده في مبنى المجلس الوطني حضرها زهاء مائتين شخصاً أو أكثر من الوزراء وممثلي بعض الاحزاب والفنيين وبعض المدراء العامين والكوادر المتقدمة في حزب البعث وترأس ذلك الاجتماع صدام حسين وهنالك ذكر أحد الحاضرين بأن وارد العراق يبلغ ثلاثة مليارات من الدنانير أي عشرة مليارات دولار، وهنا بادر صدام حسين بالتصحيح ضاحكاً بأن الواردات تبلغ أربعة مليارات من الدنانير وليست ثلاثة، ونوقشت المقترحات المختلفة والقائمة الجديدة بأسعار الوقود وغيرها من الخطط والمشاريع، وكان الحديث عاماً لايسوده أي طابع من السّرية أو الخصوصية في مثل ذلك الاجتماع الذي حضره أكثر من مائتين شخص، وفي صباح اليوم التالي خرجت جريدة (التآخي) بمقال عن تلك الزيادة في الواردات شأنها شأن بقية الصحف المحلية وفيها مقترحات حسب وجهة نظرها عن المشاريع العمرانية وتعمير منطقة كُردستان وكذلك تنظيم وسائل الدفاع وتطويرها وتسليح الجيش وغيرها، وذلك كرأي مطابق لرأي النظام ولرأي حزب البعث تقريباً.

وصادف ذلك اليوم أن يكون موعد اجتماع المجلس الاعلى للتخطيط وحضرته كالمعتاد، وبعد أن حضر صدام حسين لترؤس الجلسة بدأ الحديث قائلاً: أنه يأسف لتسريب أخبار الاجتماعات الى خارجها ومن المفروض ان يحافظ الجميع على السرية. وعند ذلك طلب من أحد مساعديه تلاوة ما وردت في مقال جريدة (التآخي) عندئذٍ أيقنت بأنني كنت أنا المقصود في كلامه وكذلك أيقن جميع الحاضرين ذلك حيث بدأوا ينظرون لي نظرات سريعة، ولما أنتهى الشخص من قراءة المقال طلبت الكلام فعند ذلك قال صدام حسين ما نصه:«استاذ محسن لاتدافع وماكو حاجة للنقاش لأن المقال واضح!!»، فسكتت لحين انتهاء الجلسة.

وفي اليوم التالي، بعثت له رسالة شخصية وذكرت سوء ظنه اذ ان ذلك الحديث وكل ماورد في المقال جرى بحثه في الاجتماع العام السابق وقلت بأنني فيما اذا كنت موضع شك وعدم ثقة في عملي الرسمي فلا مانع عندي

من تقديم الاستقالة من منصبي، وبعثت الرسالة المذكورة والخاصة بيد مدير مكتبي الخاص الى مكتب صدام حسين.

ولم استلم أي جواب على ذلك الا انه بعد انتهاء الجلسة في أجتماع مجلس التخطيط في الاسبوع الذي تلا ذلك واثناء مغادرتنا قاعة الاجتماع قال لي صدام حسين:«استاذ محسن استلمت رسالتك وأنك متوهم!»، ولم أفهم ماكان يقصده ولما اردت لقائه قال بأنه سيخبرني فيما بعد، ولم أسمع منه لحدّ الآن. بعد ذلك حضرت بعض جلسات مجلس التخطيط وفي أواخر شهر شباط عندما لاحظت بأن الاجواء متأزمة سافرت الى كُردستان ورويت ما جرى للبارزاني وقلت بأنني بصدد الحصول على اجازة والسفر الى خارج العراق، فوافق وعند عودتي الى بغداد قابلت البكر وحصلت منه على اجازة بحجة مرض أخي أنور وحددت يوم سفري الذي كان في ٢٨ شباط.

وقبل السفر بيوم واحد ذهبت الى مكتب المرحوم غانم عبدالجليل الذي كان أحد مساعدي صدام حسين ورئيساً لما يسمى بـ(مكتب شؤون الشمال) وأوضحت له بأني سوف أسافر بأجازة الى خارج العراق، وسألته فيما اذا كان السيد صدام حسين يتوفر لديه الوقت لأقوم بزيارته، فغادر وعندما عاد ذكر بأن السيد النائب في اجتماع خاص. ثم ذكر بوجوب عودتي سريعاً من اجازتي لتوقع حدوث تغييرات هامة فوعدته بذلك وغادرت.

كنت في تلك المرة على عجل من السفر اذ كنت أرغب في مغادرة ذلك الجو المتوتر والذي كان على وشك الانفجار وفي صباح اليوم التالي توجهت نحو المطار ولم يكن في وداعي غير شقيقي كاك أحمد الذي قبلني مودعاً والدموع تترقرق في أعيننا كلينا وكان ذلك آخر لقاء لنا في هذه الدنيا، اذ أنني لم أعد الى بغداد بعد ذلك فأندلع القتال، وبعد سنة واحدة كانت نكسة ثورة ايلول بعد اتفاقية الجزائر بين شاه ايران وصدام حسين، واضطررنا الى اللجوء لأيران وبعد ذلك بسنة واحدة سمعت خبر وفاته ومفارقته لنا وللدنيا -رحمه الله-.

كنت قبل سفري بيوم واحد بعثت ابن عمي كاكه ومرافقي عمر قادر من بغداد الى أربيل واوصيتهم بنقل افراد عائلتي من أربيل الى منطقة الثورة الكُردية بعد مغادرتي بغداد. الا ان كاكه نفسه قد غادر أربيل ومعه المرحومة

والدته وافراد عائلته ايضاً، ففي الثالث أو الرابع من شهر مارت غادروا أربيل جميعاً الى منطقة قضاء چومان في منطقة قيادة الحزب والثورة الكُردية تاركين جميع ما نملك من أثاث وموجودات في دارينا بعد اقفالهما تحت رحمة رجال النظام والمرتزقة.

غادرت بغداد متوجهاً الى المانيا الاتحادية وتنفست الصعداء وبعد قضاء بضعة أيام سافرت الى بريطانيا وقضيت فيها زهاء عشرة أيام حيث التقيت بأصدقائي باباعلي الشيخ محمود الحفيد وابن خالتي زيد احمد عثمان الذي جاء من پاريس وكذلك هاوار كاكه زياد ودارا عطار وجمال علمدار وغيرهم، وصادف في ذلك الوقت وجود الفنان الكُردي الشهير طاهر توفيق والتقيت به وقضينا معاً بعض الوقت.

في الحادي عشر من آذار علمت بأن نظام البعث قد أصدر قانوناً للحكم الذاتي من طرف واحد دون الرجوع الى رأي الكُرد ودون أن يلبي القانون المذكور الحّد الادنى من الحقوق القومية للشعب الكُردي وعلمت بأن الوزراء الاكراد والمحافظون الكُرد قد قدّموا استقالاتهم من مناصبهم، فبعثت برقية بهذا المعنى الى الرئيس احمد حسن البكر مقدماً استقالتي ايضاً من منصبي كوزير للأشغال والاسكان، وأخذت بالتهيؤ للعودة الى كُردستان، وفي التاسع عشر من آذار سنة ١٩٧٤ غادرت لندن عائداً الى وطني ولكن عن طريق طهران وليس بغداد.

العودة الى كُردستان

بعد طيران طويل على الخطوط الجوية البريطانية وبعد النزول في عمان عاصمة الاردن واصلنا رحلتنا قاصدين طهران، فوصلناها في ساعة متأخرة من الليل وكان في انتظاري أحد الموظفين، وعلمت فيما بعد أنه من منتسبي الساڤاك (جهاز المخابرات الايرانية في عهد الشاه)، ونقلني الى دار خاصة وأثناء الطريق ذكر بأن البارزاني يقيم في تلك الدار وهو موجود فيها حالياً وسيسافر في فجر اليوم التالي. وعندما وصلت تلك الدار كان البارزاني قد دخل غرفته الخاصة وأوى الى فراشه، ولم يكن أمامي سوى ساعتين أو ثلاث على موعد السفر، ولم تكد عيناي تغفيان حتى أيقظني المرحوم حاجك محمد رئيس حرسه وقال بأن موعد السفر قد حان ولما كنت متعباً جداً خرجت من الغرفة وانا بملابس النوم وسلّمت على البارزاني فقال بأنهم مسافرون وسألني فيما اذا كنت أسافر معهم أو أبقى في طهران بقصد الراحة، فأوضحت له بأنني مرهق ولا اتمكن من الاستمرار في السفر الذي يستغرق أكثر من ستة عشر ساعة بطريق البر، وقلت بأنني سوف الحق بهم في اليوم التالي، وبعد سفرهم واصلت النوم، وعند الظهر وبعد ان تناولت طعام الغداء جرى نقلي الى أحد الفنادق في طهران، وبعد أن مكثت ليلة أخرى طلبت تهيئة واسطة نقل لي لكي اتابع سفري فغادرت طهران يوم ١٩٧٤/٣/٢١ أي يوم الاحتفال بعيد نوروز الذي يعتبر عيداً قومياً للكورد ورأس السنة الفارسية والكُردية، كان معي في السيارة الصحفي البريطاني (گوبن روبرتس) الذي التقيت به للمرة الاولى وكانت تلك هي زيارته الاولى لكُردستان العراق. وقد زودته بالمعلومات المطلوبة حسب الامكان وكنت أجيب على اسئلته بالرغم من تعبي، وقد وصلنا مدينة تبريز مساءً وقضينا ليلتنا هناك في أحد الفنادق الممتازة ثم واصلنا سفرنا في صباح اليوم التالي حيث وصلنا الحدود مساءً، وهناك رافق أحد رجال الاعلام الصحفي المذكور الى محل اقامته، اما انا فلم أكن أعلم شيئاً عن مصير عائلتي وقد استقبلني أحمد حاجي أحد المسؤولين في نقطة الحدود، وفي ناوپردان صادفت المرحوم علي حسين شه وباش الذي رافقني

وأوصلني الى مكان اقامتهم، كانت هنالك ثلاثة أو أربعة دور شيدت في فترة المفاوضات بعد اتفاق الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧٠ من قبل مؤسسة گلبنكيان، الرجل الارمني الذي كان يملك امتياز النفط في كركوك وقد احتفظ بحصة قدرها ٥٪ من حصص شركة نفط العراق I.P.C التي كانت قد حصلت على امتياز النفط في حقول كُردستان وكان هذا الشخص يدعى بـ(MR.%5) مستر خمسة بالمائة، وقد أسس گلبنكيان هذه المؤسسة لتقوم بصرف جزء من الايرادات من انتاج النفط على بعض المشاريع الخيرية وتخصيص بعض الزمالات سنوياً للطلبة وبناء بعض المشاريع، كانت تلك الدور من ضمن انجازات تلك المؤسسة.

كانت تلك الدور جيدة ومصممة خصيصاً لأقامة البارزاني الا ان ذلك التصميم لم يكن يصلح لذلك المناخ كما ان مواقعها كانت غير مناسبة في زمن الحروب، وكان افراد عائلتي وعائلة كاكه يشتركون في الاقامة في أحدى تلك الدور، قضيت تلك الليلة هناك. وفي صباح اليوم التالي ذهبت الى مقر البارزاني الذي قابلته وكذلك التقيت مع الأخوان ادريس ومسعود. وقد ذكر البارزاني بأنه قد حاول كثيراً مع الجانب الحكومي لكي لاتقطع العلاقات لكن دون جدوى وانهم اعلنوا عن اصدار ماسموه بقانون الحكم الذاتي دون الرجوع الى رأينا. وقال بأنه سيبذل كل الجهود لكي لايتجدد القتال وأنه سوف يرسل نجله ادريس الى بغداد للمرة الاخيرة لمحاولة تهدئة الوضع وأن امكن تأجيل الموضوع كله وتعليقه لمدة سنة أخرى لعله نتوصل الى حل معقول خلال هذه المدة. وبالفعل فقد سافر ادريس الى بغداد للمرة الاخيرة في اواخر شهر آذار ولكن دون التوصل الى أية نتيجة اذ أن النظام كان قد أتخذ قراره النهائي وانها قد أكملت استعدادها لأستئناف القتال.

وفي الاسبوع الاول من نيسان أعلن النظام عن أسماء الوزراء الكُرد الجدد من الخونة والمرتزقة والموالين ليحلّوا محل الوزراء المستقيلين.

بعد بضعة ايام وجدت بأن الدار التي ذكرتها لاتصلح لأقامتنا وخاصةً اذا ما بدأ النظام بشّن الغارات الجوية، وكان هنالك دور سياحية صغيرة قرب حاج عمران أي قرب الحدود العراقية-الايرانية وكانت عبارة عن غرفتي نوم وصالون فتمكنت من العثور على دارين متجاورتين فأنتقلت اليها واشغلناها

بالرغم من انها كانت رطبة بسبب برودة الجو في تلك المنطقة.

شاهدت خلال الايم الاولى من عودتي جميع اصدقائي القدامى وقد التحقوا بالثورة وعندما رأيت بعضهم استغربت وقد تبين بأن القسم الاعظم من الموظفين والمثقفين من المحامين والاطباء والمهندسين والمدرسين وجميع اعضاء ومؤيدي الحزب الديمقراطي الكُردستاني قد التحق بالثورة، وكذلك القسم الاكبر من طلبة جامعة السليمانية واساتذتها والتي كانت الجامعة الوحيدة في كُردستان.

وقد علق أحد الصحفيين الذين كانوا يترددون على كُردستان منذ السنوات الاولى للثورة الكُردية وقال بأنه كان يرى في زياراته السابقة الفلاحين فقط يحيطون بقيادة الثورة، ولكن هذه المرة تختلف عن سابقاتها فأينما تذهب تلقى المثقفين وحملة الشهادات العالية.

بعد التأكد من عدم الجدوى من المحاولات التي اجرتها قيادة الثورة الكُردية مع الحكومة المركزية للتوصل الى حلّ سلمي للقضية الكُردية وبعد أن أيقنت القيادة بأن النظام مصمم على استئناف القتال بدأت الاستعدادات تجري لذلك وأخذت الندوات تعقد لتوضيح الموقف للملتحقين الجدد، وكان البارزاني بنفسه في بعض المرات يرأس تلك الاجتماعات ويشرح الموقف للحاضرين. وبعد ذلك تم تشكيل السلطة التنفيذية في الثورة الكُردية على شكل امانات عامة ومجلس للأمناء العامين يرأسها أحد أعضاء القيادة الكُردية، وتم توزيع المقاعد فأنيطت بي الامانة العامة للشؤون الداخلية وكان المهندس سامي عبدالرحمن يدير امانة التعليم في البداية ثم تولى رئاسة مجلس الامانات وتولى الشهيد دارا توفيق الامانة العامة للتعليم، اما المهندس نوري صديق شاوه يس فقد كان يتولى الامانة العامة للأشغال والاسكان والمهندس علي عبدالله الامانة العامة للمالية والشهيد صالح اليوسفي الامانة العامة للعدل والاوقاف. اما الدكتور محمود عثمان فقد تولى بصورة مؤقتة منصب الامين العام للصحة وثم تولى هذا المنصب أحد الاطباء وكذلك شمس الدين المفتي للزراعة وقد نقل من ممثلية طهران وحلّ محله الدكتور شفيق قزاز.

الوفد الكُردي الى الأمم المتحدة

في العشرين من شهر نيسان سنة ١٩٧٤ كان البارزاني في طهران للمداولة مع السلطات الايرانية حول شؤون الثورة بعد أن بدأ النظام بأستئناف القتال وشنّ الهجمات، على مقراتنا والمدن والقصبات التي تقع في مناطق الثورة، ابلغنا الاخوان ادريس ومسعود البارزاني بأن نتهيأ أنا وسامي عبدالرحمن للسفر الى الأمم المتحدة والدول الاوروبية لغرض توضيح الموقف بناءً على طلب الزعيم البارزاني الذي كان ينتظرنا في طهران، وفي اليوم التالي غادرنا كُردستان بواسطة وسائل النقل التي هيأتها لنا السلطات الايرانية وقد وصلنا طهران اليوم الثاني والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩٧٤. وبعد بضعة ايام وبعد أن أكملنا معاملات السفر وبعد توجيهات وتوصيات البارزاني توجهنا الى بريطانيا، وقبل سفرنا وفي ليلة الرابع والعشرين علمنا بأن قوات النظام قد شنت غارة جوية على مدينة قلعة دزه التي كانت تأوى جامعة السليمانية وقد أنتقل اليها الطلبة والاساتذة لأكمال السنة الدراسية، فأقترفت تلك القوات جريمتها الكبرى ونتيجة تلك الغارة الوحشية استشهد مائة وخمس وثلاثون شخصاً من الطلبة والاساتذة والمواطنين، ودلت الغارة على مدى وحشية النظام وقسوته.

كانت بريطانيا أولى الدول التي قمنا بزيارتها وكان ممثلنا في طهران د.شفيق قزاز[٢٠] الذي حلّ محل شمس الدين المفتي في طهران فقد نقل هذا الاخير الى كُردستان وتولى هناك منصب الامين العام للزراعة كما آنفت، وقد سافر معنا لكي ينضّم الى وفدنا الى الأمم المتحدة، وفي بريطانيا قابلنا بعض اعضاء البرلمان بعض المسؤولين، واستقبلنا (جوليان ايمري) الذي كان وزيراً للدولة للشؤون الخارجية في حكومة (ادوارد هيث) وكان من المعجبين بالبارزاني فقد قابله في كُردستان قبل سنوات، ولابد أن أذكر بأن السيد مسعود البارزاني قد قام بزيارة بريطانيا سنة ١٩٨٩ وأثناء أجتماع بعض النواب به في بناية البرلمان البريطاني حضر (جوليان ايمري) وسلّم على مسعود البارزاني وحياه تحية عسكرية ووقف أمامه بأحترام وقال أني جئت لتقديم

اجلالي وتقديري لكم لأنكم نجل ذلك الزعيم العظيم البارزاني الراحل، وقد دعانا في أحدى الأمسيات الى داره لتناول الشاي عنده.

وفي بريطانيا ايضاً عقدنا بعض الندوات والاجتماعات مع الطلبة الكُرد وكذلك مع ممثلينا هاوار محمد زياد وجمال علمدار وغيرهما. وثم قمنا بزيارة عدد من الدول الاوروبية قبل السفر الى نيويورك للأمم المتحدة، وأثناء وجودنا في لندن التقيت بصديقي القديم محمود بابان الذي كان يشغل آنذاك وظيفة مستشار في وزارة الداخلية السعودية وكان يعمل مع الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية السعودي الذي كان في ذلك الوقت نائباً لوزير الداخلية فقد كان الامير فهد (الملك الحالي) وزيراً للداخلية، كان محمود بابان من الشخصيات الكُردية في العهد الملكي في العراق وأستوزر عدة مرات وكان نائباً عن مدينة كفري لعدة دورات وكان قد زار كُردستان في ربيع سنة ١٩٦٦ وأجتمع بالبارزاني وكانت علاقاتهما جيدة، وقد اصيب بكسور عديدة في حادث سيارة مؤسف في طريق عودته من كُردستان الى طهران، عندما التقيت بالسيد بابان أخبرني بأنه يعمل لأجل بناء علاقات بين قيادة الثورة والمملكة العربية السعودية وأنه بصدد ترتيب زيارة لي للمملكة فأستحسنت الفكرة وقال بأنه سيعود الى المملكة وسيتصل بنا فيما بعد واتفقنا على أن تتم الزيارة بعد سفرنا الى الأمم المتحدة وبعد أكمال جولتنا الاوروبية. وكنت في بغداد على علاقة صداقة بسفيرهم (حمد الشبيلي) الذي وجه لي الدعوة عدة مرات لزيارة المملكة.

سافرنا من بريطانيا الى المانيا الاتحادية وكنا نحمل رسالة خاصة من ادريس البارزاني الى شقيقي أنور لتقديم كل المساعدات الممكنة لنا[٢١]، كانت لأنور علاقات كثيرة وقوية بعدد من المسؤولين وقد رتب لنا زيارة لوزارة الخارجية والاجتماع مع أحد كبار المسؤولين وكذلك نظّم لنا زيارات أخرى مع عدد من المسؤولين في الدوائر الاخرى، كنا نحمل رسالة شخصية من البارزاني الى (فرانك جوزيف شتراوس) زعيم الحزب الاجتماعي المسيحي CSU في مقاطعة بافاريا، وكان هذا الرجل من كبار السياسيين في المانيا وصديق حميم للكُرد، وفور سماعه بوجودنا في المانيا وجّه لنا دعوة خاصة لحضور مؤتمر حزبه الذي كان في طريق عقده في ميونيخ عاصمة ولاية بافاريا وقد حضرنا جلسة

الافتتاح كضيوف شرف حيث رحب بنا في كلمة الافتتاح وقدمنا للحاضرين بأننا ممثلو البارزاني والشعب الكُردي، وبعد الجلسة اجتمع بنا (شتراوس) وقدّمنا له الرسالة مع هدية تذكارية، وثم زودنا برسالة جوابية وتمنى لنا التوفيق.

وكان يرافقنا في ذلك الاجتماع الصحفي الشهير دكتور ديشنر الذي كان يكتب حينذاك في جريدة (ديرشبيگل) الألمانية، وقد حثّه شتراوس في تلك الجلسة على القيام بزيارة كُردستان، وقام فعلاً بتلك الزيارة وألف كتاباً شيقاً عن البارزاني والثورة الكُردية ترجم الى العربية من قبل عبدالسلام برواري.

وبعد تلك الزيارة وزيارة دول اوروپية اخرى توجهنا الى نيويورك وكان زميلنا د.شفيق قزاز بأنتظارنا هناك، وقد نظّمنا مذكرة مناسبة حول القضية الكُردية ومايتعرض له الشعب الكُردي من حرب ابادة على ايدي البعثيين، وقد تمكننا بواسطة احد الاصدقاء[٢٢] من الاتصال بالأمين العام للأمم المتحدة الدكتور (ڤالدهايم) الذي خوّل أحد معاونيه لأستقبالنا واستلام المذكرة. وكذلك اتصلنا بعدد من رؤساء البعثات الدائمة، وقد أتصلت هاتفياً بصديقي السفير الپاكستاني في اوتاوا (كندا) الذي اتصل بدوره بممثل پاكستان الدائم في الأمم المتحدة ورتب لنا موعداً للقائه، كانت العلاقات بين العراق وپاكستان تسودها البرودة وقد سحبا سفيريهما وذلك بسبب كميات الاسلحة التي كانت تبعثها الحكومة العراقية عن طريق سفارتها في پاكستان لغرض ايصالها للبلوشيين الايرانيين لأحداث البلبلة للحكومة الايرانية انتقاماً منها لمساعدتها الثورة الكُردية، كانت تلك الاسلحة ترسل عن طريق البريد الدبلوماسي فشّكت فيها الشرطة الباكستانية بسبب الكميات الكبيرة وقامت بمداهمة السفارة وتفتيشها فعثرت على تلك الكميات الكبيرة من تلك الاسلحة والتي أدت الى سحب السفراء ووصول العلاقات الى درجة سيئة، وقد عقدنا مؤتمراً صحفياً نظّمه لنا ذلك الصديق في مبنى الأمم المتحدة شرحنا فيه القضية الكُردية ومهمتنا، وثم سافرنا الى واشنطن حيث اتصلنا بعدد كبير من المسؤولين وأعضاء الكونگريس، وكان للمرحوم محمد سعيد دوسكي دور كبير في ذلك فكانت له علاقات كثيرة مع اعضاء الكونگريس والصحافة والمسؤولين، ومن ضمن أعضاء مجلس الشيوخ الذين اجتمعنا بهم السناتور

(جاكسون) والسناتور (ريجاردستون) وعضو مجلس النواب (وولف) وغيرهم من الذين لاتخطر اسماؤهم على بالي، وكذلك التقينا بعدد كبير من الصحفيين وبأتحاد العمال ورئيسه كان (ميني) الشخصية الكبيرة. وكذلك اجتمعنا بعضو المحكمة العليا للولايات المتحدة القاضي (وليم دوگلاس) الذي كان صديقاً للبارزاني الراحل.

بعد أكمال تلك اللقاءات والاجتماعات عدنا الى اوروپا لأكمال جولتنا، وقد سافرنا الى فرنسا ضمن تلك الدول وقد سبق ان ذكرت في بحث سابق بعض التفاصيل عن هذه الزيارة عند الكلام عن المسيو (دوران)، ومن الأعمال الاخرى التي قمنا بها في فرنسا تنظيم اجتماع لممثلينا في اوروپا والدول الاخرى، وذلك للتداول ومناقشة أعمالهم وواجباتهم. وذكرت سابقاً بأن الصحافي الشهير (اريك رولو) قد أقام لنا دعوة استقبال وعشاء في داره، وقد قال في تلك الجلسة انه سبق وقام بترتيب مقابلة صحفية مع شاه ايران ولدى سؤاله عن القضية الكُردية أخبره الشاه بأن مساعداته الى الثورة الكُردية من مقتضيات مصلحته في الوقت الحاضر وانها كالمياه الجارية في الحنفية ومتى ما أغلقت الحنفية تنقطع المياه!! أي متى ما أقتضت المصلحة فأنه سيغلق الحنفية!!.

فقال لنا (اريك رولو) بأن ذلك هو رأي الشاه ويخشى بأن يقوم بوقف المساعدات عنكم، نقلنا في حينه عند عودتنا الى قيادتنا ما دار من حديث مع (رولو).

ومن الدول الأوروپية التي قمنا بزيارتها كل من فرنسا والمانيا وهولندا وبلجيكا والسويد وفنلندا والنمسا وسويسرا، بالأضافة الى بريطانيا.

في زيارتنا لهولندا بينما كنا جالسين في أحد الفنادق في امستردام في صالة الفندق مع ممثلنا هناك آنذاك (نوزاد عمر دزه يي) دخل (ڤالدهايم) الامين العام للأمم المتحدة اذ كان يقيم في الفندق نفسه وكان يرافقه بعض المساعدين وعندما اراد دخول المصعد للذهاب الى غرفته أسرعنا سامي وأنا نحو المصعد وتمكن سامي من دخوله معه وفي طريق الصعود قال له بأن الوفد الكُردي الذي قدم مذكرة الى معاونه في نيويورك يودّ لقائه لبضع دقائق فقال بأنه سيبعث الآن بأحد مساعديه للأجتماع معنا ونقل مايدور فيه اليه.

وبالفعل نزل المساعد بعد بضع دقائق وأجتمع معنا مّدة كافية واستمع الى اقوالنا بأهتمام ودوّن المطاليب وقال بأنه سيقوم بنقلها الى الأمين العام السيد ڤالدهايم.

وقعت مصادفات غريبة اثناء زيارة البلدان التي قمنا بها ولا ادري فيما اذا كانت زياراتنا هي منحوسة أو أن سوء الحظ قد لعب دوره أو هي الصدف فقط. فعند زيارتنا فرنسا توفي رئيس الجمهورية (بومبيدو) وأجريت فيما بعد انتخابات رئاسية جديدة، ولدى زيارتنا المانيا الاتحادية قامت الضجة حول فضيحة الجاسوس (گونتر گيليون) الذي كان يعمل في مكتب المستشارية فأدى الى استقالة المستشار (ويلي براندت)، وأثناء زيارتنا لفنلندا واجتماعنا مع رئيس الوزراء (سورسه) بدأ البرلمان الفنلندي يطرح الثقة وكاد رئيس الوزراء أن يخسر منصبه وقد نجح بفارق صوت واحد فقط!! وغيرها من الصدف الغريبة التي لا اذكرها.

عدنا الى ايران ثانيةً للعودة الى كُردستان بعد تلك الجولة في بلدان اوروپا والولايات المتحدة والتي استغرقت أكثر من شهرين، ولدى وصولنا استقبلنا الجنرال (نعمت الله نصيري) رئيس الساڤاك في مكتبه وقدّمنا له موجزاً عن جولتنا ونشاطاتنا، ولدى مفاتحته بموضوع الاسلحة التي وعدنا بعض المسؤولين الفرنسيين للحصول عليها تحجج نصيري وقال بأنهم سوف يقومون بأنفسهم بتزويدنا بها -كما ذكرت تفاصيل ذلك سابقاً-، وثم استقبلنا مساعده الجنرال معتضدي الذي كان أكثر دبلوماسية وأكثر ذكاءً من رئيسه وقيّم بأيجابية كبيرة جولتنا تلك وحثّنا على ضرورة القيام بمثلها الى دول ومناطق أخرى ونقل قضيتنا اليها.

عند وجودنا في طهران علمنا بأن عوائلنا قد نقلت الى داخل الحدود الايرانية مع العوائل الاخرى والمدنيين وذلك لأشتداد القصف الجوي، وفي الحقيقة لم نعلم لا سامي ولا أنا عن مكان وجود تلك العوائل ومصيرها، ولدى عودتنا الى مدينة الرضائية -اورمية حالياً- رافقنا أحد الموظفين من منتسبي الساڤاك وأخبرنا بوجود عوائلنا في مدينتي الرضائية ونقده. وكانت افراد عائلتي وعائلة ابن عمي كاكه يعيشون معاً في الرضائية أما عائلة سامي فكانت في مدينة نقده، فسافر سامي الى نقده ليكون بأنتظاري في اليوم

التالي لكي نعود معاً الى كُردستان، أما انا فقد ذهبت برفقة الموظف المذكور فعثرت على العائلتين اللتين كانتا تقيمان في شقة قديمة في الطابق الثاني من أحدى البنايات وبعد قضاء تلك الليلة عندهم سافرت الى كُردستان عن طريق نقده واعداً اياهم بالعودة بعد اسبوع واحد.

العودة الى كُردستان مرة أخرى

كنا في شهر تموز من سنة ١٩٧٤ عندما عدنا الى كُردستان وقد علمنا بأن عشرات الألوف من السكان الكُرد من المدنيين قد التجأوا الى ايران هرباً من القصف الجوي الشديد الذي كان يجعل من المدنيين هدفاً لتلك الحملات قبل قوات الانصار، وكان الهدف من ذلك اخراج أكبر عدد من السكان الكُرد من أماكن سكناهم اولاً ثم منع الاهالي من مزاولة اعمالهم وخاصةً الزراعية لقطع مورد عيش قوات الانصار ثانياً وثم لجعل العبء ثقيلاً على كاهل قيادة الثورة الكُردية بأجبار أضخم عدد من المدنيين على الهجرة والدخول في مناطق القيادة. وكانت تلك العملية مخططة لها بدقة وجرى تنفيذها بأقصى درجات القسوة والوحشية، اما الملتحقون بالثورة فلم تكن عوائلهم تنجُ من تلك العملية فكانت السلطات تجبر تلك العوائل على الهجرة والالتحاق برئيسها، وذلك لجعل الملتحقين منشغلين بعوائلهم ومنعهم من تقديم عمل مفيد للثورة الكُردية، وكانت السلطات الايرانية قد هيأت معسكرات خاصة لأولئك اللاجئين الذي تجاوز عددهم الربع مليون شخص، وكانت تلك المعسكرات موزعة في معظم المناطق الحدودية الغربية من ايران من الرضائية الى الأهواز.

بعد وصولنا كُردستان مباشرة اتصلنا بمقر الزعيم الراحل البارزاني فأتفقنا على زيارتهم في مساء اليوم نفسه، وكان في منطقة حاج عمران، ولدى ذهابنا الى ذلك المقر اجتمعنا بالبارزاني الذي رحّب بعودتنا، وقد حضر الاجتماع كل من الاخوين ادريس ومسعود البارزاني وحبيب محمد كريم سكرتير الحزب والدكتور محمود علي عثمان عضو المكتب السياسي ومسؤول العلاقات الخارجية للحزب، وبعد سرد اخبار جولتنا ونتائجها استحسنها البارزاني وثّمنها وكنا قد نقلنا له بعض الرسائل سواء كانت جوابية رداً على رسائله التي كان قد بعثها معنا أو انها قد ارسلت من قبل بعض الشخصيات التي التقينا بها في جولتنا، وكما ذكرت سابقاً فقد نلقنا لهم ما سمعناه من الصحافي الفرنسي (اريك رولو) من الموقف الحقيقي لشاه ايران فلم يعلق البارزاني على ذلك اما الآخرون فكان من الصعب عليهم تصديق ذلك بسبب

الوعود الكثيرة التي قطعها للثورة مسؤولو ايران والشاه نفسه وكذلك بسبب دخول الولايات المتحدة في الموضوع والوعود التي قطعتها هي وضماناتها الكثيرة للعملية، وأعتقد بأن البارزاني الراحل قد صدق ذلك من قرارة نفسه لأنه كان يعرف (اريك رولو) شخصياً وهو من اصدقائه ولايمكن أن يبعث بخبر ان لم يكن فيه مصلحة للكُرد، ولأنه هو نفسه كان قد جرّب شاه ايران سابقاً ومدى صدق وعوده ولأنه يعرفه حق المعرفة واساليبه في أعمال الخيانة والغدر ودرجة غروره الفارغ، وأن تأكيدات وضمانات الولايات المتحدة جعلته يغض الطرف عن حقيقة الشاه.

بعد ذلك الاجتماع انصرفنا الى اعمالنا السابقة، فكانت دوائر الامانات العامة المشكلة سابقاً قد أصبحت شبه مشلولة وخاصةً بالنسبة لأمانة الشؤون الداخلية التي انتقلت أسوة بغيرها من الامانات والدوائر الى اماكن يصعب العثور عليها جواً أو تشخيصها تفادياً للقصف الجوي، وقد وجدت بأن شؤون اللاجئين قد انيط أمرها بأمانة الشؤون الداخلية فنسبنا كانبي عزيز دزه يي الذي كان يشغل منصب مساعد الأمين العام لتسلّم تلك المسؤولية اضافةً الى منصبه، فكان يرأس اللجنة المشكلة للأشراف على شؤون اللاجئين من ممثلي الدوائر المختصة، اما اجازات الموظفين في جميع الأمانات والدوائر الى داخل ايران سواء لزيارة العوائل أو للأستراحة فكانت تقتضي وجود توقيع حبيب محمد كريم سكرتير الحزب عليها أو توقيعي أنا والا كانت ترفض من قبل الموظف الايراني. واذكر هنا حادثة طريفة حيث كنت اسافر الى بلدة اشنوية في أحدى المرات، وفي مدخل المدينة كانت هنالك نقطة سيطرة وتفتيش ووقف فيها أحد منتسبي الساڤاك (جهاز الأمن) واسمه حسبما اتذكر السيد (بياتي) فسألنا عن اجازاتنا وكان معي مرافقي عمر وابن عمي كاكه وأحد حراسي الآخرين واسمه خسرو عدو، وقال بأن الاجازات يجب أن تحمل توقيع حبيب محمد كريم أو محسن دزه يي، ولما قلت له بأنني محسن دزه يي، أبى الاّ أن ابرز اجازة بتوقيعه وقد أريته هويتي وجواز سفري لأثبات شخصيتي فلم يوافق مطلقاً، وأضطررنا الى العودة وثم اتباع طريق آخر لذلك.

بعد قضاء بضعة ايام في كُردستان وممارسة عملي تحت وطأة القصف الشديد واخبار المعارك الحامية الدائرة في مختلف انحاء كُردستان، فكرت في أمر

عائلتي ونقلهم الى مكان أفضل أسوة بالعوائل الأخرى، كنت أعود مساء كل يوم من عملي الى مقر أقامتي في الدارين التي كانت تشغلها عائلتي سابقاً في القرية المسماة آزادي قرب حاج عمران وكانت عبارة عن بيوت سياحية جديدة، سافرت الى مدينة نقده الايرانية وهناك حصلت على دار مناسبة نوعاً ما ونظيفة وذلك بواسطة قريبي الدكتور خالد دزه يي[٢٣] الاخصائي في العيون الذي كان يمارس مهنته كطبيب منتدب الى مستشفى شيرو خورشيد الايرانية في نقده (الاسد والشمس بمثابة الهلال الاحمر) وذلك لمعالجة اللاجئين وكذلك المرضى الآخرين من ايران، وكذلك بواسطة صديق له ولنا من سكان نقده واسمه (اسماعيل آغا صديق ساوچيلاغچي) وكان هذا الاخير رجلاً كريماً وشهماً قدّم لنا كل الخدمات والتسهيلات أثناء وجودنا في نقده لمدة أكثر من سنة، نقلت عائلتي وعائلة كاكه الى تلك الدار في نقده وقضينا فيها زهاء السنة والنصف لحين انتقالنا الى مدينة كرج قرب طهران بعد مضي اشهر عديدة على نكسة العام ١٩٧٥.

ومن مصادفات القدر ان يصبح اسماعيل آغا ساوچيلاغچي نفسه لاجئاً في كُردستان العراق بعد سنة ١٩٩٢ وقد حاولت أنا والدكتور خالد وكذلك ابن أخي وريا وكاكه وكافة اقاربي الاهتمام به والتخفيف من محنته قدر الامكان وكذلك أهتم به المسؤولون في الحزب والحكومة المحلية بسبب موقفه السابق وخاصةً السيد مسعود البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكُردستاني ونيچيروان البارزاني رئيس الحكومة المحلية حالياً، ويقيم (اسماعيل آغا) الآن لاجئاً في أحدى الدول الاسكندنافية.

بعد استقرار العائلة تفرغت لعملي الذي كان محدوداً في الحقيقة بسبب ظروف القتال والاوضاع السائدة وصعوبة التنقلات، وكان مجلس الامناء العامين يجتمع مرة كل اسبوع للتداول في الأمور المتعلقة بالأمانات وكان يرأس تلك الاجتماعات المهندس سامي عبدالرحمن بصفته رئيساً للمجلس، كما كنت أجتمع مع المكتب السياسي مرة في الاسبوع للأطلاع على الاوضاع العامة والمواقف المستجدة، وكنا نجتمع مرة في الاسبوع مساءً في مقر البارزاني لبحث مجمل الاوضاع والمستجدات والموقف العسكري والاستماع الى نصائحه وتوجيهاته.

كان الموقف العسكري لابأس به وأصبح يسير نحو التحسن بعد الاشهر الثلاثة أو الاربعة الاولى من بدء القتال، حيث استعملت السلطات العراقية كل امكانياتها وكل طاقاتها للقضاء على الثورة الكُردية في أقصر مدة ممكنة، الا ان تلك الطاقات بدأت بالنضوب وأن قوى النظام بدأت تخور تدريجياً حيث شلت طاقاتها في أواخر العام وتمكنت قواتنا من توجيه ضربات مؤثرة للقوات المعادية.

في أوائل شهر آب من تلك السنة قمت بجولة تفقدية في عدد من المعسكرات القريبة للأطلاع على أوضاع اللاجئين واماكن سكناهم وكان معي في تلك الجولة السادة (محمد عزيز) مدير ادارة مقر البارزاني و(كانبي عزيز دزه يي) مساعد الامين العام للداخلية ورئيس لجنة شؤون اللاجئين وكذلك اصدقاء آخرين مثل (المحامي اسماعيل اليعقوبي) وغيرهم وتجولنا في عدد من المعسكرات في منطقة الرضائية واشنوية وسردشت وغيرها، كانت تلك المعسكرات مزدحمة جداً باللاجئين ولكن الخدمات –والحق يقال– كانت جيدة أو لابأس بها وفي بعضها تم اسكان اللاجئين في مباني خاصة بنيت خصيصاً لهم اما في القسم الآخر فكانوا يعيشون تحت الخيام، وكانت المواد الغذائية التي توزع عليهم كمياتها كافية أو تفيض عن الحاجة.

بعد تلك الجولة السريعة عدت الى كُردستان ورفعت تقريراً بشأنها الى مقر البارزاني والمكتب السياسي ورئاسة مجلس الامانات، وقررت ان أكمل جولتي وزيارة بقية المخيمات في المناطق الاخرى فيما بعد.

في أواخر شهر آب استدعاني الزعيم الراحل البارزاني الى مقره وعند الذهاب اخبرني بأنه قد تلقى خبراً من ممثلينا في لندن مفاده أن السيد محمود بابان قد طلب سفري الى لندن والسفر الى المملكة العربية السعودية، وقد استحسن البارزاني شخصياً تلك الفكرة وطلب سفري بأقرب فرصة ممكنة، وقد طلبت بدوري أن يكون سفرنا كوفد وهذا يكون من الافضل وأقترحت سامي عبدالرحمن فوافق وتم اعلام سامي بذلك، وقد طلب البارزاني منا التهيؤ للسفر وأنه سوف يقوم بتزويدنا برسالة شخصية الى الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، ورسالة خاصة الى السيد محمود بابان.

السفر الى السعودية

بعد عدة ايام من ذلك سافرنا سامي وأنا الى طهران ومنها الى بريطانيا، ولدى وصولنا علمنا بأن السيد بابان قد عاد الى السعودية وأنه بأنتظار الجواب لأعلامه عن موعد وصولنا، بعد الاتصال به هاتفياً اطلعناه على اسماء الوفد وموعد وصوله، وقد اقلتنا أحدى طائرات الخطوط الجوية السعودية الى جدة ثم الرياض، كان في انتظارنا بالمطار السيد محمود بابان، وفي اول الامر لم الحظه لأنني كنت أبحث عن الشخص الذي أعرفه بملابسه الاوروبية الانيقة، وفجأة نادى إسمي فرأيت صديقي محمود بابان بالملابس العربية، وبعد تبادل التحيات وبعد ان عرفته على الاخ سامي نقلنا الى الفندق المخصص لنا.

كان المرحوم الملك فيصل بن عبدالعزيز رجل دولة بكل معنى الكلمة حيث كان ذكياً وسياسياً جريئاً، كان يقدر خطورة النظام البعثي على المنطقة وخاصةً بعد أن عقد العراق معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفياتي، ولم يكن توسع النفوذ السوفياتي في دولة مجاورة للسعودية بالأمر الهين بالنسبة للملك، ورغم حرصه على المحافظة على العلاقات مع جارته وعدم رغبته في التدخل في الشؤون الداخلية لدول اخرى بصورة علنية، فكان يعطف على القضية الكُردية وثورتها العادلة، وكان بدون شك وفي قرارة نفسه يفضل الثورة الكُردية على نظام البعث وان تغيير هذا النظام كان من الامور التي تسرّه، فلم يكن بالأمر الغريب أن يحاول المسؤولون في المملكة الاتصال بالثورة الكُردية وبناء العلاقات معها.

في اليوم التالي لوصولنا استقبلنا الامير نايف بن عبدالعزيز في وزارة الداخلية بحضور السيد محمود بابان ورحب بنا كثيراً وعبّر عن اهتمام الملك وحكومته بالشعب الكُردي وثورته وقيادتها، وتطرق الى العلاقات التأريخية ودور الكُرد في خدمة الاسلام واشار الى القائد صلاح الدين الايوبي الذي حّرر القدس الشريف، كما اشاد بدور الكُرد في المملكة، وكان سعيد الكُردي من مقربي الملك عبدالعزيز آل سعود ومن ابرز مساعديه، ثم بحثنا له الموقف العسكري والاوضاع بصورة عامة في المنطقة والحاجة الى الدعم والمساندة من

جميع الدول المجاورة المحبة للأستقرار، وقد وعد الامير نايف بنقل رسالة البارزاني للملك ومحاولة تنظيم بعض اللقاءات.

وبعد يومين أو ثلاثة، استقبلنا الامير نايف للمرة الثانية وأخبرنا بأنه قد نقل الرسالة الى الملك ويحتمل أن يرتب لنا لقاءً مع جلالته، ثم أخبرنا بأن الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع والطيران سيستقبلنا قريباً، كان الامير نايف شخصاً هادئاً ومتواضعاً شأنه شأن أكثر الامراء السعوديين الذين التقيت بهم خلال حياتي السياسية في ذلك الحين أو بعده.

استقبلنا الامير سلطان في مكتبه بوزارة الدفاع وكان أكثر صراحةً وانفتاحاً وابدى رغبته الشديدة ورغبة حكومة المملكة في بناء العلاقات معنا وتقديم العون لنا وتمنى لنا التوفيق.

مرت اسابيع ثلاثة تقريباً على وجودنا في المملكة العربية السعودية وصادف حلول شهر رمضان المبارك في الاسبوع الاخير لزيارتنا فبدأ شهر الصيام وأخيراً استقبلنا الامير نايف للمرة الثالثة والاخيرة وأعتذر عن عدم استقبال الملك لنا لأنشغاله في تلك الفترة وسفره، ووعد بالأستمرار على تواصل تلك العلاقات وان تكون الاتصالات مستمرة، وقال بأنهم سيبعثون بأحد الاشخاص الى المنطقة للأطلاع على الاوضاع عن كثب وزودنا برسالة جوابية من الملك فيصل للبارزاني. كما وقدم بعض المساعدات الانسانية ثم ودعنا.

وفي اليوم التالي، أوصلنا الاخ محمود بابان للمطار وسافرنا على متن أحدى طائرات الخطوط الجوية الايرانية عائدين الى ايران عن طريق طهران، وقد شك مدير الخطوط الجوية الايرانية في أمرنا فلم نبّلغه بهويتنا أو مهمتنا، وعند نزول الطائرة في شيراز كمرحلة أولى أحاطت الشرطة بنا وأخذت تحقق معنا ومضى وقت الرحلة فتخلفنا عن الطائرة، ولم نتمكن من الخلاص من ايدي الشرطة الا بعد تقديمنا أسم احد مسؤولي السافاك فأتصلوا به هاتفياً ثم أخلوا سبيلنا وبعد عدة ساعات كانت هنالك طائرة أخرى الى طهران فأتممنا الرحلة.

بعد قضاء يوم آخر في طهران عدنا الى كُردستان وكعادتنا قمنا بزيارة البارزاني في مقره واطلعناه على تفاصيل سفرنا ومادار من الاحاديث مع

الامراء السعوديين.

في أحد ايام شهر كانون الثاني سنة ١٩٧٥، ورد خبر بأن الفريق ابراهيم عبدالرحمن الداود الذي كان يقيم في السعودية في طريقه الينا، وانه سيصل مدينة الرضائية جواً قادماً من طهران في الصباح الباكر من اليوم التالي، وقد كلفني الاخ ادريس بناءً على توصية والده البارزاني بالذهاب الى الرضائية لأستقبال الضيف، اذ انني كنت على معرفة سابقة به، وقد ذهبت مساء اليوم نفسه الى الرضائية وقضيت بعض الوقت في النوم، ولما كان فجر ذلك اليوم موعداً لمباراة الملاكمة في الولايات المتحدة بين البطل محمد علي كلاي وأحد خصومه على لقب البطولة، فقد نهضت مبكراً جداً أي فجر ذلك اليوم لمشاهدة تلك المباراة التي كانت تنقل بواسطة التلفزيون الايراني، وبعد المباراة التي انتهت بفوز كلاي على غريمه ذهبنا الى المطار لاستقبال الضيف الذي وصل في الوقت المحدد وبعد استراحة قصيرة وتناول الفطور غادرنا الى كُردستان، وحل الداود في مقري الخاص حيث محل اقامتي وجهزنا له غرفة خاصة، وكان البارزاني قد أمر بأتخاذ اجراءات الحراسة اللازمة له، كما تأكد من تجهيز جميع الاحتياجات اللازمة للضيف. وكان مساء كل يوم يحضر البارزاني شخصياً للأجتماع به وقضاء الوقت معه الى ساعة متأخرة من الليل، كما كان يرافقه فؤاد عارف والدكتور محمود عثمان وحبيب محمد كريم وسامي عبدالرحمن وادريس ومسعود البارزاني احياناً، وقد امضى الداود اربعة ايام عندنا بحثنا معه سبل التعاون بيننا وأوضاع المنطقة وموقف القتال وغيره، ووعد بأنه سيعود قريباً ويحاول الاتصال ببعض مؤيديه من داخل الجيش. مكث الداود في كُردستان اربعة ايام، ثم غادر وعاد الى السعودية مودعاً من قبل البارزاني وقد أوصلته انا شخصياً الى مطار الرضائية حيث استقل الطائرة الى طهران ومنها الى السعودية.

الجولة الثانية في مخيمات اللاجئين

قبل زيارة الفريق ابراهيم الداود بأسبوعين أو ثلاثة أي في أواخر شهر كانون الاول من سنة ١٩٧٤ ورد خبر من السلطات الايرانية بأن حادثة قتل قد وقعت في أحد معسكرات اللاجئين وذهب ضحيتها أحد اللاجئين والفاعل هو احد المسؤولين الايرانيين، ونتيجة ذلك حدث بعض أعمال الشغب في ذلك المعسكر، لذا طلبت تلك السلطات حضور أحد المسؤولين الكُرد لتهدئة الوضع، أخبرني الاخ ادريس البازراني بأن الزعيم البارزاني قد رأى أنه من الافضل سفري وبالسرعة الممكنة للأطلاع على الوضع وأتخاذ الاجراءات المناسبة، فأقترحت أن يرافقني كل من محمد عزيز وكانبي دزه يي، وقد غادرنا في نفس الليلة التي كانت من ابرد ايام السنة والثلوج تغطي الطرق والمنافذ وخاصةً أن المنطقة التي كان علينا اجتيازها لعبور الحدود من أصعب المناطق عبوراً في أيام الشتاء وبالأخص عند حدوث العواصف الثلجية.

غادرنا حاج عمران ليلاً بواسطة سيارتين من نوع اللاندروفر وبعد عبور نقطة الحدود مباشرةً وفي المرتفع الفاصل بين البلدين حيث الاستحكامات الجبلية المنيعة ومواضع الرشاشات التي اقيمت خلال الحرب العالمية الثانية تحسباً لأحتلال القوات النازية للعراق ومحاولة عبورها الى ايران التي كانت تحت حكم الحلفاء آنذاك، هبت عاصفة ثلجية قوية وخلال دقائق أغلقت الطريق تماماً، فكان من المحال أن تتحرك السيارات، وأضطررنا الى النزول والمشي سيراً على الاقدام، وكنت أنا في سيارة اللاندروفر الخاصة بي يقودها مرافقي عمر قادر، كانت العاصفة قوية لدرجة انعدمت فيها الرؤية تماماً وعند محاولتنا السير في الطريق اخطأنا المسير نتيجة قوة الهواء وانعدام الرؤية فأبتعدنا قليلاً ثم حاولنا العودة الى السيارة والجلوس في داخلها فلم نعثر عليها، اما الآخرون فكانوا يستقلون سيارة أحمد حاجي أحد المسؤولين عن نقطة الحدود الكُردية في حاج عمران.

كان من الأمور الغريبة، ان تقطع قمة ذلك المرتفع وبمجرد المباشرة بالنزول الى السفح الشرقي داخل ايران توقفت العاصفة الثلجية وأصبحت مدى الرؤية

واضحة، كان أحمد حاجي ومحمد عزيز والذين معه قد تركوا سيارتهم وكانوا امامنا وتمكنوا من العبور سيراً على الاقدام والنجاة بأنفسهم، وبعد العبور عندما التفت أحمد حاجي ولم يشاهدني اصابه قلق على مصيري وعاد ومعه شخص آخر مسرعين وفي ايديهما مصابيح الضوء وبدأوا ينادون علينا وعند ذلك ردّينا عليهم وعثروا علينا وقادونا الى موقع الأمان، وبعد السير لأكثر من ساعة وصلنا بلدة خانة (پيرانشهر) الحدودية فتوجهنا الى دار أحد معارفي أحمد حاجي الايرانيين وبعد استراحة قليلة والتدفئة احضروا لنا واسطة نقل اوصلتنا الى مدينة نقده حيث كانت تقيم عائلتي وقد ذهبت منفرداً اما احمد حاجي ومحمد عزيز وعمر فقد مكثوا في خانه لتهيئة أحدى مكائن تنظيف الطرق من الثلوج وجلب السيارات على أمل اللحاق بي في الصباح المقبل. وبالفعل فقد حضر الجميع في صباح اليوم التالي مبكرين وكذلك حضر الاخ كانبي دزه يي من الرضائية حيث كان يقضي اجازته مع عائلته.

بدأت جولتنا في معسكرات اللاجئين بدءاً بالمعسكر الذي حدثت فيه حادثة القتل وأعتقد بأن أسم ذلك المعسكر كان (كامياران) وتبين بأن بعض الشباب قد حرضوا اللاجئين لتقديم بعض المطاليب ونظموا مظاهرة صغيرة نحو مبنى ادارة المعسكر وحاولوا اقتحامها فأطلق أحد المسؤولين بعض الرصاصات من مسدسه بغرض التهديد والترويع فأصابت احداها رجلاً من اللاجئين في مقتل، وبذلك تفرق الجمع، ودار الحديث بعد ذلك عن الانتقام أو العصيان، ولقطع الطريق عن ذلك طلبوا حضوري فوراً، بعد الحصول على تلك المعلومات توجهنا الى دار القتيل لزيارة أسرته وكان معنا أحد كبار المسؤولين الذي قدم من طهران وكذلك المسؤولون المحليون، ولدى الزيارة اقتنع ذوو القتيل بأن ذلك العمل لم يكن متعمداً وقد وعدناهم ببعض التعويضات، وبعد ذلك جمعنا اللاجئين في ساحة المعسكر وحدثناهم عن اسباب لجوئهم والظروف الحياتية الصعبة بالنسبة للمدنيين في كُردستان بسبب المعارك الدائرة، وكذلك تحدثنا عن التسهيلات والمساعدات المقدمة لهم وطلبنا منهم التحلي بالصبر والحكمة وتجنب اعمال الشغب، واتباع الاساليب الهادئة في تقديم الطلبات، وتمكننا من تهدئة الوضع، ثم اتممنا الزيارة لبقية المعسكرات والتي استغرقت أكثر من أسبوع وذلك في المخيمات التي تقع في الوسط والجنوب من ايران.

عدنا في نهاية شهر كانون الاول الى طهران وقضينا فيها عدة أيام، وكان شقيقي عمر مدير مكتبنا في ڤينا الذي كان يعمل في السفارة العراقية وفصل من عمله بعد استئناف القتال مع مالك الياسري الذي كان يعمل في نفس السفارة وفصل ايضاً بسبب صداقته لعمر ولي، في كُردستان مع بقية ممثلي الحزب في المناطق المختلفة والذين زاروا كُردستان للمداولة، كان عمر قد تخلف في سفر العودة لعّدة أيام بسبب سفري المفاجيء ولما وصلت طهران أخبرته بالحضور وثم ودعته من هناك عائداً الى ڤينا. قضينا عطلة رأس السنة الميلادية هناك ثم قفلنا راجعين الى كُردستان في السنة الجديدة أي سنة ١٩٧٥، قبل عودتنا بيوم أو بيومين أتصل بي هاتفياً من نقده (اسماعيل آغا ساوجبلاغجي) صديقنا الكُردي الايراني وأخبرني بأن قريبي الدكتور خالد اسماعيل دزه يي قلق جداً على عائلته ومهموم لدرجة انه قد انقطع عن العمل للأيام الثلاثة السابقة فطلبت منه احضاره معه والقدوم الى طهران، وكنت قد تحدثت هاتفياً مع أحد القادمين من العراق الى لندن فأخبرني بأن الجميع بخير، ولما وصل الدكتور خالد طمأنته ودعوته في المساء الى أحد المطاعم وزال عنه القلق وثم عاد الى نقده وبدأ بمزاولة عمله كالمعتاد. ولم يمض وقت طويل على عودتي حتى صادف وصول الفريق الداود من السعودية كما ذكرت.

بعد سفر الداود بأسابيع قليلة سافر البارزاني الى طهران ومعه الدكتور محمود عثمان لغرض التحدث مع كبار المسؤولين في طهران حول الوضع وكذلك لملاقاة الشاه، بعد ذلك بأيام قليلة استدعي الأخ سامي عبدالرحمن الى طهران لغرض السفر الى مصر ومقابلة الرئيس السادات، وقيل بأن مادار في ذلك الاجتماع قد نقل من قبل السادات الى شاه ايران مما أغضبه كثيراً وكان ذلك أحد اسباب اتفاقية الجزائر، وانني شخصياً لا أعتقد ذلك، فلا أنكر بأن الرئيس المصري الراحل انور السادات من المحتمل أن زود الشاه بتفاصيل ماجرى في اللقاء، ولكن الاتصالات كانت جارية قبل ذلك للتمهيد لأتفاقية الجزائر، فقد جرت عدة لقاءات بين بوتفليقة وزير خارجية الجزائر وبين عباس علي خلعتبري وزير خارجية ايران في اوروپا وتركيا وكذلك عقد اجتماع بين وزيري خارجية ايران والعراق، وسآتي على ذكر تفاصيل ذلك في الفصل الخاص بالنكسة واتفاقية الجزائر.

السفر الى الاردن

في الوقت الذي كانت الحكومة الايرانية منشغلة بالأتصالات مع العراق بواسطة الحكومة الجزائرية لعقد اللقاء المرتقب بين صدام حسين وشاه ايران في قمة الدول المصدرة للنفط (اوبك) المزمع عقدها في الجزائر، تحاول من جهة أخرى اشغال القيادة الكُردية بمثل تلك الزيارات لمصر والاردن لذر الرماد في العيون والانتظار لحين حلول الوقت المناسب لأنزال الضربة الكبرى بالقضية الكُردية، كان من جملة الاعمال الجارية لتمضية الوقت ترتيب زيارة للمملكة الاردنية الهاشمية، فقد ادعت السلطة الأيرانية بأن الطريقة المثلى لتطوير القضية ومحاولة كسب الشعب العراقي وبعض الدول العربية لتأييد القضية هي في محاولة جعل الثورة عراقية الى جانب الثورة الكُردية القائمة وأن أفضل طريقة لذلك هي تشكيل حكومة عراقية مؤقتة وان الاردن هي الدولة العربية الاولى يجب مفاتحتها وكسب تأييدها.

اثناء وجود البارزاني في طهران تحدث معه المسؤولون عن ذلك واقترحوا عليه أن يقوم بأرسال وفد الى الأردن لهذا الغرض وانهم قد هيأوا كل مايلزم لذلك وان سفيرهم في عمان سيقوم بأستقبال الوفد وترتيب اللقاء مع الملك حسين بن طلال، استدعاني البارزاني الراحل الى طهران وكان يقيم معه الدكتور محمود عثمان، وكنا في منتصف شهر شباط من سنة ١٩٧٥ وبعد التداول معهم استقرّ الرأي على سفري مع كل من اللواء الركن كمال مصطفى والعميد الركن طه ياسين اللذان قد التحقا بالثورة منذ بداية سنة ١٩٧٠ وكانا يقيمان في طهران في ذلك الوقت وان يلتحق بنا كل من الدكتور حسن الچلبي استاذ القانون في جامعة بيروت وشقيقه الشاب الدكتور أحمد الچلبي في بيروت. تهيأنا للسفر نحن الثلاثة وغادرنا طهران في النصف الاخير من شهر شباط الى لندن ومن هناك اتصلنا مع الاخوين الدكتور حسن وأحمد الچلبي واتفقنا على وقت وتأريخ معينين للألتحاق بنا في مطار بيروت في طريقنا الى عمان، وفي اليوم المعين شاهدناهما وهما ينتظران في مطار بيروت حيث التحقوا بنا وأكملنا الرحلة، لدى وصولنا عمان ونحن نحمل جوازات سفر

ايرانية (اللواء كمال مصطفى وطه ياسين وأنا) على أننا من تجار السجاد الايراني، استقبلنا أحد موظفي السفارة الايرانية ونقلنا مباشرةً الى السفارة حيث استقبلنا السفير (لا اتذكر اسمه) بحفاوة وترحيب بالغين وقال بأنه سيذهب حالاً لمقابلة الملك حسين والتحدث معه حول موضوع زيارتنا، وطلب منا الذهاب الى الفندق المحجوز لنا وأنتظار الجواب في صباح اليوم التالي. وقد غادرنا السفارة بصحبة الموظف الى الفندق المخصص وأثناء التحدث مع موظف الاستقبال لتزويدنا بالغرف الخاصة بنا توجهت نحونا السيدة ثمارة غازي الداغستاني راكضة وكانت على معرفة بالأخوين الچلبي في ذلك الوقت، فنبهتنا بأن الملحق العسكري العراقي متواجد في الفندق وانها تخشى أن يتعرف علينا فيقوم عملاء السفارة العراقية بأرتكاب ما لايحمد عقباه، فأضطررنا الى تغيير الفندق حالاً وانتقلنا الى فندق آخر، وفي الصباح استدعانا السفير ثانيةً الى دار السفارة وقال بأنه قد قابل جلالة الملك حسين الذي استحسن الفكرة الا انه فضل ان نتحدث مع الجنرال نصيري حول تفاصيل الموضوع وانه يوافق على كل ما يتم الاتفاق عليه مع الجنرال نعمت الله نصيري (رئيس الساڤاك الايراني) ويحظى ذلك بموافقته، ولأنه يغادر الاردن اليوم الى أحدى الدول في زيارة رسمية فأنه يعتذر عن عدم الامكان في استقبالنا، وأكد السفير بأن الملك قد سافر فعلاً وكان هو من ضمن مودعيه.

اضطررنا للعودة الى الفندق ونحن نلوم الملك حسين على عدم استقباله لنا، ومن الغريب اننا لم نلاحظ في الصحف الاردنية أو من اذاعتها أي خبر عن سفر الملك في ذلك اليوم أو قبله أو بعده، وفي اليوم التالي غادر كل من الاخوين حسن وأحمد الچلبي وعادا الى بيروت اما نحن فلم نعثر على أي خط جوي مباشر الى طهران لذا فقد سافرنا في اليوم الذي يلي ذلك الى روما في ايطاليا ومنها فيما بعد الى طهران. وقد نقلنا ماحدث الى البارزاني الذي كان لايزال في طهران اذ اخبروه بأن الشاه في خارج ايران وانه سيعود في الاسبوع المقبل ويستقبله.

تبين فيما بعد أن تصرف السفير كان حلقة من سلسلة المؤامرات والاكاذيب لكسب الوقت واشغال القيادة الكُردية بمثل تلك السفرات وذلك لأكمال

المؤامرة، فتبين بأن السفير لم يقابل الملك حسين ذلك اليوم مطلقاً وأن الملك نفسه لم يسافر الى خارج الاردن عند زيارتنا عمان كما ولم يفاتح بالموضوع، وقد أكد لي ذلك الملك حسين نفسه في لقاءاتي معه بعد الانتفاضة المجيدة عام ١٩٩١.

كانت المؤامرة على وشك الوقوع وكانت اللقاءات الجانبية جارية بأستمرار في بلدان مختلفة، وكانت تلك هي الرحلة الاخيرة للشاه لأكمال المؤامرة وكان الغرض من تأخير البارزاني في طهران هو مواجهته بالأتفاقية بعد اتمام عقدها.

كانت عودتي من السفر الى الاردن في أواخر شباط أو اوائل آذار وعند زيارتي للبارزاني في محل اقامته في طهران ومعي كل من اللواء الركن كمال مصطفى والعميد الركن طه ياسين وبعد أن سردنا قصة سفرنا وتفاصيلها ابلغني البارزاني بالبقاء في طهران ليومين أو ثلاثة اذ يعود الشاه من سفره وبعد اللقاء به سنعود معاً، وكنت أقيم في أحد الفنادق وأذهب عند ظهر كل يوم واقضي النهار في محل اقامة البارزاني والى ساعة متأخرة من الليل فأعود عندها الى فندقي الخاص.

اتفاقية الجزائر ونكسة ١٩٧٥

كان الزعيم الراحل مصطفى البارزاني بعيد النظر وكان يتكهن بعض الحوادث ويتوقعها قبل وقوعها، كان -رحمه الله- بالرغم من اسلوبه البسيط في العمل ذا حاسة سادسة قوية ويحكم في بعض الأمور بشكل لا يرد على بال أحد أو خارج تصورات سامعيه، كان بفعل تجاربه الطويلة والاحداث التي مرت به ذا خبره واسعة في تقدير بعض الأمور وتوقع النتائج المترتبة عليها.

في آذار سنة ١٩٧٠ وفي ليلة ١٠-١١ آذار ١٩٧٠ عند التوقيع على الاتفاقية الشهيرة مع صدام حسين أجتمع بنا وبعد أن أكد وجهة نظره فيما يتعلق بحزب البعث العربي الاشتراكي وعدم الثقة به، وأنه يماشي رأي الاكثرية التي تؤيد الاتفاق، قال كلمة مشهورة اراد بها أن يحذرنا من مغبة الثقة العمياء وأن يبين توقعاته ومخاوفه خلال الفترة التي تلي الاتفاقية، فقال: بأن العدو خلال هذه الفترة كان يحاربنا ويشن هجماته بالطائرات والمدافع والقنابل، ونحن نرى العدو واساليبه ونواجهه قدر الامكان، اما بعد الاتفاقية فأن العدو يستمر في محاربتنا ولكن بأسلوب آخر وأنه يوجه طائراته ومدافعه وقنابله ويرمينا بها ولكننا لانراها ولا نشعر بها وهذا أخطر من الاسلوب الاول اذ نتمكن فيه أن نحمي انفسنا أو ندافع عنها بالطريقة الممكنة اما الثاني فلا نشعر بالخطر ولانتمكن ان نحتمي من بطشه ولانرى نوع السلاح المستعمل ضدنا.

لقد صدق حدس البارزاني فبعد فترة قليلة لم تتجاوز الاشهر بدأت المؤامرات حولنا بدءاً بحملة التعريب في مناطق كركوك وغيرها الى المحاولة التي جرت ضد حياة ادريس البارزاني والى تأجيل عملية الاحصاء في كركوك، والبدء بشراء الذمم واغراء ذوي النفوس الضعيفة وغيرها من الاساليب التي تشمئز منها النفوس، وأخيراً توجوا كل ذلك بالمؤامرة الكبرى على حياة البارزاني.

كانت حكومة حزب البعث في منتهى حالات التعب والانهاك قبل اتفاقية آذار سنة ١٩٧٠ وبالكاد تمكنت من القضاء على بعض خصومها، كان الوضع

الاقتصادي منهاراً ومعنويات جيشه وتسليحه دون المستوى المطلوب بكثير، ولم يتم تصفية الحزب من الداخل بعد، حيث كانت المحاور والمنافسة، فلاشك بأن النظام كان في حاجة الى فترة مناسبة للتفرغ لتلك الأمور، ولم يكن ذلك بالأمكان مطلقاً والقتال جار في كُردستان، ولو استمر القتال لفترة أطول مع وجود تلك المشاكل لكان مصير النظام الى الزوال أو في خطر شديد.

كل ذلك دفع بالنظام الى السعي حثيثاً لأنهاء القتال ولو لفترة محدودة وبأي ثمن، ولم يكن أحداً من أشخاص النظام يقدر هذا الجانب بمثل ما قدره صدام حسين.

بعد انتهاء فترة الهدنة التي كانت مدتها اربع سنوات وبعد أن أكمل البعث تسليح جيشه وبعد أن أمّن الجانب السوڤياتي بعقد معاهدة صداقة معه وبعد حبك المؤامرات الكثيرة ضد الثورة الكُردية وأتباع كل الاساليب ضدها، طرح البعث مشروعه في الحكم الذاتي وعلى طريقته الخاصة وبشكل لم يضمن حتى الحّد الادنى للحقوق القومية الكُردية ولم يكن القبول به ممكناً وبدأ بأستئناف القتال ضاناً بأنه سيقضي على الثورة الكُردية في أسابيع أو أشهر قلائل، ومضى أكثر من ستة أشهر دون أن يحقق النظام هدفه ودون احراز أي أنتصار كبير، وكادت معنويات الجيش أن تنهار من جديد وبدأ العتاد ينضب في المخازن، عند ذلك التجأ النظام -أو صدام حسين بالذات- الى اساليب أخرى غير القتال.

فكر في اتباع الطرق السياسية عله ينجح هذه المرة، وكان أول من استشاره في الموضوع الرئيس اليوغسلافي الراحل جوزيف بروس تيتو، الذي كان سياسياً مجرباً يتميز بالأعتدال واجادته المناورات، نصحه تيتو بمحاولة اقناع الرئيس الجزائري هّواري بومدين لمكانته في الشرق والغرب ولسياساته المعتدلة، وعن طريقه يمكن الوصول الى الامريكان والتصالح مع الشاه وقطع الطرق عن الثورة الكُردية.

عمل صدام حسين بنصيحة تيتو فذهب الى بومدين وابدى استعداده الكامل لتغيير سياسته ومماشاة امريكا والأستدارة نحو المعسكر الغربي بدلاً عن المعسكر الشرقي والتصالح مع شاه ايران والتنازل له عن كل مايطلبه، ويقدر القاريء الكريم مدى براعة الرئيس العراقي صدام حسين -كان حينئذٍ نائباً

للرئيس- في مثل هذه الامور فهو يعقد معك اليوم اتفاقية ويمزقها في اليوم التالي أو يلغيها كأنها لم تكن.

رحّب بومدين بالفكرة وأعجبته كثيراً، لعب دور الوسيط وكسب العراق وجرّه من المعسكر الشرقي الى المعسكر الغربي وبدأ بالتحرك فبعث بوزير خارجيته عبدالعزيز بوتفليقة للأتصال مع وزير الخارجية الايراني الذي كان في ذلك الوقت هو عباس علي خلعتبري على ما أظن وأجرى معه عدة لقاءات وأخيراً نجح في عقد لقاء مباشر بين وزيري خارجيتي ايران والعراق خلعتبري وشاذل طاقة، ثم عقد لقاء آخر حضره طارق عزيز، وكان كل ذلك تمهيداً لعقد لقاء قمة بين شاه أيران وصدام حسين الذي تم في أجتماع القمة لدول الاوپيك الذي عقد في آذار سنة ١٩٧٥ في الجزائر والتي اسفرت فيما بعد عن اتفاقية الجزائر الخيانية المعقودة بين الشاه وصدام حسين في اليوم السادس من شهر آذار سنة ١٩٧٥ وبحضور عّرابي الاتفاقية بومدين وبوتفليقة، وبذلك استكملت الحلقة الاخيرة من سلسلة المؤامرات التي حيكت ضد الثورة الكُردية بهدف القضاء عليها.

لم يتسنى لي أو للقيادة كلها الاطلاع على تلك التفاصيل الا بعد تسربها من وزارة الخارجية الامريكية ونشرها في أحدى المجلات الامريكية (The village)، ورغم اصرارنا على تورط الولايات المتحدة في تلك المؤامرة مباشرة الا ان السلطات الامريكية كانت تصّر على جهلها بالموضوع. ولكن بعد نشر التقرير الذي كان يسمى بتقرير (پايك) في تلك المجلة، فقد تأكد لدينا هذا الشك وان الولايات المتحدة ووزير خارجيتها هنري كيسنجر كان طرفاً مساهماً في تلك المؤامرة، وقد فقد الصحفي الذي نشر تلك المعلومات في المجلة المذكورة عمله في محطة التلفزيون التي كان يعمل بها، سمي ذلك التقرير بتقرير (پايك) لأن الكونگريس الامريكي كان قد أجرى التحقيق حول تصرف وزارة الخارجية الامريكية وقيامها بنشاط سري وعملية الخيانة التي جرت ضد الشعب الكُردي وكان رئيس لجنة التحقيق هو السناتور (پايك) فسمي التقرير بأسمه.

وتبين من ذلك التقرير أن غرض الولايات المتحدة من الدخول في الموضوع كان اجبار العراق على تغيير سياسته فقط وليس دعم الكُرد وقضيته العادلة.

ذكرت سابقاً بأن البارزاني لم يكن يثق بالشاه مطلقاً وبحكم تجاربه الطويلة فقد كان يعرفه حق المعرفة ويعرف وعوده الكاذبة وغروره وعظمته الفارغة، لذا كان دائم الاستعداد لمد يد السلام الى الحكومات العراقية المتعاقبة عندما تعرب عن نيتها في حل القضية الكُردية سلمياً، كان -رحمه الله- يفضّل دائماً حل القضية داخلياً بقدر الامكان، وهذا دليل على وطنية البارزاني واستقلالية قراراته فلم تتمكن الوعود الخارجية من اقناعه أو منعه من عقد اتفاقيات المصالحة وكانت مصلحة الشعب الكُردي والمصلحة الوطنية عنده فوق جميع الاعتبارات الاخرى.

لكل ذلك وعندما يئس البارزاني من نظام البعث وعندما اصبحت توقعاته جميعاً صحيحة في نوايا حزب البعث وعندما عقد النظام معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفياتي وعندما تيقن من أن حزب البعث لابدّ أن يدخل جولة جديدة من القتال بدأ يفكر في اتخاذ الاحتياطات اللازمة لكل طارىء، وكان المنفذ الوحيد للثورة الكُردية هو ايران وأنها الطريقة الوحيدة والجهة الوحيدة لمدها بما تحتاجه الثورة في المراحل القادمة.

ذكرت بأن البارزاني لم يكن يثق بشاه ايران ولم يصدق وعوده، الا ان دخول الولايات المتحدة في الموضوع بعد أن شعرت بخطورة الوضع ومدى أنجراف العراق مع التيار السوفياتي قد غيّر ذلك من الأمر وجعل دور الشاه ثانوياً بالنسبة للكُرد بعد أن طمأنت امريكا قيادة الثورة وبعد أن أصبحت هي الضامنة، لذلك سار الكُرد مع الخطة الجديدة التي اعتبرت من انتصارات السياسة الكُردية، فكانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قطبي التنافس في العالم الذي قسموه الى معسكرين رئيسيين وكان الاتحاد السوفياتي قد التزم الجانب العراقي نهائياً فكان الانضمام الى المعسكر الغربي وكسب ودّ الولايات المتحدة يعتبر نصراً كبيراً.

من خلال الاطلاع على الرسائل المتبادلة بين البارزاني وبين هنري كيسنجر نلاحظ مدى تورط الولايات المتحدة في المؤامرة وخاصةً في الرسالة الاخيرة قبل عقد اتفاقية الجزائر بأيام فنرى فيها بوضوح محاولة كيسنجر فيها كسب الوقت واشغال البارزاني بالكلام المعسول، وظهرت حقيقة سياسته في تقرير (پايك) بأن الغرض كان الضغط على العراق لتغيير سياسته. (رسائل وغيرها

من الوثائق محفوظة لدى السيد مسعود البارزاني في أرشيف خاص).

قبل عودة الشاه من سفره مساء يوم السادس من آذار سنة ١٩٧٥ الى طهران اذيع نص الاتفاقية من اذاعات طهران وبغداد ومقتطفاتها من اذاعة لندن، واستمعنا اليها وتوجست خيفة من مضمونها ولكن زملائي الحاضرون طمأنوني على أنها لاتتجاوز اتفاقيات سابقة معقودة بين الطرفين حول هذا الموضوع، وفي المساء كنا نشاهد في جهاز التلفزيون مراسيم عودة الشاه من سفره، وفور هبوط طائرته ونزوله منها كان رئيس اركان الجيش يسير الى جانبه وكان يهز رأسه دلالة على تلقيه أوامر الشاه الذي كان يملي عليه الاوامر والتعليمات، ولم نكن نسمع ما يدور بينهما من حديث ولكن الصورة كانت توحي باملاء أوامر عسكرية، فقلقت ثانيةً وداهمتني الظنون وقلت علناً لزملائي بأننا نحن المقصودون من هذا الحديث، وفي تلك المرة لم أسمع أي تعليق من زملائي، ولم يقم أي من المسؤولين بزيارتنا في تلك الليلة بخلاف الليالي التي سبقتها، وقبل منتصف الليل عدت الى محل اقامتي في الفندق ودارت في مخيلتي انواع الهواجس والاوهام والافكار المقلقة، واصابني ارق شديد فلم أتمكن من النوم تلك الليلة، وفي الصباح الباكر توجهت عائداً الى محل اقامة البارزاني دون أن أتناول الفطور ولاحظت امارات القلق مرسومة على الوجوه وبعد أن تناولت معهم بعض الفطور جلسنا في الصالون الخاص بأستقبال الضيوف وفجأة حضر الدكتور شفيق قزاز ممثل الثورة الكُردية في طهران وهو يحمل برقية وردت من الاخوين ادريس ومسعود البارزاني وهي موجهة للبارزاني نفسه مفادها بأن كافة اسلحة الاسناد ووسائل الدفاع الارضية والجوية العائدة للحكومة الايرانية قد باشرت بالأنسحاب ليلاً مع اعدادها متخذين اثناء الانسحاب تدابير الحماية والدفاع، ودون سابق انذار ودون تنبيهنا، فأيقننا حينذاك بأن المؤامرة هي حقيقية.

بعد مرور وقت قصير زار البارزاني الجنرال (منصور پور) وهو كُردي ومن أحد معاوني الجنرال نصيري وكان في وقت سابق ملحقاً عسكرياً في سفارة ايران ببغداد، لم يكن منصور پور بالرجل الذي يتمكن من حسم الامور وذو نفوذ يذكر في السافاك بل كان رجلاً طيباً وصديقاً للبارزاني ويبعث به أحياناً في مهمات التبليغ فقط، لذا عندما فاتحناه بموضوع الاتفاقية ووقف

المساعدات عن الثورة الكُردية استغرب ذلك وأكد بأن هذا الامر بعيد الوقوع وقال بالحرف الواحد بأنه يستحيل أن يخون الشاه الثورة الكُردية.

وبعد دقائق قليلة غادر الجنرال منصور پور المبنى لأستطلاع الخبر بنفسه وفي أقل من نصف ساعة عاد متجهم الوجه وقال بأنه نادم عن كل ما قاله لنا قبل قليل وأن الخبر صحيح، وبعد برهة يسيرة طلب من البارزاني الاختلاء به في غرفته ومضى خمس دقائق من الوقت خرج من الغرفة وهو يمسح دموعه علناً وعلامات الأسف والتأثر ظاهرة بوضوح على وجهه وغادر المبنى، وبعد حوالي ربع ساعة رن جهاز الهاتف فرفع السماعة الشخص المسؤول عن ادارة دار الضيافة تلك، وبعد الرد على المتحدث توجه نحوي قائلاً: أنه الجنرال منصور پور على الطرف الاخر من الخط ويود أن يتحدث معي، وعندما كلمته قال بصوت مرتبك أرجو تبليغ جميع الاخوان الموجودين أن ينسوا موضوع اختلائه بالبارزاني وبكائه وعدم ذكر ذلك لأي شخص، ونقلت لزملائي ذلك ساخراً، وهذا دليل على مدى خوف المتعاطفين من اظهار حتى عواطفهم أو أحساسهم وشعورهم.

بعد ذلك حضر الجنرال نصيري نفسه واراد أن يبرر عمل الشاه ولكنه في الحقيقة كان غير راضٍ عن ذلك في قرارة نفسه لأنه كان يعتبر الثورة الكُردية ورقة رابحة في يد ايران ويعتبر مؤسسته (الساڤاك) لها الباع الاطول في العلاقات مع الثورة، وقال أنه بصدد ترتيب لقاء مع الشاه خلال الايام القليلة القادمة ثم غادر المبنى.

بعد التداول مع البارزاني ومناقشة آرائنا استقر الرأي على عودتي الى كُردستان للأطلاع عن كثب على الوضع الجديد ونقل حقيقة التطورات التي حصلت بعد الاتفاقية وجدية الشاه في تنفيذها الى الاخوان في كُردستان على أن أعود بأسرع وقت ممكن الى طهران لنقل حقيقة الموقف هناك الى البارزاني.

توجهت فوراً الى كُردستان بواسطة أحدى السيارات المهيأة لي ووصلتها في اليوم التالي أي في الثامن من شهر آذار سنة ١٩٧٥ ظهراً، وأجتمعت بالأخوان في قيادة الحزب والثورة وكانت آثار القلق بادية على وجوه الجميع، وقد نقلت لهم حقيقة الموقف وتصميم الشاه على السير في طريق تنفيذ الاتفاقية وقراره بقطع جميع أنواع المساعدات والسبل عن الثورة الكُردية،

وكنا قد علمنا فيما بعد أن هنالك بنوداً سرية في الاتفاقية تسمح بموجبها ايران للجيش العراقي بدخول الاراضي الايرانية والالتفاف منها ضد الثورة الكُردية، وفعلاً فقد شوهد بعض الضباط العراقيون في مدينة خانه الحدودية بعد أيام قلائل من توقيع الاتفاقية بصحبة ضباط ايرانيين وهم يتفحصون المنطقة المؤدية الى داخل الحدود العراقية.

اثناء وجودي في كُردستان علمت بأن معارك عنيفة تدور رحاها بين الجيش العراقي وقوات الپيشمه ركه وأن الجيش بدأ هجومه الجديد بعد عقد الاتفاقية بساعات، وكان افراد الپيشمه ركه يدافعون دفاعاً بطولياً قل ما شاهده تأريخ الثورة الكُردية خاصةً بعد أن ذاع خبر تلك الاتفاقية الخيانية، وأن الجيش قد أحرز تقدماً بسيطاً جداً بعد أن تكّبد خسائر فادحة، ولاحظت تصميماً من الجميع بالأستمرار في الدفاع حتى الرمق الاخير.

بعد مضي بضعة ساعات في كُردستان والاطلاع على الوضع ونقل اخبار طهران الى الاخوان قفلت راجعاً الى طهران.

اللقاء مع شاه ايران

بعد عودتي الى طهران وكان ذلك في اليوم التاسع من شهر آذار سنة ١٩٧٥ نقلت تلك الملاحظات عن الوضع الى الزعيم البارزاني الذي طلب مني الانتقال من الفندق والاقامة في المكان المخصص له لنكون جميعاً قرب بعض ونراقب تطور الأمور ونناقشها معاً، وكنا نستلم اخبار كُردستان بواسطة البرقيات الواردة من المقر العام وكانت تفيد بأن معارك حامية تدور في المنطقة بصورة عامة.

في مساء اليوم العاشر من آذار جاء الجنرال نصيري لزيارة البارزاني وقال بأن الشاه سيستقبله صباح اليوم التالي أي في الحادي عشر من آذار، هنا يظهر بوضوح لؤم الشاه وحقده الاسود على الثورة الكُردية بصورة عامة وعلى البارزاني نفسه بصورة خاصة، اذ قام متعمداً بأختيار اليوم الحادي عشر من اذار انتقاماً من الثورة الكُردية لأن ذلك اليوم كان يصادف ذكرى اتفاقية آذار، فلم يكن الشاه مؤمناً بالقضية الكُردية مطلقاً وتأريخه حافل بأعمال الخيانة ضد هذا الشعب وأن عملية القضاء على جمهورية كُردستان في مهاباد واستشهاد رئيسها القاضي محمد ورفاقه ليس بالأمر البعيد، وكان يريد للبارزاني المصير نفسه الا ان ذكاء البارزاني قد جعله ينجو من مؤامرات الشاه، أن أسرة البهلوي قد جاءت للحكم والسيطرة عليه بأسلوب الغدر والخيانة فلا غرابة أن تتبع الأسلوب نفسه في التعامل مع الزعماء الآخرين ومع قضية شعب، لايخفى على الجميع عملية الغدر التي قام بها ازلام رضا شاه (والد الشاه) لأغتيال اسماعيل آغا شكاك (سمكو)، لذا فأن الشاه كان ينتظر الوقت المناسب للأنقضاض على الثورة الكُردية وأن المساعدات التي قدمها كانت لأجل خدمة مصالحه.

أعود الى أصل الموضوع، فقد حضر الجنرال نصيري صباح يوم الحادي عشر من آذار لمرافقة البارزاني ورفاقه، وأعتقد ان ذلك كان في الساعة العاشرة

صباحاً فأستقل البارزاني سيارة نصيري راكباً معه وكانت سيارة أخرى تقل كل من الدكتور محمود عثمان عضو المكتب السياسي والذي كان يرافق البارزاني دوماً في سفراته ويحضر معه الاجتماعات بأعتباره مستشاره، وكذلك صعد معه الدكتور شفيق قزاز الذي كان ممثلاً للثورة الكُردية في طهران، اما انا فلم يكن في نيتي الذهاب معهم لأنه لم يسبق لي أن حضرت أي لقاء مع الشاه، بل خرجت من المبنى لأودعهم وعند ذاك وجه الجنرال نصيري الكلام لي طالباً أن أذهب معهم فيما اذا اردت الاشتراك في الاجتماع فنظرت الى البارزاني الذي اشار لي بالصعود ومرافقتهم.

ذهبنا الى قصر نياوران مقر اقامة الشاه ودخلنا صالة خاصة يستعملها لأستقبال الضيوف فأخذنا مقاعدنا ومعنا الجنرال نصيري وبعد وقت قصير دخل الشاه بعنجهيته المعهودة وسلّم على الحاضرين وتبادل التحية ثم شرع بالكلام قائلاً أنه قد عقد هذه الاتفاقية لأن اصدقائه أخذوا يلومونه بأنه اذا اوقف مساعداته فسوف يغير العراق سياسته وقال بأنه قد قرر نهائياً السير في هذا الطريق وأن امامنا خيارات ثلاث وهي العودة الى العراق الذي اصدر عفواً عاماً عن الجميع بناءً على طلبه –حسبما قال– اولاً، او اللجوء الى ايران ثانياً، أو الاستمرار في القتال دون توقع أية مساعدة من أيران بل ستغلق الحدود كافة بوجهنا في نهاية شهر آذار، ثالثاً وعند ذلك بدأ البارزاني بالكلام وقال بأنه قد أرسلني الى المنطقة قبل يومين وان الجميع مصرّون على الاستمرار في القتال، وقال الدكتور محمود بماذا نجيب شعبنا وماذا يقولون لنا؟ عند ذلك قال الشاه غاضباً: سيقولون بأن قادتنا قد اضاعوا حقوقنا بالكلام الكثير، وسألته انا فيما اذا كان سيسمح للاجئين الموجودين والعوائل بالبقاء في ايران فيما اذا استمر القتال؟ فأجاب بالأيجاب.

وقال البارزاني بأننا وضعنا ايدينا في ايديكم بصدق من أجل الصداقة لا لكي تُقطع ايادينا، وهنا نهض الشاه دليلاً على انتهاء اللقاء، وقبل المغادرة قلت له بأنني أعرف جيداً سياسة النظام العراقي وقد كنت سفيراً وأعلم حقيقة نواياهم تجاه خوزستان وغيرها، فأجاب بغرور وكبرياء انني أعلم كل ذلك ولكننا أقوياء لا نهاب أحداً وأني (سأمتحنهم) لمعرفة مدى صدقهم، ثم ودعنا وأنتهت المقابلة التي استغرقت نصف ساعة فقط.

عدنا الى مقر اقامتنا وباشرنا بالتهيؤ للسفر وبعد تناول الغداء تركنا طهران عائدين الى كُردستان ودون توقف فوصلناها صباح اليوم التالي.

وفي الطريق كنت استقل أحدى السيارات المهيأة لنا وكان سائقها يدعى (رجبي) وكان كثير التردد على كُردستان لقضاء الاشغال الرسمية، فقال ممتعضاً من الاتفاق مع النظام العراقي، أعتقد بأن الشاه قد سحر (أصابه السحر) والا كيف يصدق بهذا النظام وكيف يتخلى عن الثورة الكُردية بهذه السهولة.

الايام الاخيرة في كُردستان

بعد وصولنا كُردستان اجتمعت القيادة فوراً بحضور البارزاني وبعد التداول ومناقشة الموقف استقر الرأي على الاستمرار في القتال وتم عقد اجتماع آخر موسع حضره القادة العسكريون المتواجدون في المنطقة والشخصيات السياسية وبعض الكوادر المتقدمة وكل من أبراهيم احمد وعلي العسكري-المنشقون العائدون- وغيرهم. وهناك تقرر أن يتم تقسيم مناطق الثورة الى عدة قواطع ولكل منها قيادة ميدانية خاصة، وتقرر تخفيف اعباء الثورة وتقليص عدد افراد الپيشكه ركه في قواتها ومنح الخيار لكل فرد فيما اذا كان يريد أن يشمله العفو فيعود للعراق أو أن يدخل ايران كلاجيء أو أن يستمر في البقاء في مناطق الثورة وادامة القتال، وللحقيقة والتأريخ فأن عدداً قليلاً قد أختار الطريقين الاول والثاني اما الاكثرية فقد أختارت البقاء والاستمرار في القتال والمقاومة.

توجهت القيادات المشكلة حديثاً الى مناطقها بعد أن زودت باللوازم المتيسرة وباشرت بأعمالها، وكان البارزاني رغم كبر سنه واعتلال صحته قد أصرّ على البقاء في منطقة القيادة العامة وكان مستعداً للتحرك حسب الظروف التي استجّدت، وهكذا مرت الايام الاخيرة بقلق ونشاط دؤوب في نفس الوقت، وقامت قيادات المناطق بالمباشرة بتكديس اللوازم والاحتياجات بصورة سريعة وعاجلة وبتحديد أماكن تواجد الپيشمه ركه ونقاط الدفاع وغيرها من الأمور.

كان اعلان العفو الحكومي لازال مستمراً وكان أمده نهاية شهر آذار من تلك السنة، وبدأ افراد قلائل من الاستفادة من ذلك العفو فقد قام بعض المسنين والمتعبين من التسليم لقوات الحكومة ومعظمهم كانوا من الذين التحقوا بالثورة الكُردية حديثاً أي في سنة ١٩٧٤، وفي الحقيقة كانت القيادة هي التي تريد من أمثال هؤلاء الاستفادة من مهلة العفو الصادر وذلك لتخفيف

أعباء الثورة.

وبعد أقل من اسبوع على صدور تلك القرارات فوجئنا بأحد مبعوثي الشاه يصل منطقة قيادة الثورة ولم أقابله شخصياً ولكنني علمت فيما بعد بأنه كان الجنرال منصور پور الذي أجتمع بالبارزاني وبعض أعضاء القيادة الذين كانوا برفقته وابلغهم قرار الشاه الاخير بأنه قد اتفق نهائياً مع صدام حسين وأن الاخير قد تنازل له عن سيادة العراق على مياه شط العرب الذي كان سابقاً للعراق الى شاطئه الشرقي وكذلك عن الاراضي الحدودية التي كانت موضع النزاع مع الجانب الأيراني، وفي مقابل ذلك يتعهد الشاه بقطع جميع المساعدات عن الثورة الكُردية، واضاف منصور پور قائلاً أن هناك بنود سرية في الاتفاقية تنص أحداها على السماح للقوات العراقية بدخول الاراضي الايرانية لمحاربة الثورة الكُردية من الجانب الايراني وستشترك القوات الايرانية في هذه العمليات ايضاً فيما اذا اقتضت الحاجة ذلك.

هنا أدرك البارزاني الراحل حجم المؤامرة الدولية وضخامتها التي حيكت للقضاء على الثورة الكُردية، وضد هذا الشعب المظلوم، وبعد أن غادر مبعوث الشاه، أجتمع البارزاني مع كبار القادة السياسيين والعسكريين وجرى نقاش طويل حول الاوضاع المستجدة والخطر الكبير الذي ينتظر الشعب الكُردي وثورته.

كان البارزاني -رحمه الله- رجلاً موهوباً وقائداً عسكرياً كبيراً ذا تجارب عملية طيلة سنوات حياته وكان رجلاً شجاعاً تعرض للمخاطر مرات عديدة وحارب جيوش دول اقليمية مختلفة تمكن بحنكته ودهائه من التغلب عليها جميعاً ورغم الفارق الكبير جداً في العَدد والعُدد، وقد أجتمعت ضده مرات عديدة تلك الجيوش الاقليمية تساندها القوات الجوية الملكية البريطانية ولكنه تمكن من الخلاص منها ببراعة.

كل تلك الصفات وذلك الماضي المليء بالملاحم والانتصارات بالأضافة الى صفاته الشخصية الاخرى من الحكمة والتواضع والعدالة جعلت منه واحداً من أشهر القادة في عصره معروفاً على الصعيد العالمي وأحرز بذلك سمعة كبيرة قلّما يتمكن الانسان من الحصول عليه، وكان حريصاً على مصلحة شعبه ومتفانياً في سبيله وجعل كل تلك الصفات والكفاءات في خدمته.

كان البارزاني بين خيارين صعبين للغاية أولهما التضحية بشعبه وثورته وتعريض الشعب الكُردي ومستقبله للهلاك والدمار وكان هذا امراً غير ممكناً لشخص قد نذر حياته لخدمة هذا الشعب، وكان الخيار الثاني هو قراره بأنقاذ شعبه من محنته ومن المخاطر التي تهدده في هذه الحالة لم يرَ بُدّاً من الخروج من ذلك المأزق سوى وقف القتال لفترة من الوقت وأنتظار الفرصة المناسبة للتغلب على تلك المشاكل والعمل من جديد في ظروف أفضل. كان ذلك الخيار بالرغم ممّا فيه من الحكمة وبعد النظر والواقعية الا انها كانت تقتضي تضحيات شخصية كبيرة، فكان البارزاني رجلاً مسناً وعلائم المرض بادية عليه فكان بذلك العمل يعرض أسمه وسمعته ومكانته الدولية للخطر ولكنه رغم علمه بكل ذلك، فقد آثر ذلك الطريق وفضل انقاذ شعبه من خطر محدق على حساب سمعته الشخصية.

لكل تلك الاسباب، رأي البارزاني في ايقاف المقاومة لفترة ما الطريق الافضل لأنقاذ الشعب الكُردي من خطر الابادة، وبعد مناقشة كافة أوجه الحالة الصعبة مع القادة العسكريين والشخصيات الحزبية والسياسية استقر الرأي على ذلك، فكان القرار رغم ظهور صوابه فيما بعد كجرعة سمّ جرعها الجميع في ذلك الوقت ونزل كالصاعقة على رؤوس من كانوا بعيدين عن حقيقة الأمور، أعتقد أن ذلك كان في النصف الاخير من شهر آذار.

كان قراراً يصعب تبليغه وكذلك كان يصعب هضمه ومع ذلك تلقاه الناس بحزن وأسى بالغين قابلين بذلك الواقع المّر، بدأت مؤسساتنا بتصفية وثائقها واتلاف القسم الأعظم منها كما وأخذت القيادة وبصورة سرية جداً من اخفاء بعض الاسلحة في مناطق لايشك أحد بوجودها، وعينت بعض المفارز الحزبية الصغيرة للتوزيع في جميع أنحاء كُردستان، وأخذت أجهزة الاذاعة تذيع برامجها حتى الحادي والعشرين من آذار الذي صادف عيد نوروز القومي واحتفلت بهذه المناسبة للمرة الاخيرة ثم جرى تفجيرها، فكان علينا اما تركها في مكانها أو تسليمها الى السلطات العراقية سالمة أو نقلها وتسليمها الى سلطات الشاه في ايران لذا كان خيار التفجير من أفضل الطرق، وكذلك كان الحال لبعض الاسلحة الثقيلة.

بدأت سيول الپيشمه رگه تتوجه الى الحدود الايرانية وتسلم اسلحتها الى

السلطات الايرانية أو تتلفها قبل دخول ايران ومن هناك في مدينة پيرانشهر الحدودية أو مدينة نقده يتم نقلهم بواسطة شاحنات عسكرية الى مخيمات اللاجئين، كلفني الاخ مسعود البارزاني بالذهاب الى داخل ايران للأشراف على نقل هؤلاء، وبعد يومين عدت الى حاج عمران حيث كان البارزاني وبقية القيادة، وبعد ذلك مباشرةً تلقينا خبر وصول قادة وإفراد الپيشمه ركه المتواجدون في منطقة الفرع الاول للحزب أي منطقة بهدينان في محافظة دهوك يتقدمهم البطل المرحوم أسعد خوشوي، كذلك العوائل البارزانية المنتشرة في مناطق عشائر بارزان وكان قد مقدمتهم الشيخ محمد خالد النجل الاكبر للزعيم الروحي الراحل الشيخ أحمد البارزاني، وكان وصول هؤلاء عن طريق الحدود القريبة من مدينة اشنوية، فذهبنا ادريس البارزاني وانا وتمكننا من اقناع السلطات الايرانية بتخصيص طائرتين مروحيتين لعبور الحدود ونقل العوائل والمسنين والاطفال، اذ كان الجو بارداً والثلوج تكسو الجبال وتسد الممرات الجبلية، واستغرقت عملية نقلهم يومين، وقد أفاد اولئك اللاجئون بأن الحاج محمد الشيخ رشيد لولان قد قام بتقديم كافة التسهيلات الممكنة ووسائل النقل المتيسرة في تلك المنطقة ومناطق عشيرة برادوست الى الحدود الايرانية، ولاشك بأنه يشكر على ذلك الموقف الشريف.

وقبل ذلك بعدة ايام كانت القيادة قد تلقت برقية موجهة الى الشهيد صالح اليوسفي من قيادة الوحدات العسكرية المرابطة في رواندوز للحضور، وقد بعثني البارزاني الى مدينة نقده الايرانية حيث كان متواجداً مع عائلته لتبليغه مضمونها بالرغم من تحفظه على ذلك، وقال بأن على صالح اليوسفي ان يقابلني قبل الذهاب ولما بلغت اليوسفي بمضمون البرقية أسرع ذاهباً وكان في أعتقاده بأنه يمكن ان يلعب دوراً ايجابياً عند السلطة ولما مّر على البارزاني نصحه بعدم الاعتماد على وعود السلطة الا انه أصرّ على الذهاب ضاناً أنه يمكن أن يكون عامل خير ووسيط، ولكن صدق حدس البارزاني وغدرت السلطة باليوسفي الذي استشهد على ايدي ازلامها فيما بعد.

عدت بعد ذلك الى حاج عمران وكان ذلك صباح يوم ١٩٧٥/٣/٢٥، اما ادريس فقد بقي لتأمين أماكن لأسكان اولئك اللاجئين. كان الوقت حوالي الظهر وكان هنالك عدد قليل من عناصر قيادة الحزب متواجدين الى جانب

البارزاني، وعند حلول موعد الصلاة أخذ البارزاني يؤدي فريضة صلاة الظهر، واثناء ذلك كنت أنا والأخ مسعود البارزاني والدكتور محمود عثمان وآخرين أعتقد كان من بينهم سامي عبدالرحمن ودارا توفيق ننتظر هناك ونستمع الى الاخبار العالمية من أحدى محطات الاذاعة، وفجأة أذيع نبأ اغتيال المرحوم الملك فيصل بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية على يد أحد المنتمين الى الاسرة الملكية السعودية، وقمت بنقل ذلك الخبر للبارزاني بعد أن انتهى من اداء فريضة الصلاة فأبدى أسفه لذلك ولم يعلق كثيراً، بعد ذلك بوقت قصير طلبنا من الزعيم الراحل البارزاني أنه من الافضل مغادرة المنطقة ودخول الاراضي الايرانية، فغادر في حوالي الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم الخامس والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٧٥ أرض كُردستان العراق للمرة الأخيرة تتبعه القلوب الحزينة للمخلصين، أما نحن فقد بقينا يومين آخرين لتصفية بعض الأمور الاخرى وغادرنا جميعاً في ١٩٧٥/٣/٢٧ وقلوبنا ملأى بالأسى والحزن العميقين.

الهوامش

(١) كان الأول عضواً في لجنة المراقبة والتفتيش والثاني عضواً لمكتب الفرع الخامس للحزب في بغداد، وقد انتخب حبيب محمد كريم سكرتيراً للحزب في المؤتمر السادس.

(٢) تأسس هذا القسم بعد المؤتمر السادس وقد وزعت أعمال الثورة الى أقسام ومكاتب وكان يدير كل قسم أو مكتب أحد أعضاء المكتب السياسي أو التنفيذي.

(٣) اسماعيل الدامرچي هو شقيق التاجرين المعروفين محمد وعبدالحميد الدامرچي وكان أحد مدراء شركة بغداد لتجارة السيارات والتي كانت الوكيل العام لشركة فورد الامريكية التي كنت وكيلاً لها في كُردستان. وكان المرحوم اسماعيل الدامرچي من اصدقائي، وقد قتل اثناء الحرب الاهلية في لبنان سنة ١٩٧٥ اذ اصابته رصاصة طائشة، اما عدنان الدبوني فكان زميل دراستي في كلية الحقوق وكنت على علاقة صداقة معه ومع جميع افراد عائلته حيث كانت والدته كردية من منطقة (گلاله)، وكان يعمل في السلك الخارجي واعتقلته سلطات البعث ومات تحت التعذيب، رحمهم الله.

(٤) هيران هي مركز ناحية خوشناو تقع شرقي شقلاوه على بعد عشرين كيلومتراً، وهي قرية جميلة جداً ببساتينها واشجارها الباسقة وينابيع المياه العذبة ويسكنها شيوخ أسرة (كاكي هيران) المشهورة.

(٥) العقيد الشيخ رضا گولاني متقاعد الآن ويسكن مدينة أربيل.

(٦) علمت أنه توفي وهو لاجيء في كندا أوائل سنة ٢٠٠٢، رحمه الله.

(٧) لا أرى داعياً لذكر نوع المهمة أو الشخص المقصود كونها كانت مهمة شخصية وخاصة.

(٨) هو حفيد الشهيد الشيخ عبدالسلام البارزاني الشقيق الأكبر للملا مصطفى البارزاني والذي اعدمته السلطات العثمانية سنة ١٩١٤، وقد القي القبض على عبدالباري وأخوته وأقاربه والآلاف من البارزانيين سنة ١٩٨٣ ومازال مصيرهم مجهولاً.

(٩) كتاب تأريخ الحزب الديمقراطي الكُردستاني-العراق (في محطات رئيسية) ١٩٤٦-١٩٩٣- صفحة ١٠٨.

(١٠) قرأت ذلك في المجلة الشهرية التي كانت تصدرها شركة نفط العراق في مركزها بلندن سنة ١٩٧١ وليست مجلة (أهل النفط) التي كانت تصدر من قبلها في بغداد، باللغة العربية.

(١١) العميد رؤوف احمد قادر واللواء مجيد علي كانا من كبار الضباط الكُرد وكانا مع غيرهما من مؤيدي الثورة الكُردية وقيادتها ومن الاصدقاء الشخصيين للزعيم الراحل مصطفى البارزاني.

(١٢) عاد بعد اسابيع تاركاً صفوف الثورة نظراً لمشاكله العائلية الخاصة بعد الاستئذان من قيادة الثورة.

(١٣) محمد أمين فرج من أهالي السليمانية وضابط سابق في الجيش برتبة رئيس (نقيب) التحق بالثورة مبكراً ثم لجأ الى ايران مع المنشقين سنة ١٩٦٤ وعاد الى صفوف الثورة معهم ثم التحق بالنظام مع المنشقين سنة ١٩٦٦.

(١٤) اللواء عبدالرحمن القاضي من الضباط الكُرد وكان برتبة عقيد عندما القي القبض عليه بعد انقلاب شباط ١٩٦٣ وبعد اطلاق سراحه سنة ١٩٦٤ التحق بالثورة الكُردية، بعد اتفاقية آذار أعيد الى الجيش برتبة لواء ثم عين سفيراً في وزارة الخارجية، وقد انتدب الى السفارة العراقية في جاكارتا عاصمة اندنوسيا. وفي سنة ١٩٧٣ احيل ثانيةً

الى التقاعد، اغتيل من قبل عملاء النظام العراقي سنة ١٩٧٩ في أيران رحمه الله.

(١٥) أحد الضباط الكُرد المتقاعدين ومن اقارب الزعيم الكُردي الراحل الشيخ محمود الحفيد.

(١٦) طه الداود نقل الى بغداد قبل مغادرتي براغ وقد التقيت به في لندن سنة ١٩٧٧ وهو سفير للعراق فيها، وقد حملته رسالة شفوية الى نائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين بعد الحصول على موافقة البارزاني طالباً اعادة النظر في السياسة تجاه القضية الكُردية وحلها سلمياً دون فسح المجال أمام التدخلات الاجنبية، الا انني لم أحصل على أي جواب لذلك.

(١٧) المار شمعون هو بطريارك الآشوريين والزعيم الروحي والديني لهم، غادر كُردستان العراق في منتصف الثلاثينات أثر الحملة العسكرية العراقية ضدهم، أستقر في كندا، ثم دعي من قبل الحكومة العراقية وصدر قرار بالعفو عنه لكسب ود الآشوريين ولكن دون جدوى.

(١٨) أحد الزعماء السياسيين والقبليين للآشوريين.

(١٩) كان هؤلاء المختصون أعضاء في المجلس التخطيطي في وزارة التخطيط، وكل واحد منهم مختص في شؤون أحدى هذه الوزارات المشتركة في (المجلس الاعلى للتخطيط) ويحضرون اجتماعاته.

(٢٠) د.شفيق قزاز هو شفيق توفيق قزاز من عائلة قزاز الشهيرة في السليمانية وابن عم المرحوم سعيد قزاز آخر وزير داخلية في العهد الملكي، يتولى الآن منصب وزير المساعدات الانسانية في حكومة اقليم كُردستان.

(٢١) صورة الرسالة في مكان آخر من هذا الكتاب.

(٢٢) ذلك الصديق هو المرحوم عصمت كتاني الدبلوماسي الكُردي العراقي الشهير الذي ولد في مدينة العمادية (آميدي) الكُردية سنة ١٩٢٩ من

عائلة وطنية قومية شهيرة، فهو نجل المرحوم الحاج طه الكتاني الذي اشترك في ثورة بارزان سنة ١٩٤٥ وثم في الدفاع عن جمهورية كُردستان في مهاباد مع الزعيم الراحل مصطفى البارزاني. وأن عمه هو الشهيد البطل عزت عبدالعزيز الضابط في الجيش العراقي والذي التحق بثورة بارزان سنة ١٩٤٥ ثم جمهورية مهاباد وقد استشهد بأعدامه مع رفاقه الضباط الآخرين في ١٩ حزيران سنة ١٩٤٧ من قبل النظام الملكي العراقي، كان عصمت كتاني من أشهر الدبلوماسيين في الأمم المتحدة وبالرغم من أنه كان يعمل كموظف في الحكومة العراقية، لكنه كان يتميز بطابع قومي دون أظهار أي نشاط ملحوظ أو علني، ولولا جدارته وكفاءاته الدبلوماسية لأحالته الحكومة العراقية على التقاعد منذ زمن طويل.

(٢٣) توفي الدكتور خالد دزه يي في مدينة أربيل سنة ٢٠٠١، رحمه الله.

الملاحق

نص بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٩

(أن هذه الحكومة رغبة منها في وضع حّد للوضع غير الطبيعي في انحاء من شمال الوطن، وسيراً وراء ما جاء في الفقرة الرابعة من كتاب التكليف عن تشكيل الوزارة في الحفاظ على وحدة التراب العراقية وتحقيق الوحدة الوطنية وتأكيداً للروابط الوثيقة القائمة فعلاً بين العرب والاكراد والتي تدعوهما للعمل الحثيث المخلص لخير وطنهما المشترك تعلن المنهاج التالي وتؤكد عزمها القاطع على الألتزام به وتطبيقه نصاً وروحاً بأسرع وقت مستطاع.

أولاً: لقد اعترفت الحكومة بالقومية الكُردية بشكل قاطع في الدستور المؤقت عند تعديله وهي مستعدة لتأكيد هذا المعنى وزيادته جلاءً في الدستور الدائم بحيث يصبح من الواضح اقرار القومية الكُردية وحقوق الاكراد القومية ضمن الوطن العراقي الواحد الذي يضم قوميتين رئيسيتين هما العرب والاكراد وبحيث يتمتع العرب والاكراد بحقوق وواجبات متساوية.

ثانياً: والحكومة على استعداد لأعطاء هذه الحقيقة الكلية وجودها الفعلي في قانون المحافظات -الذي هو في طريقه الى التشريع- على أساس من اللامركزية بأن يكون لكل لواء ولكل قضاء ولكل ناحية شخصية معنوية معترف بها، ولكل من هذه الوحدات الادارية مجالسها المنتخبة وسلطاتها الواسعة في الشؤون الخاصة بها بما في ذلك أمور التربية والتعليم والصحة وكل ما له صلة بالشؤون المحلية والبلدية حسبما فصّله القانون المذكور.

كما ان القانون المذكور يمكن من اجراء التعديل في حدود الوحدات الادارية

كما ويمكن من انشاء وحدات ادارية جديدة عند الضرورة ومقتضيات المصلحة العامة.

ثالثاً: وطبيعي ان الحكومة تعترف باللغة الكُردية لغة رسمية مع اللغة العربية في المناطق التي تكون غالبية سكانها اكراداً، وتكون لغة التعليم -مع العربية- في الحدود التي يقرّها القانون وتحددها المجالس المحلية.

رابعاً: ان هذه الحكومة عازمة على اجراء الانتخابات النيابية في الحدود الزمنية التي نص عليها الدستور المؤقت وحددها المنهاج الوزاري بشكل صريح. وسيمثل الاكراد في المجلس الوطني القادم بالعدد الذي يتناسب مع مجموع السكان الكلي، وبالطريقة التي يفصلها قانون الانتخابات.

خامساً: وطبيعي ان يشارك الاكراد أخوانهم العرب في كافة الوظائف العامة بنسبة سكانهم بما في ذلك الوزارات والوظائف الادارية العامة والقضائية والدبلوماسية والعسكرية دون الاخلال بمبدأ الكفاءة.

سادساً: وسيكون هناك عدد من طلاب البعثات والزمالات والمنح الدراسية في مختلف الفروع وعلى شتى المستويات من الاكراد يرسلون للتخصص خارج البلاد دون الاخلال الكلي بالكفاءة وحاجة القطر. كما ستزيد جامعة بغداد من اهتمامها بدراسة اللغة الكُردية وآدابها وتراثها الفكري والحضاري وتسعى الجامعة لفتح فرع لها في الشمال عند توافر الامكانات.

سابعاً: وسيصبح من طبيعة الاشياء أن يكون -الموظفون المحليون- في الألوية والاقضية والنواحي الكُردية من الاكراد ما توفر العدد المطلوب ولن يصار الى غيرهم الا بمقدار ما تقتضيه مصلحة تلك المناطق ذاتها.

ثامناً: سيرافق الحياة النيابية انشاء بعض التنظيمات السياسية وتمكين الصحافة من التعبير عن رغبات الشعب وستسمح الحكومة للأكراد بذلك في الحدود التي يرسمها القانون وستكون الصحافة السياسية والادبية في المناطق الكُردية باللغة الكُردية أو باللغة العربية أو بهما معاً حسب طلب ذوي العلاقة.

تاسعاً:

أ- عندما تنتهي اعمال العنف يصدر العفو العام عن كافة الذين ساهموا في أعمال العنف في الشمال أو كانت لهم صلة بها بما فيهم جميع من صدرت بحقهم أحكام بسبب الاعمال المذكورة أو لصلتهم بها أو احتجزت حرياتهم.

ب- يعود جميع الموظفين والمستخدمين من الاكراد الى وظائفهم السابقة كما ويؤمن الملاك اللازم ويلاحظ انصافهم.

ج- تسعى الحكومة لأعادة جميع العمال الاكراد المفصولين الى أعمالهم السابقة بكل طاقاتها.

عاشراً: على منتسبي القوات المسلحة البدء بالعودة الى وحداتهم فور صدور هذا البيان على أن يتم ذلك كله خلال مدة اقصاها -شهران- وسيعامل العائدون بالرفع ويصدر العفو عنهم.

أ- فمن كان منتسباً الى الجيش عليه أن يعود الى الجيش بسلاحه.

ب- من كان منتسباً الى الشرطة عليه أن يعود الى الشرطة بسلاحه.

ج- أما الآخرون ممن حملوا السلاح فيعتبرون هيئة تابعة الى الحكومة التي عليها أن تعمل على عودتهم الى الحياة الطبيعية والى أن يتم ذلك فالحكومة مسؤولة عن اعاشتهم، وعلى كل من يتم تحوله منهم الى الحياة الطبيعية اعطاء كافة معداتهم واسلحتهم وأعتدتهم وتجهيزاتهم الى الحكومة ويجري ذلك كله حسب خطة مدروسة من جميع ذوي العلاقة.

د- وطبيعي أن يعود الفرسان الى أماكنهم بعد احلال الأمن ويجري استعادة الاسلحة منهم حسب خطة مدروسة.

أحد عشر: وغني عن القول، أن الأموال التي تبذل اليوم في مقاومة العنف وكذلك الأموال التي تصرف فيها لاطائل تحته ستصرف في أعمار الشمال وستؤلف هيئة خاصة لأعمال المنطقة الكُردية من العراق تخصص لها المبالغ اللازمة المناسبة من الخطة الاقتصادية للقيام بالتعمير والنهوض بالمشاريع الانمائية في المنطقة وترتبط بوزير مسؤول يناط بوزارته ادارة مصايف

الشمال وشؤون الغابات والتبوغ في الشمال. كما يشرف على تنسيق الشؤون الخاصة بالوحدات الادارية التي تكون غالبية سكانها من الاكراد مما هو من صميم القومية الكُردية كالعناية بالثقافة الكُردية ومناهج التعليم باللغة الكُردية. وستحاول الحكومة بكل طاقاتها تعويض كل المتضررين تعويضاً عادلاً يمكنهم من العودة الى حياة منتجة نافعة للأسهام في النهوض في اقتصاديات البلاد وازدهارها والعيش بأمن وسلام.

كما وأن الحكومة لأعتبارات وطنية وانسانية ستعنى بكل الأرامل واليتامى وذوي العاهات الذين كانوا من ضحايا أعمال العنف في شمال الوطن، وستنشأ بالتعاون مع الهيئات المختصة الملاجيء ومعاهد التأهيل اللازمة بأسرع وقت مستطاع.

ثاني عشر: تسعى الحكومة في توطين كل الافراد والجماعات الذين نزحوا وهجروا من مناطقهم وسيكون الاصل في هذا العودة الى الوضع الطبيعي القديم، مع العلم بأن ما سيكون لازماً للدولة السيطرة عليه فيما بعد للمنفعة العامة يجب أن يقترن حسب احكام القانون بتعويض سريع عادل.

بنود إتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠

جاء في اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ مايلي:

ان مجلس قيادة الثورة أجرى اتصالات بينه وبين قيادة السيد مصطفى البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكُردستاني وتم تبادل وجهات النظر وأقتنع الجميع بضرورة قبول محتويات هذا البيان وتنفيذها. وهو يؤكد الاجراءات الفعالة لأستكمال اسباب النهوض الثقافي والاقتصادي والتطور العام في ممارسة حقوقها المشروعة واشراكها عملياً في المساهمة الجادة في بناء الوطن والكفاح من أجل اهدافه القومية الكبرى لذا قرر مجلس قيادة الثورة:

١- تكون اللغة الكُردية لغة رسمية مع اللغة العربية في المناطق التي غالبية سكانه من الاكراد وتكون اللغة الكُردية لغة التعليم في هذه المناطق وتدرس اللغة العربية في كافة المدارس التي تدرس باللغة الكُردية. كما تدرس اللغة الكُردية في بقية أنحاء العراق كلغة ثانية في الحدود التي يرسمها القانون.

٢- ان مشاركة اخواننا الاكراد في الحكم وعدم التمييز بين الكُرد وغيرهم في تقلد الوظائف العامة بما فيها المناصب الحساسة والهامة في الدولة كالوزارات وقيادات الجيش وغيرها.. كانت ومازالت من الأمور الهامة التي تهدف حكومة الثورة الى تحقيقها فهي في الوقت الذي تقر هذا المبدأ تؤكد ضرورة العمل من أجل تحقيقه بنسبة عادلة مع مراعاة مبدأ الكفاءة ونسبة السكان وما أصاب أخواننا الكُرد من حرمان في الماضي.

٣- نظراً للتخلف الذي لحق بالقومية الكُردية في الماضي من الناحيتين الثقافية والتربوية توضع خطة لمعالجة هذا التخلف عن طريق:

أ- الاسراع بتنفيذ قرارات مجلس قيادة الثورة حول اللغة والحقوق الثقافية

للشعب الكُردي وربط اعداد وتوجيه المناهج الخاصة بالشؤون القومية الكُردية في الاذاعة والتلفزيون بالمديرية العامة للثقافة والاعلام الكُردية.

ب- اعادة الطلبة الذين فصلوا أو أضطروا الى ترك الدراسة بسبب ظروف العنف في المنطقة الى مدارسهم بغض النظر عن أعمارهم.

ج- الاكثار من فتح المدارس في المنطقة الكُردية ورفع مستويات التربية والتعليم وقبول الطلبة الاكراد في الجامعات والكليات العسكرية والبعثات والزمالات الدراسية بنسبة عادلة.

٤- يكون الموظفون في الوحدات الادارية التي تسكنها كثرة كُردية.. من الاكراد.. أو ممن يحسنون اللغة الكُردية ما توفر العدد المطلوب منهم يوتم تعيين المسؤولين الاساسيين -محافظ- قائممقام- مدير الشرطة- مدير أمن- وما شابه ذلك- ويباشر فوراً بتطوير أجهزة الدولة في المنطقة بالتشاور ضمن اللجنة العليا المشرفة على تنفيذ هذا البيان بما يضمن تنفيذه ويعزز الوحدة الوطنية والاستقرار في المنطقة.

منظمات للطلبة والشبيبة:

٥- تقرّ الحكومة حق الشعب الكُردي في اقامة منظمات طلبة وشبيبة ونساء ومعلمين خاصة به وتكون هذه المنظمات أعضاء في المنظمات الوطنية العراقية المتشابهة.

٦- (أ) يمدد العمل بالفقرتين -١- و-٢- من قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٥٩ والمؤرخ في ١٩٦٨/٨/٥ حتى تأريخ صدور هذا البيان. ويشمل ذلك كافة الذين ساهموا في أعمال العنف في المنطقة الكُردية.

(ب) يعود العمال والموظفون والمستخدمون من المدنيين والعسكريين الى الخدمة ويتم ذلك دون التقيد بالملاك ويستفاد من المدنيين في المنطقة الكُردية ضمن احتياجاتها.

٧- (أ) تشكيل هيئة من ذوي الاختصاص للنهوض بالمنطقة الكُردية من جميع الوجوه بأقصى سرعة ممكنة وتعويضها عما اصابها في السنوات

الأخيرة وتخصيص ميزانية كافية لتنفيذ ذلك وتكون هذه الهيئة تابعة لوزارة شؤون الشمال.

الفقرة (ب) اعداد الخطة الاقتصادية بشكل يؤمن التكافؤ لأنحاء العراق المختلفة مع مراعاة ظروف التخلف في المنطقة الكُردية.

الفقرة (ج) تخصيص رواتب تقاعدية لعوائل الذين استشهدوا في ظروف الاقتتال المؤسفة من رجال الحركة الكُردية المسلحة وغيرهم وللعجزة والمشوهين بسبب تلك الظروف وفق تشريع خاص على غرار القوانين المرعية.

الفقرة (د) العمل السريع لأغاثة المتضررين والمعوزين عن طريق انجاز مشاريع سكنية وغيرها تؤمن العمل للعاطلين وتقديم معونات عينية ونقدية مناسبة وأعطاء تعويض معقول للمتضررين الذين يحتاجون المساعدة ويناط ذلك باللجنة العليا ويستثنى من ذلك من شملتهم الفقرات السابقة.

٨- اعادة سكان القرى العربية والكُردية الى اماكنهم السابقة اما سكان القرى الواقعة في المناطق التي يتعذر اتخاذها مناطق سكنية وتستملكها الحكومة لأغراض النفع العام وفق القانون فسيجري اسكانهم في مناطق مجاورة ويجري تعويضهم عن ما لحقهم من ضرر بسبب ذلك.

٩- الاسراع بتطبيق قانون الاصلاح الزراعي في المنطقة الكُردية وتعديله بشكل يضمن تصفية العلاقات الاقطاعية وحصول جميع الفلاحين على قطع مناسبة من الارض وأعفاؤهم من الضرائب الزراعية المتراكمة عليهم خلال سنين القتال المؤسفة.

في الدستور المؤقت:

١٠- جرى الاتفاق على تعديل الدستور المؤقت كما يلي:

أ- يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والقومية الكُردية ويقرّ هذا الدستور حقوق الشعب الكُردي القومية وحقوق الاقليات كافة ضمن الوحدة العراقية.

ب- اضافة الفقرة التالية الى المادة الرابعة من الدستور تكون اللغة الكُردية لغة رسمية الى جانب اللغة العربية في المنطقة الكُردية.

ج- تثبيت ما تقدم في الدستور الدائم.

١١- اعادة الاذاعة والاسلحة الثقيلة الى الحكومة ويكون ذلك مرتبطاً بتنفيذ المراحل النهائية من الاتفاق.

١٢- يكون أحد نواب رئيس الجمهورية كُردياً.

تعديل قانون المحافظات:

١٣- يجري تعديل قانون المحافظات بشكل ينسجم مع مضمون هذا البيان.

١٤- اتخاذ الاجراءات اللازمة بعد اعلان البيان بالتشاور مع اللجنة العليا المشرفة على تنفيذه لتوحيد المحافظات والوحدات الادارية التي تقطنها كثرة كُردية وفقاً للأحصاءات الرسمية التي سوف تجري وسوف تسعى الدولة لتطوير هذه الوحدة الادارية وتعميق وتوسيع ممارسة الشعب الكُردي فيها لجعل حقوقه القومية ضماناً لتمتعه بالحكم الذاتي. والى أن تتحقق هذه الوحدة الادارية يجري تنسيق الشؤون الكُردية عن طريق اجتماعات دورية تعقد بين اللجنة العليا ومحافظي المنطقة الشمالية.

وحيث أن الحكم الذاتي سيتم في اطار الجمهورية العراقية فان استغلال الثروات الطبيعية في هذه المنطقة من اختصاص سلطات هذه الجمهورية بطبيعة الحال.

١٥- يساهم الشعب الكُردي في السلطة التشريعية بنسبة سكانه الى سكان العراق.

وثيقة

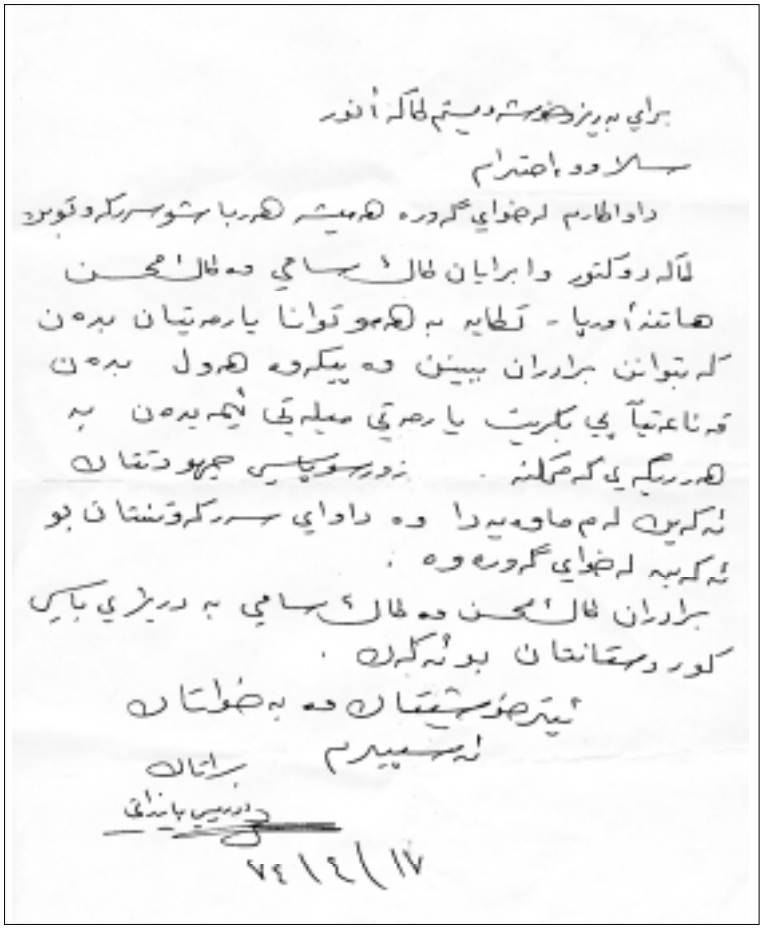

رسالة خطية مرسلة من ادريس البارزاني الى الدكتور انور دزه يي ،
مؤرخة في ١٧ نيسان ١٩٧٤

المصادر

اعتمدت خلال الجزئين الاول والثاني من هذا الكتاب على المصادر التالية:

١- كتاب (سنتان في كوردستان)، لمؤلفه: دبليو.آر.هي W.R.Hay.

٢- كتاب رحلة ريدج (مقيم في كُردستان).

٣- كتاب (البارزاني والحركة التحررية الكُردية) لمسعود البارزاني.

٤- كتاب (في الشرق الملتهب) لمؤلفه گوتفريدج مويلر.

٥- كتاب (مذكرات أحمد مختار بابان) تقديم: د.كمال أحمد مظهر.

٦- كتاب (زيارة الى الماضي القريب) لمؤلفه جرجيس فتح الله المحامي.

٧- كتاب (تأريخ الحزب الديمقراطي الكُردستاني) لمؤلفه حبيب محمد كريم.

٨- كتاب (عبدالرحمن البزاز ودوره الفكري والسياسي في العراق) لمؤلفه محمد كريم المشهداني (رسالة دكتوراه).

٩- رسالة خطية مرسلة من ادريس البارزاني الى الدكتور انور دزه يي مؤرخة في ١٧ نيسان ١٩٧٤.

ملحق الصور التذكارية

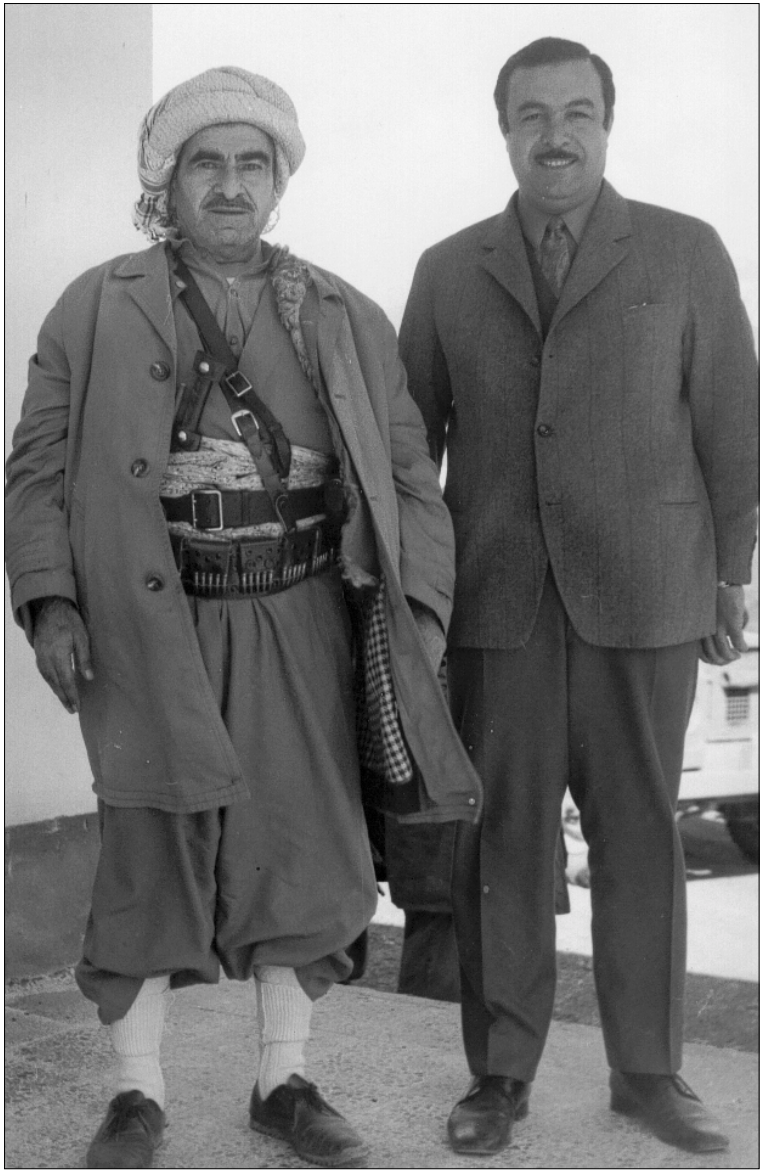

الزعيم الكردي الراحل مصطفى البارزاني مع محسن دزەيي في قصر السلام بقضاء چومان ، كانون الثاني ١٩٧١

محسن دزەيي في جبال كردستان قرب ماوەت بعد إلتحاقه بالثورة الكردية عام ١٩٦٣

الزعيم الكردي مصطفى البارزاني في إستقبال رئيس الجمهورية عبدالرحمن عارف بمنطقة جنديان ، في تشرين الأول ١٩٦٦ ، ويظهر في الصورة الشيخ ناظم العاصي وعبدالرحمن القاضي ونافذ جلال والعميد الركن زكي حسين حلمي قائد الفرقة الأولى ، وفي أقصى اليسار محسن دزهيي

من اليمين : إدريس البارزاني ومحسن دزهيي والدكتور هروزا سفير چيكوسلوفاكيا في بغداد ، تموز ١٩٧٠

إدريس البارزاني ومحسن دزهيي وصابر البارزاني ، في منطقة حاج عمران صيف عام ١٩٦٧

مسعود البارزاني يتوسط شمس الدين المفتي (ممثل الثورة الكردية في طهران) ومحسن دزهيي ، في منطقة حاج عمران صيف عام ١٩٦٧

مصطفى البارزاني وصدام حسين في منطقة ناوپردان بقضاء چومان ، آذار ١٩٧٠

مصطفى البارزاني بإنتظار وصول رئيس الوزراء طاهر يحيى الى منطقة ناوپردان في ربيع عام ١٩٦٨ ، ويظهر في الصف الأول كل من محسن دزهيي ومحمد أمين محمد علي وكاكه زياد أغا ويدالله كريم ، ويظهر في الصف الثاني فرنسو حريري والحاج شاكر الدوري...

محسن دزهيي سفير العراق في براغ والى جانبه عدنان خيرالله طلفاح (خلال زيارته
لچيكوسلوفاكيا) والى جانبيهما أعضاء السفارة العراقية ، أواخر صيف ١٩٧٠

من اليمين : صلاح عمر العلي ومحسن دزهيي وإدريس البارزاني ونافذ جلال وعبدالكريم الشيخلي
ونبيل نجم التكريتي ومرتضى الحديثي وسلمي عبدالرحمن في ساحة التحرير ببغداد ، آذار ١٩٧٠

مسعود البارزاني (الثاني من اليمين) ومحسن دزهيي (الرابع من اليمين) واثنان من المسؤولين العراقيين في القصر الأخضر ببغداد عام ١٩٦٧

من اليمين : العميد الركن عبدالمنعم المصرف محافظ أربيل والعميد كمال مصطفى علمدار رئيس اللجنة العليا للسلام ومحسن دزهيي عضو اللجنة المذكورة ، في منطقة بالك – قضاء چومان ، أواخر عام ١٩٦٦

الوفد الكردي المفاوض عند وصوله الى القصر الجمهوري ببغداد في آذار ١٩٧٠ ، ويظهر في الصف الأول إدريس البارزاني ومسعود البارزاني ومحمود عثمان ، وفي الصف الثاني صالح اليوسفي ومحسن دزهيي ونوري شاويس ونافذ جلال

من اليمين : صلاح عمر العلي وعزت ابراهيم الدوري وصالح مهدي عماش ومحسن دزهيي ومسعود البارزاني في بغداد ، آذار ١٩٧٠

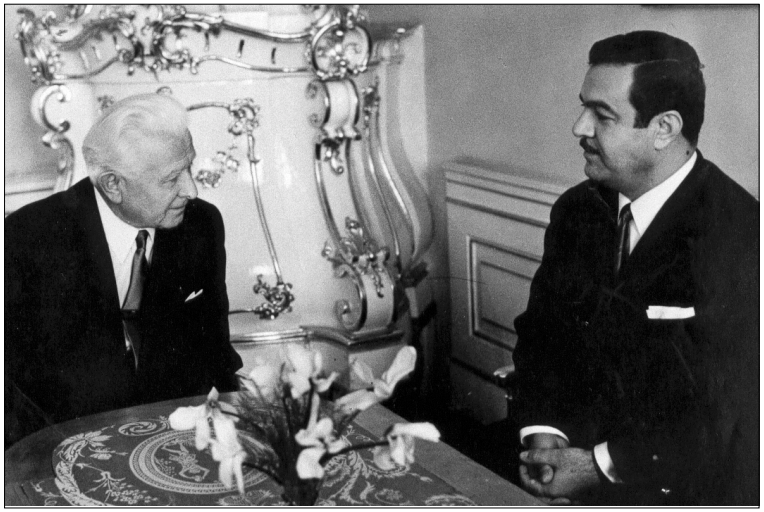

الجنرال سفوبودا رئيس جمهورية چيكوسلوفاكيا أثناء إستقباله محسن دزهيي بعد تقديم أوراق إعتماده كسفير للعراق في براغ ٢٦ آب ١٩٧٠

من اليمين : محسن دزهيي ونافذ جلال وإحسان شيرزاد وفؤاد عارف ، خلال إفتتاح المؤتمر الثامن للحزب الديمقراطي الكردستاني في ناوپردان ، تموز ١٩٧٠

حاكم كندا العام رولاند ميچنر خلال إستقباله محسن دزهيي بعد تقديم أوراق إعتماده كسفير للعراق في كندا ، نيسان عام ١٩٧٣

من اليمين : اللواء حمودي مهدي رئيس أركان الجيش ونافذ جلال ومحسن دزهيي ، بغداد عام ١٩٦٧

محسن دزهيي سفير العراق في كندا في مكتبه الرسمي بالسفارة العراقية في أوتاوا
عاصمة كندا عام ١٩٧٣

محسن دزهيي وزير الأشغال والإسكان مع كبار موظفي الوزارة خلال تفقد أحد المشاريع ،
تشرين الثاني ١٩٧٣

من اليمين : مرتضى الحديثي ، عبدالكريم الشيخلي ، محسن دزهيي فوق سطح إحدى
ناطحات السحاب في نيويورك ، أيلول ١٩٧٣

محسن دزهيي يتوسط بعض رجال الأسكيمو في المنطقة القطبية ويظهر في يمين
الصورة أحد السفراء الأفارقة ، أيلول ١٩٧٣

مرسوم تشكيل الوزارة الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان رقم (١٩)

استنادا الى البيان رقم (٢) الصادر في ١٧ تموز ١٩٦٨ قرر مجلس قيادة الثورة تشكيل الحكومة على النحو التالي :

السيد عبدالرزاق النايف	رئيسا للوزراء
الدكتور ناصر الحاني	وزيرا للخارجية
السيد ابراهيم عبدالرحمن الداود	وزيرا للدفاع
السيد صالح كبه	وزيرا للمالية
السيد صالح مهدي عماش	وزيرا للداخلية
السيد مصلح النقشبندي	وزيرا للعدل
الدكتور أحمد عبدالستار الجواري	وزيرا للتربية
السيد أنور عبدالقادر الحديثي	وزيرا للعمل والشؤون الاجتماعية
الدكتور عزت مصطفى	وزيرا للصحة
الدكتور طه الحاج الياس	وزيرا للثقافة والاعلام
السيد محمود شيت خطاب	وزيرا للمواصلات
السيد محسن القزويني	وزيرا للزراعة
السيد عبدالمجيد الجميل	وزيرا للاصلاح الزراعي
السيد احسان شيرزاد	وزيرا للاشغال والاسكان
الدكتور محمد يعقوب السعيدي	وزيرا للتخطيط
الدكتور عبدالله النقشبندي	وزيرا للاقتصاد
السيد خالد مكي الهاشمي	وزيرا للصناعة
الدكتور مهدي حنتوش	وزيرا للنفط والمعادن
الدكتور غالب مولود مخلص	وزيرا للشؤون البلدية والقروية
السيد ذياب العلكاوي	وزيرا لرعاية الشباب
السيد محسن ديزه‌ئي	وزيرا لاعمار الشمال
الدكتور عبدالكريم زيدان	وزير الدولة لشؤون الاوقاف
السيد جاسم كاظم العزاوي	وزيرا للوحدة
الدكتور رشيد الرفاعي	وزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية
السيد ناجي عيسى الخليف	وزير دولة
السيد كاظم معله	وزير دولة

مجلس قيادة الثورة

كتب ببغداد في اليوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٨٨ هجرية المصادف لليوم الثامن عشر من شهر تموز ١٩٦٨ ميلادي .

تشريفات القصر الجمهوري

ليوم ٢٠ - ٧ - ١٩٦٨

ادى الدكتور عزت مصطفى وزير الصحة امام السيد رئيس الجمهورية اليمين الدستورية وذلك اثر عودته من خارج العراق

مراسيم جمهورية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرسوم جمهوري

بناء على ماعرضه رئيس الوزراء واقره مجلس قيادة الثوره رسمنا بما هـو ات :

يعين عبدالكريم زيدان وزير الدولة لشوءون الاوقاف وزيرا لشوءون الشمال بالوكالة مدة غياب محسن دزه‌ئي وزير شوءون الشمال عن العراق .

احمد حسن البكر
رئيس الجمهورية
عبدالرزاق النايف
رئيس الوزراء

كتب ببغداد في اليوم الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني ١٣٨٨ والمصادف لليوم العشرين من شهر تموز ١٩٦٨

خبر ...

مرسوم تشكيل وزارة عبدالرزاق النايف في الصحافة العراقية ، تموز عام ١٩٦٨

التآخي ١٥-٨-١٩٧٣

تعيين محسن دزه‌ئي وزيرًا للاشغال والاسكان

صدر مرسوم جمهوري بتعيين المهندس السيد نوري شاويس وزيرا للدولة ، وتعيين السيد محسن دزه‌ئي وزير للاشغال والاسكان وتعيين الدكتور عبدالله الخضير وزير الوحدة وزيرا للاشغال والاسكان وكالة لحين التحاق السيد محسن دزه‌ئي بمنصبه .

التآخي ١٨-١٠-١٩٧٣

دزه‌ئي يؤدي اليمين

ادى اليمين الدستورية أمام السيد الرئيس احمد حسن البكر صباح أمس السيد محسن دزه‌ئي وزير الاشغال والاسكان .

وحضر مراسيم أداء اليمين السيد يحيى ياسين رئيس ديوان رئاسة الجمهورية .

واع

التآخي ٢٥-١٠-١٩٧٣

الاستاذ محسن دزه‌ئي يتفقد محافظة أربيل

وصل أربيل صباح امس السيد محسن دزئي وزير الاشغال والاسكان في زيارة تفقدية للاطلاع على سير العمل في المشاريع التي تنفذها وزارته في المحافظة والتي تبلغ كلفتها الاجمالية حوالي مليون و (٧٠٠) ألف دينار .

وعقد السيد الوزير لدى وصوله اجتماعا في ديوان المحافظة حضره السيد المحافظ والسيدان مدير أشغال اربيل وكركوك ومدراء مشاريع الاشغال في محافظة أربيل وتدارس معهم الامور المتعلقة بسرعة تنفيذ المشاريع وسبل تلافي العراقيل التي تعترض ذلك .

واع

خبر تعيين محسن دزهيي وزيراً للأشغال والإسكان في صحيفة (التآخي) منتصف آب عام ١٩٧٣